

مكتبة الأسرة



مهرجان القراءة للجميع

د. أحمد عبد الحميد يوسف

## مصرفي القرآن والسنة

أعمال دينية



الهيئة المصرية  
القومية للكتاب



بين العلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لي طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن العلم أصبح واقعاً ملموساً حياً يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صاعدة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت من حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متمردة تستحق أن تنتشر في كل دول العالم النامي وأبغضنى التشاير التجريبية ومحاولة تعميمها في دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية وأحضانها وانتشارها وطقها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة. ولقد أصبح هذا المشروع كياناً ثقافياً له مضمونه وشكله وهدفه التثبيلى. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة من الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سبباً قوياً لمزيد من المشروعات الأخرى. ومازالت قافلة التثوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدراً إنسانياً وخالداً للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن على التوالي. تطعيم دائماً من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زائداً محسب الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

يسمر رمزي  
جنيهان



مكتبة الأسرة 2001  
مهرجان القراءة للجميع

## لوحة الغلاف

اسم العمل الفني : خيرات مصر  
التقنية : ألوان جواش وزخارف

حلمى التونى ( ١٩٢٤ - )

- رسام ومصمم جرافيكى، حاصل على البكالوريوس فى فن التصميم المسرحى، درس الفن بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة، مارس عدة نشاطات فنية لها علاقة بالمجال الفنى البصرى مثل: التصوير الزيتى والتصميم الجرافيكى المسطح والنشر ومسرح العرائس وتصميم الأثاث.

- يُعد من أبرز الفنانين فى مجال تصميم الكتاب فى العالم العربى.

- ألف وصور الكثير من كتب وملصقات الأبطال والتي نشرت بعدة لغات بواسطة المنظمات التابعة للأمم المتحدة.

- حاصل على العديد من الجوائز العالمية، من بينها جوائز تمنح لأول مرة لفنان عربى، مثل ميدالية معرض «ليبزج» الدولى.

- أقام الكثير من المعارض الفردية فى مصر ومعظم الدول العربية.

- ساهم فى الكثير من المعارض الجماعية فى مختلف دول العالم.

- توجد لوحاته ضمن مقتنيات متحف الفن المصرى الحديث بالقاهرة والمجموعات الفنية فى مصر والبلاد العربية وأوروبا وأمريكا.

- أعماله فى مختلف المجالات ذات طبيعة رمزية ومستوحاة من أشكال الفن الشعبى والأساطير.

- يشغل الآن منصب «رئيس التحرير الفنى» لمجلة «وجهات نظر» وهى شهرية تهتم بقضايا السياسة والثقافة والفكر.

محمود الهندى

# مِصْرِيَّ

## فى القرآن والسُّنة

تأليف الدكتور  
أحمد عبد الحميد يوسف

دار الشروق

## على سبيل التقديم

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة، واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليسبع نهمه للمعرفة دون عناء مادي وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثناء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنوان وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجهها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزءاً). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزءاً) مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان



## مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)

الناشر:  
دار الشروق

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ: هيئة الكتاب

مصر فى القرآن والسنة  
د. أحمد عبد الحميد يوسف

الغلاف

والإشراف الفنى:

اللفنان محمود الهندي

المسرف العام

د. سمير سرحان

## مقصد الأنبياء

قد تبدو للمؤمن بالغيب من التفاهة الورعين من أحداث التاريخ أسرار يردّها إلى حكمة الله عز وجل ، وأمر منه كتب منذ الأزل في اللوح المحفوظ .

لأمر ما قدر الله للمصطفين من أنبيائه ورسله مقادير يجتمعون عليها ويشتركون فيها ، وموارد إليها يردون ومنها يأخذون ، ولأمر ما شاء رب العرش لأنبيائه ورسله أن يخرجوا من تلك البقعة الوسطى من شرق الأرض فيبشروا فيها بما نزل عليهم من كتب الدين ورسالات السماء . ولأمر ما شاء رب العرش أن يقبل أنبياءه على مصر ويردوها فيقيموا فيها ما شاء لهم أن يقيموا أو يكون لهم بها سبب يعظم أو يهون .

فإذا سلكنا سبيل المؤمنين المستسلمين ، ونظرنا في هذا نظر التفاهة الممثلين قلنا «إن لله حكمة هو بالغها فيما قدر لأنبيائه ومرسله ، وبمثل هذا تحدث إنجيل متى عن رحلة المسيح :

«إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً : «قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر . . . لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من

طبعة خاصة  
تصدرها دار الشروق  
ضمن مشروع مكتبة الأسرة

بتبع حقوق الطبع محفوظة

## دار الشروق

استبصار محمد العظم عام ١٩٦٨

القاهرة ٨ شارع سيدي بويه المصري -  
والعنة العبدية - مدينة نصر  
ص.ب. ٣٣٠ - الهاتف - تليفون : ٤٠٢٣٩٩  
فكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني : email: dar@shorouk.com

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾  
[المؤمنون : ٥٠]

وكان لرسول الله محمد بن عبدالله ﷺ - كما كان لأبيه إبراهيم - زوجة مصرية، أوقبطية، هي مارية، التي أنجبت له ولده إبراهيم، كما كان له ﷺ فيها من أحاديثه الشريفة ما وصى بها الناس بأهلها وذكر أنهم يكونون على الأعداء نعم الأعوان.

صدق رسول الرحمن

كذلك كانت مصر التي كان لها نصيب من الذكر الحكيم جليل، وحسبها من شرف أنها أثنى عليها رب العرش في الذكر المبين، وأنها كانت قبلة الأنبياء والمرسلين، ومن قبل الأنبياء، ومن بعدهم كانت قبلة لمن جاورها من أم الأرض وشعوبها. ومن وفد عليها من التجار، وطلاب المعرفة والحكماء، أولئك يطلبون الرزق بالبيع والشراء، وهؤلاء يقصدون الحكمة ويتلمسون السناء.

فكان لها دائما فضل المتفضل على الطالبين والقاصدين، فلا جرم تكون مدرسة تلقى فيها المعلمون من فلاسفة الإنسانية وأنبياء الرحمن المرسلين، إذ بعثوا إليها متعلمين قبل أن يبعثوا معلمين، ولا جرم يكون لها النصيب الأوفى من عناية الكتاب والمؤرخين.

وسبحان ربك الأكرم الذي أنبت في مصر القرطاس والقلم، وجعلها المدرسة التي فيها علم الإنسان بهما ما لم يعلم. إذ تأذن لأهلها فجعلهم أول من يكتبون، وعندهم أخذ الناس القلم وما يسطرون.

- ٢ -

## إبراهيم

وقد كان إبراهيم عليه السلام أقبل من حيث يقيم في فلسطين على مصر، يطلب فيها الشبع والرى من بلاد ضربها القحط والجفاف. وقد تحدث التوراة في ذلك قالت: «وحدث جوع في الأرض فانهدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً».

[تكوين ١٢ : ١٠]

وكان مجيئه إليها على الأرجح والمشهور أيام الأسرة الثانية عشرة من ملوك الدولة الوسطى في القرن العشرين من قبل مولد المسيح، حيث أقبل على طريق ممهد من علائق قديمة بآسيا منذ أقدم العصور، إذ كانت قوافل التجارة ترد على مصر، وتصدر عنها، بما تحمل من عروض تختج إليها مصر، أو تطلبها سوريا وفلسطين، ولقد كانت حاجة مصر إلى الجيد من الأخشاب خاصة، دافعا لأهلها على تلمسه من مظانه في فينيقيا (لبنان)، منذ طلائع تاريخهم، حتى لقد تسمت بعض أنواع سفنهم بحكم انتظام الرحلات إلى فينيقيا باسم ميناء جبيل هناك، وكان يكتب (كين في المصرية) فسميت كينية - أي الجبيلية -، ومن أنباء سفنهم رأس الأسرة الرابعة أنه أرسل قافلة بحرية من أربعين سفينة، لجلب خشب

وقد شاء الله أن يشرف الأصل بالفرع، فتشرف هاجر بمولد إسماعيل، بل يشاء تخليدا لتلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعي - كما سمعت - بين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين، إذ تأذن ربك لآلاف من خلقه أن يطوفوا بين الجبلين إذ يتدافعون ما دارت الشمس كل عام مسبحين مهللين، ومبشرين مكبرين، وأن يظلوا على تدافعهم حتى يبرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون، وأن يكون فرضه هذا من أركان دينه الذي أنزله وارتضاه كافة للعالمين.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا حَاجَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]

وكأنما كان خليل الرحمن يدعو لذريته في أرض الحجاز بمثل الذي رأى من الخير في مصر، حين هبط إليها زائراً، ثم متخذاً من بناتها زوجة، تكون أمّاً لولده إسماعيل، وأمّاً للعرب ونبعة لسيد الأنبياء والمرسلين، وكأنما تمثل له حين دعا في الحجاز لهاجر ما كانت قد اعتادت في بلادها التي هجرتها وأقبلت منها:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

بمثل الذي رأى في مصر تفكر، حين دعا إبراهيم. واد كان وما زال ذا زوج وخير عميم. تهوى إليه مع ذلك أفئدة من الناس بالتجارة والسياحة غادين راحين، ورزقهم من الثمرات فكانوا - بأسلوبهم وملتهم - شاكرين.

ومن بعد إبراهيم جاء يوسف إذ حمل إليها صبياً فعاش فيها حياته حتى توفاه الله في أرضها حيث حنط ودفن إلى حين<sup>(١)</sup>.

وقد كان هبوط يوسف مصر مكانة ونعمة من الله بمن بهما عليه، ولو جاء إليها في مهانة العبودية وذل الأسار، لأن الله إنما حمّله إليها «مبعوثاً» يتعلم العلم في أرضه التي أقام فيها العلم منذ غابر الأقطاب والدهور. قال عز من قائل:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

ونشأ فيها موسى حيث ربي وليداً، ولبت فيها من عمره سنين:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ... ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٩) ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ١٤ - ٣٠]

وأما يسوع فقد أتت به مريم تحمله حيث أقامت كما حدث الرواة بين عين شمس وبابلين. وقال تعالى:

(١) سفر التكوين ٥٠: ٢٦ وسفر الخروج ١٣: ١٩.



مصر دعوت ابني (٢: ١٣-١٥)، فهو قضاء سابق أن يدعى يسوع من مصر، فليكن إذن رحيله إليها قضاء لأمر من الله سابق سوف يكون.

ولئن بدت الأمور كذلك للمعتقين المستمسكين بالإيمان دون غيره فقد يجد المؤرخون أنفسهم - مع إيمانهم - من وقائع التاريخ حيال أحداث متشابهات، وظواهر متكررات تفرض على عقولهم ومناهجهم التساؤل والاستقصاء، وتخرج بهم من معلول يستظهرونه إلى علة يطمنون إليها، وإليها يركنون.

على أن سنة القرآن فيما روى من قصص، واستعرض من أحداث أنه إنما يتقى منها من الشواهد ما يدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، مخلداً إلى الإيجاز، معبراً في القصص عما يريد من اللباب الذي يتعمق إلى الأغوار، محققاً بذلك العظة التي أراغها وقصد إليها من السيرة وروايتها.

فلم يكن كتاب الله إذن سجلاً للأحداث ولا كتاباً للتاريخ بمعناه المفهوم، ولا صحيفة من صحائف الأمم، ولا شعب من الشعوب، ولذلك فلسنا نأثر فيه الأسماء الكثيرة ولا تفرع الأنساب والسلالات، ولا نجد فيه استقصاء لأحداث معدودات مفصلات، وهو مع ذلك - على إيجازه وبيانه - خليق أن يحفز على البحث والاستقصاء، خليق بالنظر فيما أورد من أخبار الأيام، والتحقق من أحداث التاريخ.

أخرج جلال الدين السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» عن ابن زولاق أن مصر ذكرت في القرآن في ثمانية وعشرين موضعاً، وقال بل أكثر من ثلاثين، وقع فيها ذكر مصر من القرآن صريحاً أو كناية، وتضيف أنها ذكرت في الكتاب المقدس في

ستمائة وثمانين موضعاً، وكذلك نقل السيوطي عن الكندي تعليقه على طائفة من آيات القرآن فيها قوله: «لا يعلم بلد في أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر».

أجل - فلقد كانت مصر فصلاً جليلاً من تاريخ كل دين. على أرضها كلم الله موسى وبعثه هداية للعالمين. وأقبل عليها يسوع في المهد وكانت به أسبق المؤمنين، ثم صارت من بعد، حصن الإسلام ومقله الحصين.

\*\*\*

ومن قبل ذلك أقبل عليها أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم فأقام بين أهلها يقول لهم ويسمع منهم، ثم يخرج بجارية - مصرية تكون أمّاً ليكرم بنيه، فلقد كانت هاجر مصرية، تحمل اسماً مصرياً ورد في الآثار المصرية بما لا يلحظ فيه غير تصحيف يسير، إذن نقرأه في المصرية، هاجر، وهاقرة (١).

وتلد هاجر المصرية إسماعيل الذي باركه ربه، فكان صديقاً نبياً، ومن إسماعيل تخرج أمة عظيمة، هي أمة العرب المستعربين ومنها كانت قريش زعيمة العاربيين والمستعربين أجمعين.

[1. Ranke. Die Ägyptischen Personennamen (Glückstadt 1932 & 1952) Band (1) (S. 231).

وكان ثاني ملوك الأسرة التاسعة والعشرين المصرية يسمى هاجر وهاكر على اختلاف في اللهجة والهجاء وعرف في تصحيف الإغريق باسم أخوريس انظر Gauthier. Livre des Rois IIIp. 164

الأرز منها<sup>(١)</sup>، وكذلك كان العثور منذ فجر التاريخ على الحلوى من  
اللازورد الكريم، حيث لا يتوفر في تربتها، دليلاً على اتصالها بغيرها من  
الأقطار منذ ذلك الزمّد البعيد<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فقد حرص المصريون على تأمين مصادر ما يطلبون من المواد  
والطرق إليها، وسلكوا لذلك طريق الحرب وسبيل السلام على سواء.

وقد كان من وراء تخوم مصر مفاوز مرهقة، وأقاليم مملقة، قد علموا  
من أمر سكانها ما صوروه في آثارهم أحسن تصوير، فعلى الطريق بين  
هرم أونيس عاهل الأسرة الخامسة وبين معبده في سقارة، صورة لطائفة  
من هؤلاء البدو نزلت بهم مجاعة، أذابت الشحم، وأكلت اللحم،  
ودقت العظم (شكل ١)، وقد كانوا يحكم ما تنزل بهم من نوازل  
القحط، يندفعون ما سححت فرصة إلى الروابي الخضر، فيما وراء الآفاق  
من بواديهم، يتلمسون في مصر الرزق محاسنين أو مخاشنين، فمنهم  
من كان يتسلل، فيدخل في طاعة المصريين طاعماً في خدمتهم من عمل  
يده، ومنهم من إذا اشتدت به الفاقة لم يبال إذا انقض في قومه على  
التخوم، أن تأخذه نصال النابلة من حرس الحدود في صياصبيهم، وقد  
كان تجاور الأصداء على التخوم من الجفاف والري، ومن الفقر المدقع  
واليسر المتع. خطراً مقيماً على حدود مصر فرض على ملوكها التحفز  
الدائم خمائنها من غارات المغيرين وعدوان المعتدين، وكانت طوائف  
منهم تتعرض لما ترسل مصر إلى طور سيناء من بعثات التعدين، بل لقد

Sethe, K: Urkunden des Alten Reiches 236' (=Urk. I); Breasted, J.H., Ancient Egypt  
Records of Egypt (Chicago 1962) Vol. I § 146. (=DAR).  
Kees, H., Ancient Egypt, A Cultural Topography (1961) p. 126. (٢)



(شكل ١) النخلة



أوشكت غارات البدو وحملات تأديبهم، أن تكون من الأعمال الدورية على مر العصور، منذ مطلع التاريخ المصري.

وقد تختلف الحملات من السرايا الصغيرة التي تخرج لإقرار الأمن والردع والإرهاب إلى الكتائب الكبيرة، التي تشتبك في المعارك وتقاتل في الحروب، حيث توغل في تقدمها إلى ما يلي سيناء من غربي آسيا. ثم لم تلبث السياسة المصرية كما قدمنا، أن حرصت على بسط نفوذها على تلك البقاع، وضمها تحت سلطان مصر.

ومن أبناء تلك الحروب ما تواتر عن عاهل الأسرة السادسة بيني الأول من أنه أنفذ حملات خمساً بقيادة وزيره أونى، لتأديب الآسيويين، فتعقبهم حتى فلسطين، فدمر حصونهم، ودك قلاعهم وحرق دورهم، واقتلع ما لهم من زروع وكروم، ثم عاد بالآلوف منهم أسارى، وكانت خامس هذه الحملات بحرية خرج فيها أونى بالأسطول المصري في البحر المتوسط، فنزل بفلسطين حيث قضى على الخوارج في موقعة «شرت تپ ححى» بمعنى أنف رأس الغزال، ومن أبناء الأسرة الثانية عشرة، أن «سنوسرت» الثالث شخص إلى فلسطين في جيشه فقاتل العصاة حيث أخضعهم في منطقة ذكرتها المصادر باسم «سككم» ورجعها المؤرخون «سكيم» الفلسطينية، التي ذكرت في التوراة، ثم عاد إلى مصر بعد أن عاد النفوذ المصري إلى هناك.

على أن القبطية ما إن تتراخى في عصور التفريق، والضعف السياسي. حتى تشط القبائل من حولهم، إلى الضغط والغارة، ثم إلى الحنف على الدلتا في سبيل عيش لين، ومقام كريم، وذلك حين يستقيم البحر الأحمر. وتنحطم مواقع الحراسة، وتنهار المقاومة. وقع ذلك على مدى عصور التاريخ مرات ومرات، فكان أواخر الأسرة السادسة حين

طفقت عناصر من الآسيويين، تتسرب إلى الدلتا حتى غمروها، وتغلغلوا فيها، ثم عاد فوقع في أعقاب الدولة الوسطى في صورة غارة هائلة، حملت اسم «الهكسوس»، الذين دخلوا مصر بالحرب والقتل والتدمير، ثم شهدته مصر بعد ذلك من قبل الليبيين في الغرب، والنوبيين في الجنوب، وشعوب البحر المتوسط في الشمال، لذلك كله فلقد حرص ملوك مصر على التدبير لأمن تخومها وسلامة حدودها.

وكان ملوك الأسرة الثانية عشرة - التي عاصرها إبراهيم عليه السلام - من أحرص الفراعين وأنشطهم في حماية الحدود وحراسة التخوم. فكان لهم في الجنوب ما بين سمنة عند الشلال الثاني، وبين الفنتين عند أسوان ثلاث عشرة قلعة، يبدو من أسمائها ما أريد لها من وظيفة الأمن والدفاع، مثل «رادة القبائل». و«مخضعة الصحاري»، وكان «سنوسرت» الثالث من أنشط هؤلاء الفراعين، فيما أرسى لتلك الحماية، وما بذل لها من جهود الحرب والإنشاء؛ إذ ينطق عن سياسته في ذلك، ما أقام عند سمنة من قلعة وشاهد يبين حدود مصر الجنوبية، وما وصى به أخلافه من بنيه بالحفاظ عليها وحمايتها حيث يقول:

«إيما ولدلى يرعى تلك الحدود، التي أقامها جلالتي، فإنه (بحق) ولدى الذى ولد لجلالتي... أما من سوف يتخلى عنها، ويتقاعس عن القتال في سبيلها فليس لى ولدًا ولا هو ولد لى»<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك فما كان لتلك الحدود أن تكون مانعًا، ولا حائلًا في سبيل التجارة وسفارات السلام، إذ كان الملك مع حرصه على تأكيد سيادة

(١) Breasted, op. cit. § 659

مصر على أراضيها، وضمان سلامتها، حريصاً على رفاهية شعبه، وتنشيط تجارته وتوفير احتياجاته، فأصدر مرسوماً أعلنه على بعض شواهد الحدود تلك يبين فيه مع الحدود نظام المرور، ويعين أسواق التجارة جاء فيه:

«الحد الجنوبي الذي أقيم عام ثمانية في عهد جلالة ملك الجنوب والشمال خع كاورع (سنوسرت الثالث) الموهوب الحياة أبداً وأزلاً، لمنع أى زنجى أن يعبره بحراً أو براً بسفينة أو فى جماعات من الزوج، وذلك فيما عدا زنجياً يأتى للتجارة فى «يقن» أو سفارة أو فيؤدى له كل شيء طيب، وذلك بدون السماح لسفينة للزوج بتجاوز «حج» هابطة التيار، إلى الأبد»<sup>(١)</sup>.

وكذلك حظيت مصر على جبهتها الشرقية بما عرف منذ الدولة الوسطى بحائط الحاكم. حيث قامت القلاع والحصون، ومواقع الحراسة التى يقوم عليها الجنود المنوبون الذين لا يمكنون لدخيل من تجاوزها أو عبورها إلا أن يؤذن له، ويمنح جوازاً بذلك، وذلك فى أقدم ما عرف من جوازات السفر فى التاريخ، وفى قصة «سنو» التى انحدرت إلينا من ذلك العصر أنه خرج من مصر هارباً من فتنة ظن أنها واقعة بها لا محالة، وأنه إن أقام غير ناج منها، فولى وجهه. فى طريقه إلى سوريا. شطر الشرق عند البحيرات المرة، فلما انتهى عندها هناك إلى «حائط الحاكم» الذى شيد لرد البدو، كان عليه أن ينحن بين الشجيرات من حول القلاع أن تناله غيون الرقياء من صياصيههم. كذلك روى أنه لما عفا الملك عنه وأن له أن يرجع إلى الوطن، أقبل على مصر شيخاً طاعناً فى السن،

Breasted, op. cit. § 853. (١)

حيث أقام عند تخومها الشرقية على طريق حور، منتظراً. ولم يدخل. حتى أرسل قائد الحدود إلى الملك بمقدمه، وعاد الرسول بالإذن للأمير العائد بالدخول.

ومهما يكن من شيء، فلقد كشفت الأحافير على كل حال فى مصر والشام، وتحدثت الأخبار يومئذ كذلك، بما يشهد لمصر بما كان لها فى تلك الربوع من النفوذ السياسى والمنزل التجارى جميعاً، فقد عثر من عهد الأسرة الثانية عشرة، تحت معبد لها فى الطود، بصعيد مصر. فضلاً عن تماثيل من لا زورد، وأختام استوانية بابلية. على ودائع من حلى الذهب والفضة، وسبائك منهما فى أربعة من صناديق البرونز، عليها اسم (المنحاحات الثانى)، وكلها بحكم طرزها الإيجية والبابلية إنما تنطق عما كان لمصر من علائق، قد تكون امتداداً لنفوذها على تلك البقاع<sup>(٢)</sup>. كذلك عثر على طائفة من آثار، تحمل أسماء ملوك الدولة الوسطى وأفراد أسرهم فى جبيل، وببيروت، وأوجاريت، (رأس شمرا الآن) على الساحل القينيقى، وفى قطنة شمالى سوريا، كما عثر فى مجدو الفلسطينية على قاعدة لتمثال جحوتى حتب بن كاي، وسات خيركا، حاكم إقليم الأرنبة، والكاهن الأكبر لمعبودها جحوتى فى الأشمونين، ولا شك فى أن تماثلاً لمثل ذلك الرجل فى سوريا وفلسطين. وهذه منزلته. إنما يدل على علائق متينة بين مصر وآسيا، وغير بعيد أن يكون وأقران له قائمين بأعمال دبلوماسية هناك، أو مندوبين فى مواقع لمصر فيها مصالح تجارية كبرى<sup>(٣)</sup> ومع ذلك فلدينا من أخبار ذلك العصر. عصر الدولة

(١) إيتين دريوتون وچاك فاندنيه (تعريب عباس بيومى): مصر من ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament

(3rd edition, Princeton 1969) p. 228



موغلاً إلى حيث يستطيع من أقاليم الصعيد، وكان منظر القوافل من البدو مما راق لشريف من بنى حسن، وراق لفنانة الذي أعد له قبره فصور قافلة منها فيه، إذ نشهد في قبر «خنوم حتب» منظرًا (في شكل ٢)، لقافلة أو قبيلة من سبعة وثلاثين نفساً، من رجل وامرأة و غلام، أقبلوا بقيادة زعيمهم، أو شيخهم إيشاء، (أو أبشاي كذكره في التوراة)، يبيعون الكحل ويحملون الفسى والسهام، ويروجون لذلك بما يعزفون من نغم على الطنبور، وذلك بما عليهم من مآزر مبرقشة، ولحي كثيفة، تملأ العواض وشعر على الرءوس طويل.

ولم يكن أبشاي رأس تلك القبيلة السامية، أو حاكم البلد الأجنبي كما وصفته النصوص المصرية، ليدخل مصر فيجوس خلال الديار بغير إذن الملك، ولا إذن السلطات المصرية كما يقال، فلقد رصد الفراغنة عنى استحوم من شرقى مصر - كما قدمنا - قلاعاً عليها الرماة من العسكر، - مصر - داخين خارجين. ولم يكن لغريب أن يدخل إلا أن يقف مدة الآن فلا يواصل المسير حتى تعرف هويته، وتكشف نيته، ويتضح مبتغاه، وقد رويانا عن سنوثة أنه في فراره من مصر قد حرص على التخفى بين الشجيرات، حتى لا يراه الرقباء، من قريته إلى أوبته إلى الوطن شيخاً طاعناً في السن قد توقف سد - وهو الأمير المنصوي المعروف حتى جاءه إذن الملك بالدخول.

من حول القرن العشرين، من قبل مولد المسيح على - هذه الأسرة الملكية المصرية - على المشهور - أقبل إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام. وأكبر الظن أن إبراهيم قد هبط مصر مع إحدى قوافل البدو، تلك التي كانت تقبل بائعة لها وبائعة منها كما رأينا في قافلة

أبشاي، وقد كان حلول إبراهيم بمصر كما روى الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين فراراً من قحط وجوع لم يكن إلى احتمالهما بفلسطين من سبيل: «وحدث جوع في الأرض فانحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً»، ومن المحقق أنه إنما أقبل على مصر وقد تسامع الناس في بلاده بما كان في مصر يومئذ من الرخاء ورغد العيش ولين المقام، وما كان يسودها من الأمن والدعة والسلام، ومهما يكن من تقدير المؤرخين والكتاب في تاريخ هبوطه واختلافهم فيه، فإن الأحوال المواتية التي كانت خليقة أن تجذبه إليها وتغريه بالإقبال عليها والإقامة فيها، إنما تهيات واستقرت على عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ولم تنهياً قبلها ولا استمرت طويلاً بعدها، كما نؤشك أن تفصل بعد قليل. وظاهر من رواية التوراة، والمشتا<sup>(١)</sup>، وما أيدهما من حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة، أن إبراهيم إنما دخل مصر جهرة ولم يدخلها تسلاً، وأنه لم يدخل في عهد من عهود الفوضى والاضطراب والحروب الداخلية التي سبقت الأسرة الثانية عشرة، أو لحقت بها أيام الهكسوس، بل أقبل - وهو يعلم - على دولة مستقرة منظمة، سوف يسأل عند الحدود فيها عن هويته وهوية من معه من رجال ونساء، فكان منه ما كان من حديثه إلى امرأته سارة فيما اتصلت روايته في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: «إني علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون بهم

(١) المشتا القديمة أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة، فالمقرا، هو ما يحفظ بالقراءة في الكتب، وهو نصوص التوراة المعتمدة، والمشتا هو ما يحفظ بالذكر والاستظهار، ومنه التلمود على نشأته الأولى، انظر: عباس محمود العقاد: أبو الأنبياء.

يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك. قولى إنك أختى ليكون لى  
خير بسبك وتحيا نفسى من أجلك. [ ١٣-١٠ ]

وبستخلص كذلك من أحاديث المشنا فيما كان من دخول إبراهيم  
مصر مع سارة، أن التخوم المصرية قد كان عليها من عمال المكوس من  
بسال ويستقصى السُّرَّ فيما يحملون فى أمتعتهم من عروض، إذ روت  
أن إبراهيم خاف على فرعون وقومه الفتنة من جمال سارة فحملها فى  
تابوت وهم يعبرون تخوم الديار، وسأله عمال المكوس عما فى التابوت  
فأنبأهم أنه شعير، قالوا بل نأخذ المكوس على قمح، قال خذوا ما  
تشاءون، فعادوا يطلبون الضريبة على بهار، فأجابهم إلى ما طلبوه،  
فأمرهم أن يؤدوا الضريبة على وسق التابوت ذهباً،  
فغضبهم سؤلهم. فحبرهم قبوله كل ما يسومونه أن يبذله  
وحامهم شك عطية، ففتحو التابوت عنوة فإذا بالنور يفيض من وجه  
ساره حتى يعم الديار ويعشى غين فرعون.

على أن إبراهيم لم تكن به من حاجة إلى الخوف على حياته من أهل  
مصر ولا من ملكها عليه، بل من غضب منه، ويقتل من أجلها، ولعل  
لدى داود مصدره من خوف لم يجوز الوهم كما ساور يعقوب الوهم من  
فيه الأحد عشر إن دخلوا من باب واحد ولم يدخلوا من أبواب  
متفرقة. ولعل إبراهيم غلبه السلام إنما صدر عن استشعار مما عهد من

ولا سمح من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عكم من الله  
فليتوكل المتوكلون. ولما دخلوا من حيث  
منه من شئ إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها، وإنه  
[ يوسف ٦٧-٦٨ ]

غضب النساء والاحتياى على اقتناصهن من أزواجهن فى بلاده التى أقبل  
منها، بل من بوائق أسوأ وأعظم تكرراً بلا بعضها فى سدوم ابن أخيه لوط  
من قومه، فحققت عليهم كلمة العذاب، وأخبر الله بها إبراهيم.

ولقد جاءت رُسُلًا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما  
لبث أن جاء بعجل حنيد (٢٠) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه سكرهم  
وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط.

[هود: ٦٩، ٧٠]

بوائق بلغ من شيوعها أن تواترت إلى كاتب التوراة لاحقة بالأنبياء  
 والمرسلين، وهونت عليه نسبة الزنى والغضب إليهم، فذكر أن لوط  
سكر وزنى بابنتيه فحملت منه (نكوب ١٩-٣٠-٣٨)، ولما دونه  
من سطح بيته امرأة أوريا تستحم فأرسل داود رسلاً، وأخذها فدخلت  
إليه واضطجع معها، ثم كتب داود مكتوباً إلى يوأب وأرسله بيد أوريا  
وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أوريا فى الحرب الشديدة وارجعوا من  
ورائه فيضرب ويموت. [صموئيل الثانى ١١، ١٦]

على أن ملك مصر - على كل حال - ما إن عرف مكان سارة من إبراهيم  
حتى تذر - بحكم ما كان يسود مجتمعه من مكارم الأخلاق - مما أوشك أن  
يقع فيه من اتخاذ زوجة غيره زوجة له، واستنكر ما ألقى إليه إبراهيم، أو  
نقل عنه من خبر مكذوب، وما كان من زعمه أنها أخته، فتقول التوراة.

فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً،  
ورأها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت



فرعون فصنع إلى إبراهيم خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتث وجمال» [تكوين ١٢ : ١٤-١٧]

ونريد قبل المضي في هذا الحديث أن نستطرد قليلاً فيما ذكرت التوراة من جمال نالها إبراهيم في مصر مصححين، ذلك أن كاتب التوراة - في معرض التعبير عما لقي إبراهيم من كرم فرعون، إنما كان يعدد على أسلوبه وبيئته ما عسى أن يتلقى - في مفهومه - من ملك مصر، فذكر الغنم، والبقر، والحمير، والعبيد، والإماء والأتث، ثم أضاف إليها الجمال، وإن ظلت الإبل غريبة لا يعرفها المصريون يومئذ على التحقيق، بل لقد كانت غريبة على من أقبل على مصر يومئذ من قبائل البدو السائرين، فلقد أقبلت قبيلة إيشاي، أو قافلته تسوق الحمير لا الجمال - - - - - على سحر سيباء على امتداد عصور مصر الفرعونية صور للجمال، وذلك فضلاً عما قطع به سفر الخروج من عودة موسى وأسرته من مدين إلى مصر على الحمير «فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم الحمير ورجع إلى أرض مصر» [٤ : ٢٠].

وبعودي إلى رواية التوراة التي تتصل فتقول :

فصرب الرب فرعون وبنيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة  
... ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني  
... أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي؟، والآن  
... ذهب، فوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه  
... ما كان له». [تكوين ١٢ : ١٢-٢٠]

وبفتح حديث الرسول عن أبي هريرة رضى الله عنه خبر الخليل في  
... قل عنه الصلاة والسلام :

«يحدث إبراهيم النسي عليه السلام قط، إلا ثلاث كذبات، اثنتين

في ذات الله في قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار، ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبى عليك، فإن سألت فاحسبه أنك أختى، فإنك أختى في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيرى وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه، فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال ادعى الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت، فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك ففعلت، فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال ادعى الله أن يطلق يدي فلك عهد الله ألا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها، فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطتها هاجر... فأقبلت تمشى فلما رآها إبراهيم عليه السلام... قال مهيم قالت خسرأ كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً. قال أبو هريرة فتلك أمكم يابنى ماء السماء».

«لم يكذب إبراهيم النبي عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات» ومع ذلك فقد حرص مفسرو الإسلام على نفى الكذب عن أنبياء الله وتبرئهم من الوقوع فيه، وقالوا : إن الكذب حرام إلا إذا عرض، ومن أمثلة العرب قولهم : إن في المعارض مندوحة عن الكذب، ولذلك فقد ذكر المفسرون أن الذي قاله إبراهيم فيما ورد بسورة الصافات «إني سقيم» يد هو معراض من الكلام، أى سأستم، أو أنه من الموت في عنقه سقيم، أو أراد إني سقيم النفس لكفركم<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير النسي الآية ٧٩.



«إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك، فإن سألك فأجيبه  
أنك لى «سونة» أو «سوئى».

### عدل المصريين وتقديس الحرمات:

وظاهر من سياق الرواية أن إبراهيم لم يكن مضطراً - لو عرف  
المصريين بحق - إلى الخوف على امرأته ونفسه من بطش الملك، فلقد كان  
الملك كما فعل من بعد، خليقاً أن يحترم حرمة الزوجة ويحفظها لو كان  
أخبر بذلك من قبل، فلقد كان المصريون يقدرون الحرمات ويقدسونها  
ويرعونها أشد الرعاية، ويبجلونها أعظم تيجيل، فلم يكذب فرعون يتبين  
مكان سارة من إبراهيم، حتى ردها إليه معتذراً عما أوشك أن يفرط عن  
سير علم منه محتجاً على ما أبلغ إليه من خبر مكذوب، أو مدخول،  
منفضلاً بما أهدى إليها من جارية، هى هاجر، أو هاجر، إن شئت أن ننطق  
بذلك. وقد كان فراعين مصر من  
ذات العصر يحيون فى ظل مبادئ من الحق والعدل فرضها المجتمع  
على الناس وعلى الناس أجمعين، وحرصوا على أن يتمتع بها  
كل واحد من الناس. فلا فصل لشريف على غيره لشرفه ولا  
مناه. بل لا فضل لحاكم على محكوم بحق ادعاه،  
ممنع من اتخذه أنفسهم من أسماء وألقاب، إنما كانوا يعلنون للناس  
بأنهم من الملوك. بلت عليه ألقابهم تلك من المعانى والمثل العليا، فقد  
تخذت اسمحات الأول لقب «وحم مسوت» أى المولد المتكرر أو النهضة،  
دأبوا كان يدل على ما فى ضميره من حرص على أن يعهده، إنما يستأنف  
منهناً جديداً يعيد به إلى مصر مجدداً القديم. وحرص أخلافه على أن

تشمل ألقابهم التى يتخذون معنى العدل والحق، والمساواة والقانون  
والنظام، وهى المعانى التى يشتمل عليها كلها لفظ «ماعت» المصرى،  
فاتخذت اسمحات الثانى لقباً يعنى السعيد بالعدل «حكن م ماعت» وعادل  
الصوت «ماع خرو» وتسمى سنوسرت الثانى مظهر العدل «سنع  
ماعت»، وأسمحات الثالث العدل لرع «نى ماعت رع»، وأسمحات  
الرابع عادل الصوت رع «ماع خرو رع» وفيما بلغنا من آثارهم الأدبية  
شواهد ممتعة، ومثل رائعة بما استطاع هؤلاء القوم إرساءه من قواعد الحق  
والعدل والمساواة، وما أقاموا من معانى الخير والبر والإحسان، فقد  
ذاعت أيام تلك الدولة قصة نعرفها اليوم بعنوان «قصة الفلاح المتسبح»  
وهو الذى تعرض لظلم حاكم الإقليم وعسفه بغصبه حميراً له، ولكن  
بطل القصة أبى ورفض الاستسلام، فطفق يشكو ويجأ بالدعاء حتى  
بلغت شكواه مسامع الملك نب كاورع، فأنصفه وأكرمه، وقد استهدفت  
القصة فيما استهدفت الإغلاء من كلمة الحق والعدل، وما ينبغى أن  
يكون عليه من السيادة والقوة التى تشمل صاحب السلطان الذى لا  
يتسلط على الناس، كما تشمل العاقل من السلطان الذى لا يتسلط على  
أحد من الناس، بحيث يكون الناس جميعاً سواسية أمام القانون وقد  
قدمت هذه القصة فى ختامها دليلاً على رعاية العدل والانتصاف من  
الظالم للمظلوم، ودلت على مجتمع يستطيع فيه المروءى المسكين الدفاع  
عن حقه. أو هذا واجبه وما تدعوله القصة، والمثيرة عليه، والإجح فى  
طلب الإنصاف من ظالمه، مبينة عن شجاعة فى الطلب وجسارة فى  
مخاطبة الحاكم، بل تعنيفه بدون خوف أو وجل من أذاه، وذلك فضلاً  
عما اشتملت عليه من نقد لاذع ونبش لما فى المجتمع من علل وعيوب،  
فلقد خرج الفلاح عن أمر المطالبة بحميره، إلى أحدث عر جشع كبار

مُظنين وانحراف القصة. وفساد الدم وتستر الحاكم عليهم واشتراكه معهم في بنهوس. فكان القصة تعليم للناس حقوقهم في العدل والمساواة، وفي حرية الكلمة والتعبير، وواجب الشجاعة في إبلاغها. وقصة من ذلك فساد ما يكتب على لسان الثوروي ويسقط للناس مكره لا حلال. فصل حصة لخدمة النخبة، وما شاع في عصره من حرق الناس حرقاً، وحرقة خبير وأتقى، وماذا عسى أن يحسب حرق من كان على سيرة الحق وفساد التضمير وأكل السمحت من ... من حيث سطره يوم تجري كل نفس ما عملت. وذلك لأن العدل بق خالد، وهو ... من قبل للملك (مريكارغ) وهو ... (عند الرب) من الثور ... الحق إلى العهد القديم في أمثال سمان (٣: ٢١)، «فعل العدل والحق أفضل عن الرب من الذبيحة»، فثبتت لهم بعد منوك هذه الأسرة إلى إشار أنفسهم بالأضحية الفخمة ... وسرجيه جهودهم إلى ... وسعدده ابرعية، ولئن كانوا قد نشأوا من طيبة، ووجهوا ... فلقد نقلوا عاصمة ملكهم إلى ... غير بعيد من واسط ... السبعة السبعة الخصيبة من أرض ... حيرة لبلاد والعبيد، حيث ... خزاناً ضخماً، ... مصر أمواهاها، فما تلبث أن ... إلى حقل مصر زهاء

سبعة وعشرين ألف فدان من أرض تزرع عند الفيود، كنت من غير ثلث مصدراً من مصادر الرفاهية في بلد تعتمد رفاهيته على الزراعة والري. ولقد كان ادخار ماء النيل والحكمة في الإفادة منه بالقسط، بما تقتضيه علماً واعياً بمواقيت فيضيه ومناسب دقته، وكان فراسين هذه الأسرة متسطين حكماء اتبعوا في ذلك سبيل الحكمة والسبيل، فكان لهم في أقصى الجنوب عند الشلال الثامن رجل يرقون المناسب على النصح. فإذا ما أبلغ ولي الأمر بما يرون من «نيل صغير» أي منخفض أو مسكر أو مستأخر، اتخذ ما يضمن النتائج الأكبر والمحصول لأوفر، وحب البلاد ما عسى أن تتعرض له من أخطار، وكذلك فقد استعمل منوك هذه الأسرة مناجم سياء استعمالاً طيباً، ثم أولوا بعد ذلك لشجرة حر حبه جهد استطاعتهم، من الوشائج الثينة والأمن والسلام، حيث نعت مصر يومئذ. كما قدمنا. بنفوذ سياسي ومركز تجاري، وسلطان ثقافي متين في غرب آسيا بنوع خاص، فلا جرم يفخر أمنمحات الأول بأن لا جائع في عهده، ولا جرم تكون مصر قيلة لطلاب الرزق والعلم، حيث تقدم لهم ما يشاءون من غذاء البدن والروح جميعاً.

ولم يصل هذا الشعب إلى ما وصل إليه من ذلك، إلا بعد كنفاج اجتماعي طويل امتد من تاريخ مصر احتباباً واسعرق أحبالاً، وسعت فيها منذ الدولة القديمة أو آخر الأسرة الرابعة في القرن السابع والعشرين من قبل مولد المسيح، حتى مظان الدولة الوسطى في القرن العشرين. صراخ ركب السياسة وركبته السياسة. فذيل فيه من حكومة إلى حكومة، ومن دين إلى دين، ثم عرج عجاجة وأصلخم عيابه سقراط الدولة القديمة في أعقاب الأسرة السادسة، والعنف، والهدم، وسكت







حيث سطر أصول الحكم الصالح وأعباء الحاكم الرشيد، وشرح حق الرعية عليه وواجهه نحوها.

وقد كانت الأفئدة يومئذ قد تحولت إلى معان جديدة، ومبادئ جلييلة فغلبت فيها على المادة الروح، إذ رأت السعادة في صالح الأعمال، وفيما يكتسب المرء من فضائل، فأشادت الأقدام بالنظام والعدالة، شرب أن الخلد لا سرور له وجهه أو ثراه. وإنما سبيله اجتناب الآثام. وهي بعد قد أرهقت بما علم الأنبياء وأعدت الناس لما يبعثون به كافة للناس من رسالة ودين، بل نطقت بما ثبته الأنبياء بعد عصرها بلفظه ومعناه.

ولاشك أن إبراهيم، قد أفاد بما رأى وسمع، حيث طفق يتأمل ويستدل نفسه فيما شهد من سيرة الناس، وليتبين الهدى فيما يعبدون من نجم وقمر وشمس.

سبحان من يرى ملكوت السموات والأرض وليكون من عباده من يرى ملكوت السموات والأرض. فلما رأى الشمس والقمر والنجوم من غير أن يرى لهم سلطاناً قال هذا ربى هذا ربى فلما أفل قال لا اله الا الله ربى فسبح ما رزعا قال هذا ربى فلما أفل قال لا اله الا الله ربى هذا اكبر فلما طلعت قال يا قوم اني بربى ممنا فلما رآه من تحت رجليه لم يكن يخطئ الى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين [الأنعام: ٧٥ - ٧٩]

Volten, Zwei Altägyptische Politische Schriften (Kopie von 1948)

- ٣ -

يوسف

لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين . يوسف

كان دخول يوسف مصر على المشهور أيام احتلال الهكسوس مصر وقد كانوا آسيويين ساميين، أو تبينت فيهم العناصر السامية من سوريا وفلسطين. دخلوا مصر أواخر الأسرة الرابعة عشرة غزاة فاتحين، بغريتهم ضعف البلاد السياسى، وتغريهم قوة ثروتها وخصب أرضها، وتدفعهم من مواطنهم فى ذلك العصر ظروف طبيعية صعبة ساد فيها الجفاف وصوح الزرع وقلت الموارد وحل القحط الذى بلغ ذروته، ثم امتد حتى شمل مصر فى أعقاب مجيء يوسف بسنين.

ولقد ترك فتح الهكسوس مصر أثراً لا يمحو فى نفوس المصريين، تحدث عنه المؤرخ المصرى «مانيتون» فيما روى عنه مؤرخ اليهود يوسف، فيقول: «لو كان هناك ملك لنا يدعى تيمائوس» وقع فى عهده. ولا أدري كيف. أن غضب الله علينا، فجاء على حين غفلة قوم من أصل وضع من ربوع الشرق، كان فيهم من الجرأة أن حملوا على بلادنا، ويسهولة أخضعوها بالقوة، وإن كان ذلك بغير الالتحام فى معركة معهم، فلما

أخذوا حكامنا تحت سلطانهم، عمدوا بعد ذلك فأحرقوا مدننا، ونقضوا معابد الآلهة، واستغلوا الناس استغلالاً وحشياً، إذ قتلوا بعضهم وساقوا... وأزواجهم أسرى».

وتحدثت «حاتشبسوت» من بعد انحسار دولتهم، وانقضاء زمانهم... وسبعين عاماً، تشير إلى ما وقع بمصر بقولها: «لقد أصلحت... وأتممت ما كان ناقصاً قبل مجيء الآسيويين إلى هوارة في لأرض شامية، وكان بينهم يومئذ من الهمج من وجهوا جهدهم إلى...» (1)

حماة الاستقرار أن هذبت الهكسوس فأخلدوا إلى ما... الخضارة المترفة التي أتاحتها الحياة المصرية إذ ذاك... الملوك المصريين وألهتهم وأطرافاً من حضارتهم،... وأتبعوا فيما بعد نوعاً من التعايش السلمى مع... الوطنيين في أقصى الصعيد، ولقد صورت لنا ذلك... عن ملك ضيعة «كاموسى» أنه لما عزم على إجلاء... القتال معهم قال: «وددت لو علمت الفائدة من...» (هواره) أمير وفي النوبة آخر، حيث يقبض... الأرض، وإننى لن أتركه... انظروا... (الأشمونين)، فقال بعض جلسائه من الأشراف... الهكسوس قد أدركوا القوصية وأخرجوا لنا جميعاً... نصيينا من مصر هائنين، فالناتين قوية، والأرض

Breasted, Ancient Records II § 303 (1)

الوسطى معنا حتى القوصية، وأحسن حفولها تحوُّث من أهلنا وثيراننا... في الشمال، والحبوب ترسل ختازيرنا ولن تؤخذ منا ثيراننا».

ومهما يكن من شيء، فقد اتخذ الهكسوس عاصمة ملكهم في شرق الدلتا في مدينة حوت وعرة (هواره)، حيث فتحو أبواب مصر الشرقية لهجرة العناصر السامية والكعبية من بنى جندتهم فدخروا... (1) وكان منهم من غير شك الرعاة الذين قنروا على مصر يطلبون المرعى الغزير والحياة السهلة والإقامة لتاعده. ولعل ذلك... بالمؤرخ المصرى «مانيتون» إلى تفسير اسم الهكسوس بملوك الرعاة.

وفي هذا الزمان الذى أظلم مصر، أقبل يوسف عبيده... الهكسوس من غير شك قد أدخلوا بعض المصريين من أهل الدلتا المحتلة فى خدمتهم، واتحلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم... دل على ذلك، كما ورد فى التوراة، اسم العزيز الذى اشترى يوسف وأدخله فى خدمته «فوطيفار» وهو اسم مصرى مصحوف عن «بادى» (بدر) بمعنى عطية رخ، وكذلك كان فيما روى كتاب التفسير اسم امرأة العزيز «زليخا» إذ هو اسم ملحوظ الصلة بما عرف من أسماء مصريات فى الدولة الوسطى، فقد الحذر إلينا من أسمائهن ما قد برز... اسم زليخا؛ وربما صحفت طائفة من كلمات متجاسة حرقها... اختلفت أصولها ومصادرها فى لفظ واحد، ومن ثم فقد يكون... زليخ مؤنث «سروخ» أو «زلوخ» أو محزوء «زروخ» بمعنى غداح

H. See: Studien zur Geschichte und Archäologie der 13 bis 17. Dynastie (1)  
Ägypten unter Berücksichtigung der Skarabäen dieser Zwischenzeit  
(1942) p. 70

في ذلك اليوم من أي رحو بمعنى بنت العالم، أو من زى ختى أو  
ي خرتي أي بنت خنتى وبنت خرتي<sup>(١)</sup>، وكان حتى وخرتي من آلهة  
المصريين التي قدمت خاصة في الوجه البحري<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك ما عسى  
أن يكون من أثره في العبارة في شمال مصر حيث كانت تحت  
الاسم من رحو من سمس آبه الهكسوس.

\*\*\*

في ذلك اليوم من أي رحو ابنت للسائلين<sup>(٣)</sup> إذ قالوا ليوسف  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(٤)</sup>  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(٥)</sup> وتكونوا من بعده

في ذلك اليوم من أي رحو ابنت للسائلين<sup>(٦)</sup> إذ قالوا ليوسف  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(٧)</sup> وتكونوا من بعده  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(٨)</sup> وتكونوا من بعده  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(٩)</sup> وتكونوا من بعده  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(١٠)</sup> وتكونوا من بعده

Ranke, Op. cit. I S. 292, 293.

في ذلك اليوم من أي رحو ابنت للسائلين<sup>(١١)</sup> إذ قالوا ليوسف  
يا يوسف يا ابننا لفي ضلال مبين<sup>(١٢)</sup> وتكونوا من بعده

David H. Rankine, ed. 1990, p. 18.

يا قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوة في غيابة الجب يلتقطه  
بعض السيارة إن كنتم فاعلين<sup>(١٣)</sup> | يوسف : ١٠

وقد قدر ليوسف أن يدخل مصر عن هذا الطريق إذ ستأمن حذره  
أباهم يعقوب في اصطحابه إلى حيث يرنعون وينعمون<sup>(١٤)</sup> حسين

يا قالوا يا ابننا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون<sup>(١٥)</sup>  
أرسله معنا عدا برتع ويلعب وإنا له لحافظون | يوسف : ١١

وظاهر في قولهم ما لك لا تأمنا أنهم كانوا تقدموا إلى يوسف  
في اصطحابه والخروج به، فأظهر إخوة يوسف<sup>(١٦)</sup> ولشك فيهم، وقد كان  
يعدم أن في نفوسهم وقوتهم ذنب ضار يبرح من رحو<sup>(١٧)</sup>

يا قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الدب وأسمه عنه  
عافلون | يوسف : ١٢

فلما ذهبوا به واجتمعوا أن يجعلوه في عيابة الجب ورحيل  
لشئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون | يوسف : ١٣

وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا  
علام وأسرود بضاعة والله عليهم بما يعملون<sup>(١٨)</sup> وشروا تسع سنين  
دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين | يوسف : ١٤

وقد حصل يوسف إلى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من أسس  
ولسنا الأسويين نلنى يومئذ من الزواج، ما يدل عليه ما كشفت عنه

بردية في متحف بروكلين بنيويورك الآن<sup>(١)</sup>. ولعل في بنخس ثمن يوسف دليلاً على زيادة المعروض للبيع من العبيد في ذلك الزمان. فقد جاء في تلك البردية ذكر ما يربو على أربعين آسيوياً بأسمائهم الآسيوية. مما منحهم أسماء مصرية، من نيف وثمانين كانوا يعملون خدماً في بيت واحد من عصر الأسرة الثالثة عشرة، قبيل مجيء الهكسوس. ولم يبق من تلك البردية سوى جزء صغير من تاريخ تلك البرهة، وأحوال عصر المواجهة، أن يكون هؤلاء مع إخوان لهم في بيوت أخرى، من حروب في زمان لم تقع فيه حروب، وإن دلوا على حركة شعوبية هائلة أدت إلى لجوء مثل هذا العدد الضخم إلى مصر كما وقع.

من مصر لعزير مصر «فوطيفار» حيث أنزله منزلاً. واستبدل باسمه العبري يوسف اسماً مصرياً.

من شراء من مصر لأمراته أكرمي مثواه عسي أن ينفعنا. كذلك مكما ليوسف في الأرض ولعلمه من تأويل. على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢١) ولما بلغ أشده أتيه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين.

[يوسف ٢١، ٢٢]

وبذلك انقطع ما صار إليه عما كان عليه، وانقسم حاضره عن غايته،

Pritchard, Op. cit. p. 558. Hayes, N.C., A papyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum (Brooklyn 1955)

وبدا هو مصري في مجتمع الخديد سمته الجديد واسمه الجديد، فهو يعرف بغيره.

على أن الأيام لم تشأ أن تصفو ليوسف على طول المدى، فقد أقام في بيت العزيز مكرماً متمتعاً بثقة سيده الذي عهد إليه بشئون بيته. «هوئله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له». وترك كل ما كان له في يد يوسف، ولم يكن معه يعرف إلا الخبز الذي يأكل (تكوين ٣٩: ١٦). ولكنه كان في أثناء ذلك ينمو، ويتمتع بجملة القوة والحيوية، والنسب الزاخر، فيروق امرأة العزيز.

«ورادته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون (٢٣) ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك تصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المحسنين (٢٤) واستغاث الناس وقدرت قميصه من دبر وألقيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) يوسف ٢٣ - ٢٥»  
هنالك ادعت عليه السوء، وبما تسميه اليوم بالتحرش الجنسي، ورمته بالعدوان، واتهمته عند زوجها باحياة والغدر واستعبدته عليه. وطالت بتعذيبه وسجنه.

قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) يوسف ٢٥

فما كان من الزوج حين دفع يوسف عن نفسه النعمة عليها إذ قال هي راودتني عن نفسي (٢٦) إلا أن يحقق قولهما.





تد تحالف عن طسعة الأشياء في مصر وتخرج عن سليفة المصري، بما  
ركب فيه من الأنفة والحمية والكرامة والكبرياء، ولو قد نظرنا - كما قدمنا  
إلى بعض قصص التوراة، لوجدنا قصتنا هذه أشبه بقصصها وأدنى إلى  
الصدق. على أن سر عن مجتمع المصريين الأصيل، وتحالف  
تأليدهم وأذواقهم خلافا كل خلاف، فما كان لمصري أن يحتمل أو  
يسكت كما أراد يعقوب، وقد تعرضت ابنته لاغتصاب شكيم بن حمور  
(٣٤-١-٣٥) أب يعسر عن مثل ما روى عن بكر بنى إسرائيل  
... مضجع مع سرية أبيه وسمع إسرائيل (تكوين  
وما وقع فيه يهوذا من الزنى بأرملة ابنه، على جهل  
... حركه باحراقها لإثباتها (كذا) ورجوعه عن ذلك القصاص  
حين تبين أنه هو الذى قارف الزنى بها (تكوين ٣٨: ١٤-٢٦) ولا  
من المجتمع المصرى ليطبق ما شاع عن داود مع أوريا وزوجه كما قدمنا،  
ولما اترف ابنه أمنون بن داود، وقد احتال حتى اغتصب أخته ثامار  
من أبيه اغتصاباً (صموئيل الثاني ١٣: ١-٢١)، فلقد كان المجتمع  
مصري القديم مجتمع التقوى ومكارم الأخلاق، وكان حكمه على مثل  
مثل جرائمه عتيفاً قاسياً، فلم يكن المصرى ليقبل فى الخيانة والخنا هوادة  
... بوجه بدنتهم بالإفك عند زوجها، مضرب المثل  
... فى قصيدة المصرى القنوط، الذى كره الحياة  
... وسعدت إليها عن عصر الدولة الوسطى، غير  
... من عصر يوسف، مسطورة بالخط الهيروغلى على بردية يحفظها اليوم  
متحف برلين.

Erman, Gespräch eines Lebensmüden mit seiner Seele (1896) S. 341 f.

## أدب المصريين القديم مرآة لخلقهم القويم:

وما يروى من قصص المصريين وآدابهم ما يصور مثلهم العليا التى  
كانوا بها يستمسكون، ويصور ما جعل منها فى حياتهم وأحاديثهم،  
ولم تجرت للتسلية وإحسان الفراغ. روى عن خوف فى برده وسند  
أنه جلس يوماً وحوله الأمراء من بنيه يتحدثون إليه ويسمرون معه،  
فحدثه «خعفر» من عهد سلف له من الملوك عن كاهن من حاشيته  
المقربين يدعى أوبا أونر، كانت زوجته تعلقت بفتى من أهل المدينة، كان  
ينسل إلى قصر ذلك الكاهن، فيتفق معها - فى غياب زوجها - سحابة  
النهار، فى كوخ منعزل فى حديقة القصر عند البحيرة فيها، حيث يتزل  
الفتى ليفتسل فى أعقاب خلوته. على أن ناظر القصر، وقد سدرت المرأة  
فى غيها وأوغلت تعمه زمنا فى ضلالها، قد عمد فمشى بخبرها إلى  
زوجها، فكان أن صنع من الشمع كهينة التمساح، فألقاه فى البحيرة.  
بعد أن قرأ عليه من عزائم السحر ما حوله إلى تمساح مفترس عظيم، فلما  
نزل الفتى إلى الماء قبض التمساح عليه ونزل به إلى الماء، ثم تحدث  
الكاهن بخبر زوجته الخاطئة إلى الملك، ودعاه إلى بيته ليشهد العشيق  
الشاب بين فكي التمساح. هناك وقف الملك على حافة البحيرة مع  
الكاهن الذى نادى على التمساح فخرج إليهما فريسته، فأمره الملك  
وقد فرغ من مظهره - أن «خذ مالك». ثم طردت الحية بحديثها وقدمت  
إلى ساحة شمالى القصر حيث أحرقت علناً، وألقى رمادها فى النهر  
وذلك عقاب الزانية المحصنة فى ذلك الزمان.

Erman, Die Märchen des Papyrus Westcar (1890) 120.4.10, Lefebvre, Ro- (1)  
mans et Contes Egyptiens de l'Epoque Pharaonique (Paris 1949) p. 70-77

وثمة قصة أخرى من قصص المصريين، بدأ حرصهم فيها على رفع سلطان العدل وحرمة الأخلاق، إذ انحدرت إلينا على بردية استقرت اليوم في المتحف البريطاني باسم بردية «تشستر بيتي الثانية»<sup>(١)</sup> قصة بطلها شخصان معنويان هما الحق والباطل، ورد فيها أن الحق كان له ولد من زواج لم يشهر للناس، فلما أرسل إلى المدرسة، سمع من أترابه عسراً في نسبه وتساوياً عن أبيه المجهول، فعاد الولد إلى أمه يسألها عن ما اسم أبي حتى أحدث به زملائه فيقولون في خبت أين . كذلك يقولون ويؤلموني؟ ولقد أوجب الولد مع صغر سنه . من أمه الموت حين أوشك أن يتهمها ويظن بها الظنون، وحكم بما يستحقه عدل المصريين يومئذ وتقاليدهم . بأن يدعى رجال أسرتها بحميراء بسبها، وليلقوا بها إلى الهلاك في النهر إلى تمساح يفترسها حميراء وفقاً ما اقترفت، وفي ذلك حكم من المجتمع المصري، شاء صنف لقصة أن يحرق به لسان صبي على من كانت له الردء والسند . حكم يصدر من ولد على أمه إعلاء لما لا يجاوز، ولا يعلوه من دغائه الفضيلة والأخلاق، ولا شفيع عنده في ذلك ولو كان

قد حفظت لنا فضلاً عن ذلك قصة كانت أقرب شبهاً بقصة يوسف . حيث في موقف الزوج المخدوع، تلك هي قصة الأخوين التي حفظها المتحف البريطاني على ما يسمى ببردية «دور بيني»<sup>(٢)</sup> . وهي أخرى . كما شاء لها المصنف . في ريف مصر، حيث الزراعة عماد الحياة،

وحيث النظام الاجتماعي لدى يوجب على الأخ الأكبر الفومة على أخيه اليتيم، فيضمه . كما فعل العزيز . في بيته بينه وبين زوجته . حيث كان له بمنزلة الأب والأم . الرجل يعتمد في ذلك على ما يمدد المجتمع يومئذ من إخلاص الزوجة وأمانة الأخ وعرفته مع مشاعر الأخوة واليوقة فيهما . ثم لا عاصيه أو رقيب بعد ذلك إلا المظنة لسميته . حتى القويم . وقد مصت القصة وروت أن الأيام قد تبعت على الأخ الصغير . وهو يشب ويكبر ويتفجر رحله شباب ناصح وقوة عزيمة . بعد الزوجة إلى «سلفها» فيعجبها شابه الفاتر العفيف فتزوجه من نفسه . فعلت امرأة العزيز . غير أن الفتى يغضب لما تردت فيه روح حبه . كانت له . كما قال لها . بمنزلة الأم من الحباة والإستاف . ريشه من غنيقاً . ولكنه يعدها بكتكتان نمرود عن أخيه الذي قدم عليه من بلاد . على أنها تخشى علم زوجها بما وقع منها فتتيت في نفسها . فادع زوجها إلى البيت مع المساء التي الست مظلمة . وأنها . فادع زوجها مرض وألم مزعوم . فلم تنهض لاستقباله . أو بارة بيت . فادع زوجها . ثم زعمت له حين سألها أنها بعرضت من أسسه بعد . فادع زوجها نفسها للعدوان ومحاولة الغصب ثم الضرب . وإذا بالأخ يثور ثورة هائلة كأنه لفهد الضاري ويشحذ خيجه ليفتك بأخيه . ثم صفق يضارده حتى كاد أن يدركه . لولا أن حال بينهما نهر عاصي . فادع زوجها ضفتيه يتحدثان . واستطاع الفتى أن يشرح لأخيه الحق ويبريء نفسه . وإن كان قد أعلن إليه أنه لن يساكنه . ولن يقيم في بلد هو فيه بعد اليوم . ثم رحل عنه إلى وادي الأرز في لبنان . وعاد الأخ لأكر حبيب كسفت البال إلى بيته حيث انتقم من زوجه بقتلها وإفداء جثتها للكلاب . وذلك أشع صور الانتقام في نظر المصري القديم . حيث الحرمان من

Hieratic Papyri in the British Museum 3rd Series, Vol. I, p. 2-67 Vol II pl. (London 1935); Lefebvre op. cit. p. 159-168

والشعائر الجنترية حرمان من الحياة الأخرى وقضاء بالفناء الأبدى الذى  
يُفرق منه كل مصرى ويخشاه على الجسد والروح جميعا.

... عن الفلاح المصرى، ومعه رأى المؤلف المصرى والمجتمع  
مصرى. حين تلقى النبأ بخيانة زوجته؛ وشتان بينه وبين عزيز الهكسوس  
تلقاه عن زوجته. فتلقيه هادئا، وقد شهد شاهد من أهلها، فما زاد

« واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين » [يوسف : ٢٩]

... أمثلة المصريين السائرة ما يدل على مسئولية الرجل عن  
... بـ سيفضة لزوجته حتى يجنبها مواطن الزلل، فإن زلت كان  
... أو تراخ منه فكأنما وقع برغبته وإقراره ورضاه، إذ قالوا  
... « إنما نكح المرأة برغبة زوجها »، وفى ذلك المثل من البشاعة  
... أى رجل - أى رجل - ويقيم على التحفز لكل شبهة تخوم  
... أو تنال من سمعتها وسمعة، ولذلك كانت قسوة العقوبة  
... فيها شفقة أو رحمة، وحرضت عليها تعاليم عنخ  
... فى قوله : « لا تقتل حية وتترك ذيلها ».

... عن ذلك فقد كان المصرى أدنى إلى الطهر والتعفف بحكم  
... وبحكم وثيق إيمانه بأن الجريئة لا تغفل بغير عقاب، وأن  
... من جنس العمل، إذ رسخ فى أعماقه من قبل المسيح ما قاله  
... : « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ويزاد لكم »

Glanville: Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum Vol. II The In-  
structions of Onkhshashanky (London 1955)

(مرفس ٢: ٤، مى ٢: ٧)، وعن تلك العقوبة صدرت تعاليم  
شاشانكى فى قوله : « من نكح زوجة على سريرها كحمت روحته من  
الطين » و« من نكح زوجة قتل على عتبة دارها » (١)

ولم يكن المجتمع المصرى أيام الفرعون على كل حال - مجتمع  
الملائكة والأولياء الذين لا يتصرفون إلا بأمر نكسوس - بل كان  
المارق، لا الخارج فى مجتمع أنى كان، ولكن الحديث إنما يعالج صبغة  
مجتمع العلية وخصائصه ليرورة وتقليده السائدة وموقفه من  
وشتان بين مجتمع يرضى أو يتغاضى عن السوء، أو يقول قائل فيه  
« أعرض عن هذا » كما قال العزيز، ومجتمع يرفضه ويأباه ويعاقب عليه  
ومن شواهد الحفاظ على الفضيلة والحياة السوية ما كتب به رجل إلى  
زوجته المتوفاة التى كانت - فيما يبدو - أسن منه قال :

لقد اتخذتك زوجة حين كنت يافعا

وظللت معك إذ تقلدت وظائفى

ظللت معك ولم أبعدك ولم أحزن قلبك

فعلت ذلك وقد كنت شابا

أتقلد كل خطير من المناصب لفرعون دون أن أبعدك

قائلا : لقد ظللت معى (دائما)

فما وجدتني أهملتك بدخولى منزلا آخر

ولما مرضت . . طلبت طبيبا ماهرا يمرضك

op. cit., pp. 49, 53. (١)

ثم يكتنث مع أهلي

وهاعد أمصيت ثلاثة أعوام مقيما (وحدى)

لا أدخل بيتا (لا أتزوج)

... لا يصح ثلثي أن يفرص عليه ذلك<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وإذ قل أنى لابنه وهو يعظه<sup>(٢)</sup>:

... عربية مجهزة في بدنتها

... وجه إليها خاطك ولا تقارف إثما معها

... من عتق سنون دنماتك إلى جميمة

... تصدى لك شبكها

... من حصه تستحق موت إذا لمء استجاب لها

\*\*\*

تلك دعائم المجتمع المصري من رفض الزلل والحملة على السوء،  
... في مواقع العتيدة التي ألهمته القوة فيما  
حل به من ملمسات وما نزل به من نوازل وخطوب، فكانت له الذخيرة  
التي أخرجته من المحنة بعد المحنة واجتازت به النكسة بعد النكسة.

... من دليل على فصالة نفسه ونبل مشاعره، ما انتهى إلينا من  
... من بحث ونقش ورسم وتصوير على مدى الأجيال

Gardiner Sethe, Egyptian Letters to the Dead (London 1928) p. 81

Volten, Studien Zum Weisheitsbuch des Anki (1937) p. 130 ff

والقرون وتقلب الأحقاب والعصور، فإذا بها في مجموعها تغالب عسى  
سمت من الجلال والوقار، حتى لتكاد تخلو عما ينبو عن الدوق لسيه،  
أويند عن الخلق القويم.

ولقد أقام المصري تاريخه على رفض ما لا يستقيم مع خفته، حذره  
عليه والتحذير منه، حريصا على ما وجد به عسه من العدة، متشبها  
عائفين، فكان استمساكه بذلك أمما، يثيله من محنته ووقه يرده عن غته.

ونستطيع أن نتبين هذه القيم الأخلاقية الرفيعة فيما آل إلينا من نصائح  
الآباء إلى الأبناء، وما كانوا ينقشون في قبورهم من إنشادة بصلاحيهم في  
القول والعمل، وبرهم بالناس واحترام حقوقهم، وما يسعى أن يبرروا  
الرجل من ديبه لأحواه من صالح الأعمال، وما من شك في أن نفس  
مذ الدولة القديمة كانوا يؤمنون بالأجر وثوبة في الآخرة على ما قدمه  
الإنسان في الدنيا من خير، ويؤمنون بما سوف يتولاه «الإله العظيم» عليه  
من الحساب، أو «فصل الخطاب» على حد تعبيرهم، ولقد كان الروح  
الديني وإيمان الناس بالحساب عميقين في النفوس، وكان المصريون في  
معاملاتهم بعضهم مع بعض، يعتمدون في ضمان حقوقهم وسلامة  
أملاكهم وقبورهم على ذلك الوازع الخلقى والديني، وعلى استشعار  
الخوف من الحساب في الآخرة، ولذلك فقد كان دينهم في القور من  
الأسرة الرابعة، تذكير الناس ممن تسول له نفسه الاعتداء على القبر بذلك  
الحساب الذي سوف يتولاه الإله العظيم، في مكان الحساب في الآخرة  
ويبين لنا ما لهذا الإيمان من وازع في النفوس ما حدث به «رامنوك» من  
الأسرة الرابعة من ورعه وتقواه بأنه إنما امتنع عن أن يبرز أحدًا فيما يثلث  
لأنه تذكر حساب الإله في الآخرة.

وحاصله نير الذي يؤهل الإنسان للحياة الرغدة في الآخرة، أن يكون طيب الذكر حسن الأحدثة بين الناس وأولى القربى بنوع خاص، فـ يكون باراً بأمه وأبيه، ويظفر بحب إخوته وتكريم أقرانه حياه. وإن تطهر الزوجة بحب زوجها وتكريمه، وأن يكون نتحدث بالحق ولا يقول إلا طيباً ولا يردد إلا طيباً، ولا

يكن من البير أن يرحموا الفقراء والمساكين ويرزقوه  
ويكسبون العارى، ويتعهدون من يوافيه  
والأكفان، ويتصدقون بالعون والمساعدة على  
أن يكون له زورق يعبر به، بل يحرص المرء على  
خدمة الناس وهو غير راض.

تحت احتياهم أحفوف، وكف النفس عن الغصب والظلم وحرمان  
شبههم فضيلة أخرى، يرجو الناس بها المثوبة بعد الموت، وكانوا  
يكنسون في العمال الثواب من الله، ويتغنون عنده  
سيرة وميرة بهدية الناس إلى حمده، وذلك كما كتب إيدو في قبره:  
«علت الله محمد من المثنين الذين صنعوا هذا القبر إذ أرضيتهم  
خالني طلبوه مني حباً في أن أكون معظماً عند الإله»، وكانت  
دومعة ختية هذه كلها صادرة عن إيمان بالإله الحكيم العدل الذي يملك  
شبه العقاب خفياً وطمعاً وفي ذلك يقول أحد الأشراف: «ما ظلمت  
من دعة قات حتى يتخوسى إلى إله المدينة»، وكذلك فقد كان يبغي  
من دعة قات ته إلى ظلم الناس وتسخير باتهم أو غصب أملاكهم أن

يتعففوا عن ذلك، كما أعلن حنكو في قوله: «لم يحدث أن سخرت  
بنت أحد»<sup>(١)</sup>.

وبعد، فهذا مجتمع وذلك مجتمع.  
هذا مجتمع مصر الصريح، وذلك مجتمع الدخلاء الفبيح  
ونعود بعد تلك الوقفة إلى يوسف في بيت العزيز.

فقد استطاعت امرأة العزيز مع ذلك أن تدبر له عند زوجها وتنام  
عليه حتى حملته على إرساله إلى السجن، ودخل معه السجن  
فتيان ﴿يوسف : ٢٦﴾

ثم تشاء المقادير التي دفعت بالأحلام إليه في موطنه، ومستط رأسه  
قبل أن يخرج منه أن تدفع بين يديه بحلمين رأهما الفتیان من صاحبي  
سجن لتخرجاه من السجن. لا قال أحدهما إني أراي أعصر حسر  
وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه سنا  
بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴿يوسف : ٢٦﴾

كان تعبیر الأحلام في مصر خبرة وعلماً له أهله ممن لم يعلم بهم ملك  
الهكسوس، إذ كانوا يؤولون للناس إذ يقصدونهم، أو يصنفون من  
الكتب والمراجع ما كانوا به يستأنسون، وما كان في حضارات أخذت عن  
مصر من حولها منهجاً ومقاماً<sup>(٢)</sup>، ولنا فيما هو محفوظ اليوم بالمتحف

(١) Urk 146, 150, 170, 171, 173, 80, 251, 255, 186, 120, 75, 71, 77... etc  
(٢) Gardner, Hieratic Papyri in the British Museum. Third Series. Chester Beatty  
Gift Vol. I p. 22ff.

البريطاني على بردية باسم «تشتري بيتي» دليل ظاهر، ومنهج في التأويل لا يكاد يختلف عما لحظنا في حلمي صاحبي سجن يوسف، وقد كان قائماً على التورية والكناية والتشبيه والمقابلة والجناس، وذلك كما نربط بين حياتنا اليوم بين العيش بمعنى الخبز، والعيش بمعنى الحياة؛ ومن أمثلة ما أولوا من أحلامهم. أن الحياة الطويلة تكون لمن يموت في المنام، وأن من رأى نفسه مع من هو أكبر منه بشر بالترقية إلى منصب أكبر، وكذلك من يرى في المنام أنه يكتب في لوح فإنه مثبت في منصبه، ومن أمسك في حلمه بقوس توقع منصباً خطيراً، ومن صوب نحو هدف فهو مصيب خيراً، ومن حلم بتسلق سارية رفعه الله عالياً.

... في السينة اشتعال النار في الفراش إذ هو نذير بطلاق ... لرجل نفسه في المرأة كناية عن نفس ثانية معه أى زوجة ...

ومع ذلك فقد يختلف تفسير الحلم الواحد فيتناقض بين الخير والشر، فهو من ثم قائم على أهواء المفسر أو سياق الرؤيا، كأكل لحم الثور مثلاً كبرن بشير خير يصل إلى المرء أو نذير صراع وقتال ينتظره<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ولذلك فقد حار الفيلان من صاحبي سجن يوسف فيما عسى أن يتفكرا من حلميهما، ذلك أن الحلم بشرب النبيذ عند المصريين - في أحد تفسيرين - قال حسن للمرء بحياة بريئة عادلة، وفي آخر أنه يفتح فمه للكلام، على حين كان تخمير البلح بشيرا بطعام يأتيه، ولو قد حلم

(١) Ibid Vol. I p. 13 f, Vol. II pls 6-7

أحدهما بذلك لعرف يوسف بتأويله. ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاهُ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ١٣٧]، وكان للحلم نكت العنب أكثر من تفسير واحد، فهو بشير للمرء بتسلم أمتعته، كما كان أكل العنب والتين نذيراً بالمرض والداء، ولعل أول الفتيين من صاحبي السجن قد كان - بعصره الخمر في المنام - أقرب إلى الأمل في براءته وعمو الملك عنه، ولذلك فهل يستدعي ليستأنف الكلام دفاعاً عن براءته أم إن براءته قد أقرت له فيطلق من سجنه فيسلم أمتعته ويحيا حياة بريئة عادلة ويعود لسقيا مليكه كما كان من قبل، أم عساه يقع فريسة لمرض يصيبه، أما ثاني الفتيين فكان خليقاً بحيرة أشد وأككى - ولعله بدأ ارتكب له - كن مطمئناً على نفسه من القصاص، ولعله تأرجح بين ما رأى من خبز وطير؛ فقد كان الخبز الحواري في المنام بشيراً للمرء بشي - بشق - وجهه، على حين كان صيد الطير، أو رؤية صيده نذيراً بمصادرة أملاكه<sup>(١)</sup>.

وتصدي يوسف لتأويل الحلمين على غير مألوف الفتيين، ولا استعداد للجدل معهما فيما كانا يعرفان قايلاً: ﴿ذِكْرُكُمْ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، ثم قال: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنُ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١) وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين. [يوسف: ٤١، ٤٢]

(١) Ibid I 12, 17, II pl. 5,7





## مصر والمجاعات

وقد كانت مصر عرضة للمجاعات، وفترات من تدهور التاج من  
على وجهى على مر العصور، وقد كان ذلك فى أكثر الأحيان من  
سبب سوء الحصاد، وسبب فيض النيل وإخلاله بالوفاء كما تعود، وتعود منه  
الناس كل عام، فإذا تدهور وأقام على نقصانه لم تكدمياه لتصل إلى  
الأرض التى تحرق شرقاً إليه وتنتظر العام كله أو جلّه للقائه، وعندئذ  
لا يرى ولا استنبات ثم لا زرع ولا ضرع، فتكون الكارثة التى تنزل  
بالبلاد والعباد

فيض النيل على كل حال صاحب الزمام فى الحياة المصرية  
به تخور لزراعة التى تدير أهلها عامهم كله، ويفضله تعلموا  
منه هذه العصور ادخار الحصيد والقصد فى إنفاقه حتى يعود الفيض  
فلقد عثرنا منذ حضارات العصر الحجري فى مصر وطلائع  
يحجب على ما اضع ادخار الغلال، بل لقد كان انحباس النيل ونضوب  
نيل مصر صلة بما كان ينزل بها من الضعف السياسى وتحلل  
مركزية وتدهور الأمن واضطراب النظام، فيكون شيوخ الفساد  
الجزئية مع القحط والجوع شراً مستطيراً وشقاء متصلاً يحل  
بالناس فيترك فى نفوسهم وعقولهم أثراً لا يمحي، أو لا يكاد يمحي،  
في ذهابهم ذكريات تصور بعضها عبارة لهم عن عام اشتدت  
قسوته، واستشري فيه الجوع فى الناس والحيوان، فسموه عام الضباع،  
وهو يذكرنا بما أطلق الناس على عام القحط الذى نزل بالمدينة أيام عمر  
ابن الخطاب رضى الله عنه من عام الرمادة، وما للمجاعة من اسم الضيغ  
فى العربية.

وقد يبالغ النيل فى فيضه أحياناً فتتغظم أمواجه، وتضرى أمواجه فيد  
هو يندفع طوفاناً عنيفاً مدمراً مغرقاً كل شىء، ثم لا يكدم يحسر على  
الأرض إلا وقد انقضى من أوان السدر وقت قد يكون على العنة يوم  
الحصاد سبب المغبة، وإن لم يبلغ ذلك فى سنة مبيع شخص لا يند  
جاءنا من الأنبياء عن فيض النيل أنه طمأ على عهد بعض شيوخ  
ارتفع خاصة فى عهد «طهرقة» من الأسرة الرابعة والعشرين حتى غمر  
الأرض من معبد الأفرس.

ولقد كان للثورات الداخلية، والحروب الأهلية وما قد يسود البلاد  
من كوارث ومن فساد النظام ووهن الرقابة وكثير من أسباب عتلات  
لمجاعات من نصوب السلالة أثره النهاب وثقله السيف فى نفوس  
وشل هممتهم عن العمل وإعراضهم عن الإنتاج، ثم فيما يترتب على  
ذلك من شكوى الناس من جوع ونقص من الأسر والآنفس  
والثمرات. نسوق من ذلك شاهداً من حديث لبعض الحكماء من عصر  
الفترة الأولى يقال له (أبيوور) قال: «إن الرجل يمضى إلى حرثه وترسه  
معه، انظر، لقد شحبت الوجوه وأصبح الرمّة متحفرين فى كل مكان.  
ثم انعدم رجل الأمس، ولكن النصوص فى كل مكان، بل سبب يغيب  
ولا من يحرث، وكل امرئ يقول لسنا ندرى ماذا حل بالبلاد، ولقد  
عقمت النساء فهن لا يحملن، وصار الكثير من الموتى يدفنون فى  
النهر...، ودمرت المدن وأصبح الصعيد مقفراً وزحفت الصحراء على  
البلاد» (١)

1. The Great Oup 441, Gardner, The Additions of an Egyptian Sage (1)  
(Leipzig 1909) p. 23 ff.

ومهما يكن من شيء، فلقد بليت مصر من القحط والمجاعات الكثير على مر العصور، وكان الصعيد - بخاصة - بحكم ضيق الوادي، وارتفاع أرضه عن النيل وعسر الري فيه أدنى إلى المجاعة وأقرب إلى القحط - أفعل في أرضه وأبعد أثراً في أهله، مما كان في الدلتا المتسعة حصيبة ذات الرزق الوفير، وربما بلغت المجاعة من العنف والشدة حد الذي تنهى بالناس من فطرة الإنسان السوي إلى ضراوة الوحش - فلقد نزلت بمصر مجاعة على عصر الفترة الأولى - يرف من أهل الصعيد يقال له (عنخ تيفي نخت) قال: «وكان بعد نهره يموت من الجوع والرجل يأكل أطفاله»<sup>(١)</sup>.

... من ذلك اكتسبوا من ذلك حكمة التجربة وحس التدبير، ومن غلة الأرض من أيام الري لأيام الجفاف ومن يسرهم ... وكانت حكمة الملوك والحكام وحسن ... أن يخفوا عن الرعية بما كانوا يصنعون، ولو قد استمعنا - ... كتبوا خبراً مقتخرين بما كانوا يومئذ ... وغذوهم، وبما كانوا يبذلون في استتاج كل شبر ... تحت سلطانهم، وبما كانوا يدخرون من الحصيد ... من أرض يتوفر فيها الرزق إلى أرض ... وذلك كله مع حرص على شمول العطاء ...

(١) ... من مجاعات في العصور الوسطى ما وقع في عهد ... حملت الناس على أكل القمل والكلاب، بل وسوغ لهم أكل خم الشر الذي بيع علناً في الأسواق. انظر: S. Lane-poole, A History of Egypt in the Middle Ages (London 1914) p. 146.

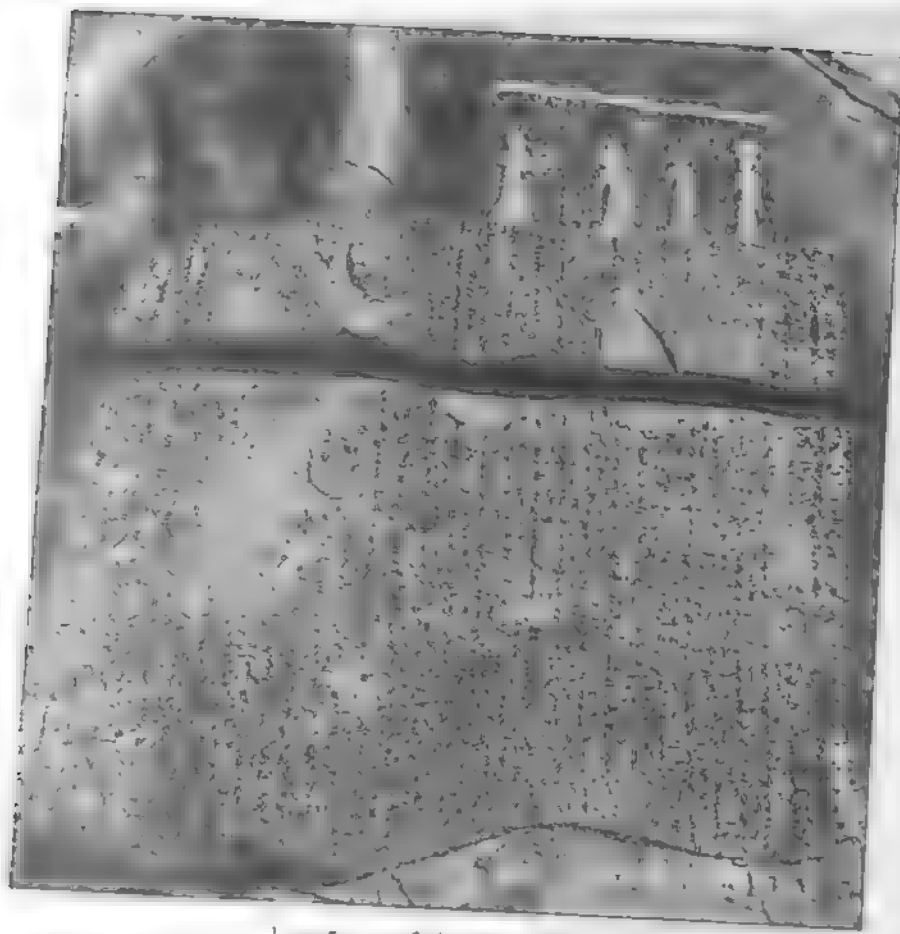
ففي أسيرط كتب «حتى» الثاني من الأسرة العاشرة، يتحدث عما حجب من قمح لشمال ودخره فيقول: «رأى على قمح الشمال حيث كانت الأرض في جفاف، فأخذت مدينتي وأخذت لصعيد - يحمل لنفسه من قمح الشمال مع زوجته، وللأرملة مع ولدها، ونزلت عن الضرائب التي وجدت آبائي قدروها»<sup>(١)</sup>.

أما «جفائي» من عصر الأسرة الحادية عشرة، فلم يتحدث في مدينته من حاجة إلى استيراد قمح الشمال، وإنما عمد إلى دخله في مدينته - بذلك مساعدته «سنتي» الذي يروي ذلك فيقول: «لقد كنت قمح الصعيد الذي يحيط تلك المدينة بأسره في قصر لحاكم أمير الكهنة حتى شئني الضيق والشدة»<sup>(٢)</sup>.

وأما في بني حسن من عصر الأسرة الثانية عشرة، فقد تحدث «أميني» عن زيادة الإنتاج فيقول: «وكان أن حدثت أعواد المجاعة فكان أن حازت الحقول من إقليم النواعل حتى تخومه الجنوبية والشمالية وأعشت حبوبه وكفيتها غذاءه، فلم يبق جافع فيه، إذ أعطيت الأيم كالمسيحة ذات الروح، ولم أميز عظيمًا على صغير، ثم جاء النيل بأموه عطفت حسنت قمح والشعير وكل شيء، ولم يحدث أن أثبت في السجلات صيرت غير الحقول»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك فعل في الكاب حاكمها يبي من الأسرة الثالثة عشرة التي سبقت قليلاً عصر يوسف والهكسوس، قال:

Verrier, La Famille dans l'Egypte Ancienne (Le Caire 1936) p. 101 (١)  
op. cit. p. 111 (٢)  
op. cit. p. 17, 114 (٣)



(شكل ٣) نص المجاعة بجزيرة سهيل

ثم يضي النص فيذا «خنوم» رب أسوان.. يتحلى للملك في سبعة  
فيعدده وعددا حسنا. وإذا هو يعلن إليه أن النيل لن يحتبس بعد عامه هـ.  
وأن الفيضان أت، وسوف يقلل فيعم البلاد فيسبب الرخ والاحتكاك  
وتنقضي أيام المجاعة. فلما أفق الملك قرر لربه هذا وقف الأرض من  
أسوان جنوبا حتى تاكومسو، وذلك فيما عرف بلفظه اليوناني باسم  
«دوديكا سخويتوس» بمعنى الفراسخ الاثني عشر.

«لقد كنت أكدر القمح المطلوب الجيد، وكنت يقطا في فصل البلر،  
فلما وقعت المجاعة على مدى الكثير من السنين أعطيت القمح مدينتي  
في كل مجاعة»<sup>(١)</sup>

على أن العلماء على كثرة ما قرءوا من أخبار المجاعات في مصر  
قد يقفون خاصة موقف الفاحص المتأمل من مجاعة أخرى نقش  
أحجارها على الصخر في جزيرة سهيل جنوبى أسوان<sup>(٢)</sup>، ولئن كان الخير  
منسوباً إلى العام الثامن عشر من حكم «زوسر» رأس الأسرة الثالثة، فإن  
مضى لا شك فيه أنه نقش في تلك الجزيرة بعده بعشرين قرناً من الزمان؛  
نقشه كهان خنوم على عهد البطالمة في مصر، ولعلهم نقشوه حول عام  
١١٥ و ١١٣ ق. م في حكم بطلميوس سوتر الثانى وقيل نقشوه في عهد  
بطلميوس الخامس «أيفانس» (شكل ٣).

«لقد وقف العلماء على ما ورد فيها من أن المجاعة إنما حلت بمصر  
«سنين، وعلى ما روى من أن الملك «زوسر» دعا وزيره الحكيم  
«...» ليستفتيه في تلك النازلة التي أحزته، وليعلم علم هذا الذى  
... النيل فحبسه عن المجيء في عهده سبع سنين فذوت الحبوب  
... الناس قد حرموا الأنفاس  
... وأقام الشباب على الانتظار، على حين امتلات  
... أطرافهم مدقعين، واشتدت الحاجة برجال  
الحاشية، وغلقت المعابد وعم الحزن الناس.

Ibid (١)

op. cit., p. 132 ff; P. Barget, La Stèle de la famine à Sehel. (Le Caire 1953); (٢)  
Pritchard, op. cit., p. 31; cf. Brugsch, Die Biblischen Sieben Jahre der Hun-  
gersnoth (Leipzig 1891).

فإن النص ليتحدث عن مجاعة امتدت سبع سنين، وعن مشورة  
 سنشيري حيث من ورير عرف بالحكمة والموعظة الحسنة، وعن حبه  
 أه، وغير بعيد أن يكون هذا النص صوتاً من واقع بعيد، وأن كهان  
 - ريم حيث نبوه على عهد البطالمة قد كانوا تحت تأثير ما كان شائعاً يومئذ  
 من أصداء الماضي السحيق، وبما ورد في التوراة من أخبار السنين السبع  
 - ساء في حرب بها السنة من كان بمصر يومئذ، وكانوا كثيرة، من  
 - يير، وإلى يهود مصر خاصة، تعزى ترجمة التوراة إلى اليونانية من قبل  
 ثبات هذا النص بما يقرب من قرن من الزمان، وذلك فضلاً عما كان  
 لليهود في اليونانيين من مجتمع، يظل بحكم الموقع على سهل.

ولقد أقبل يوسف على مصر وهي ذات حضارة عريقة ونظام دقيق  
 صارت في السنين، إذ كانت الضرائب منذ القدم في مصر وثيقة الصلة  
 بخصب النيل ومنسوب مائه، حيث كانت تفرض على الناس مما تنبت  
 لأرض من بقلها وكتانها وحبها وبصلها، وبما يستتجه الناس من زيت  
 زيتون وخبز، وحب من قمح وشعير أحم ما يستقبل خزان الأرض  
 حيث يقوم عليها شريف من كبار رجال الدولة يحمل لقب أمير الأهرام  
 - كان يشرف على كتاب من العمال والمساعدين والكتاب،  
 فمهم من يقيس الأرض أو يكيل الغلال، أو يشبثها في السجلات  
 - من لا مبير، (شكل ٤)، وكان على أمير الأهرام أن يرفع  
 إلى فرعون أمر هذا كله، وأن يحيطه بما حصلته الخزائن خبيرا، وكان  
 فرعون يحكم منسوبة ومكانه من الناس مسئولاً عن رفاهية الرعية وكتب  
 البؤس عنها إن تعرضوا له، وكان حكام الأقاليم إنما يصعدون في  
 - من شهنش، من مثل تلك المسئولية وذلك الوعي بالوضع  
 - راج، منهم مسئول عن عيونه، ولقد قدمنا من الأحاديث

يكشف عن وعي الحكام بذلك أشد الوعي وأرسخه، كما انحدر إلينا عن  
 «أمنمحات الأول» رأس الأسرة الثانية عشرة ما يكشف عن تلك المسئولية  
 التي يستشعرها الملك حيث يقول:

إني أنا زارع الحب ومحِب رب الحصيد

لقد حياني النيل في كل واد

فلا جائع في عهدي

ولا ظمآن كذلك.

كان الهكسوس إذن قد أقاموا في مصر ملكاً لهم، حيث استاء  
 المقام في الدلتا، واتخذوا عاصمتهم شرفيها في حوت وعبر  
 غير بعيد من مواطنهم في آسيا، ثم لم يلبث الهكسوس حيث استاء  
 بلد له حضارته وثقافته أن أخذوا ما استطاعوا عنه وانتقلوا ما ساءه من  
 - لم يشعروا أن اتحدوا أنفسهم مع تلك القبائل  
 الخالصة. على أن الصورة التي يوحى بها القرآن عن مجتمع الهكسوس  
 في مصر أيام يوسف أنه مجتمع أخلد إلى الرفاهية المتسدة، فتراخت في  
 أهله النخوة وتداعت فيهم الهمة عن جليل الأمور، حتى عز في الدولة  
 الرجال من أولى الحكمة والبصيرة وأهل العفة والأمانة وأصحاب الخuez  
 والتدبير، وكيف لرجال فقدوا الحزم على بيوتهم وانحسرت غيرتهم عن  
 - أن يتولوا دولة ناشت في بلاد غريبة، لا يربح - منافع  
 لذلك فقد كان الملك في حيرة من أمره يتلمس الرجال تلمساً

ولا شك أن تفسير الحلم قد أعجب الملك إعجاباً شديداً، فما كاد  
 يسمعه ويتقدر ذكاء الفتى السجين الذي فسره حتى أرسل في طلبه، ولكن

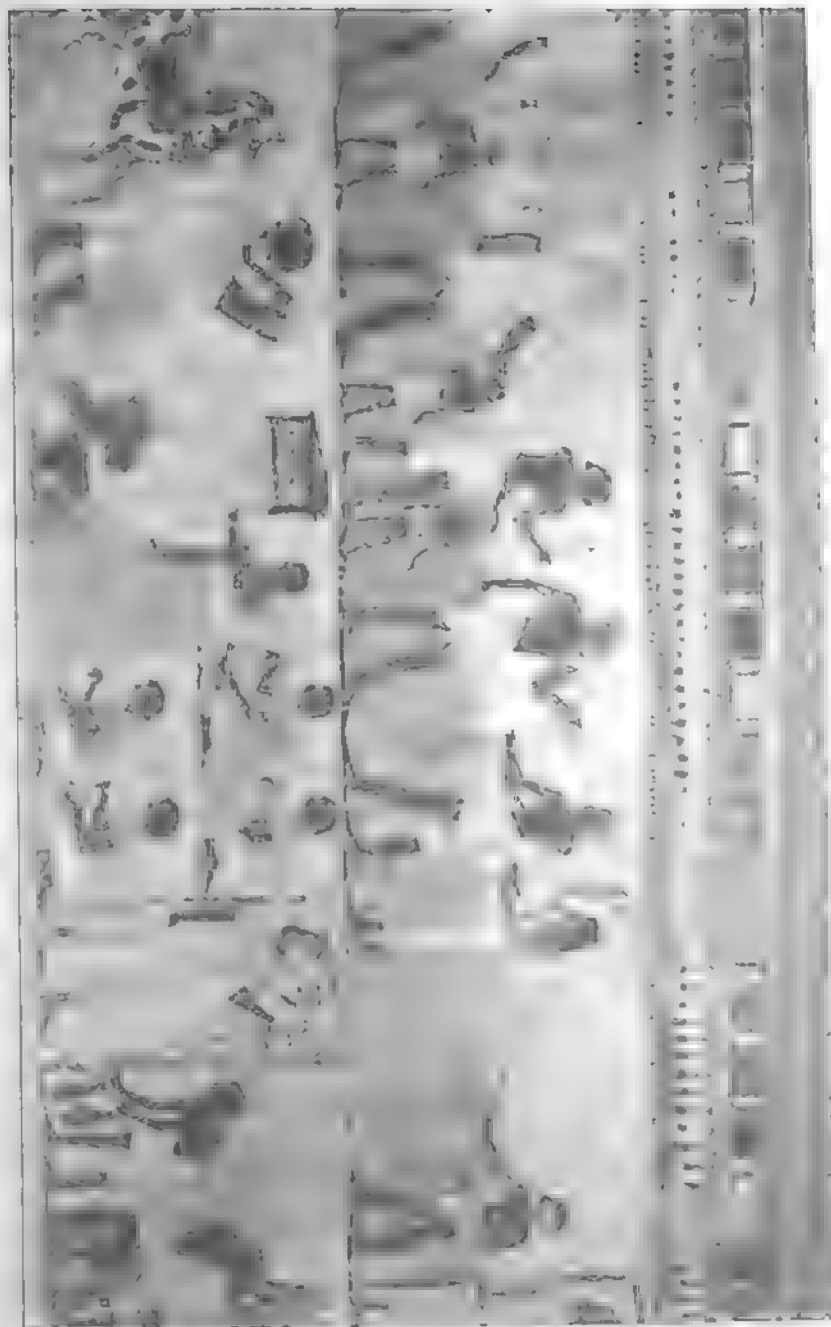
الفتى لا يجيبه، ولا يسرع إليه حتى يضرب مثلاً آخر فى الشجاعة وعزة النفس، فهو لا يخرج من السجن، ولا يريد أن يخرج منه، أو يقصد الملك حتى يجرى التحقيق فيما نسب إليه ظلماً من جريمة دفعت به إلى غيابه، وحتى تظهر براءته ويرد اعتباره بشهادة النسوة اللاتى شهدن هذه الواقعة وقطعن أيديهن لما أخرج عليهن ورأينه، ثم سمعن اعتراف امرأة العزيز التى كانت حينئذ مضيقتهن.

وقال الملك اثونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليهن (٥١) قال ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه قل حسن الله ما علمت غيب من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥٢) ذلك ليعلم أني لم أحنه بالعبث وإن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٣) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ما رَجِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [يوسف : ٥٠ - ٥٣]

ولكن ذلك لا يزيد الملك - وهو فى عوز أشد العوز إلى الرجال - إلا حرصاً عليه ورغبة فيه، وعزماً على اتخاذ قراره بإطلاقه واستخدامه، وغير بعيد أن يكون النيل قد أُنذر باضطراب استشعر منه العارفون من حوله.

وقال الملك اثونى به أستخلصه لنفسي فلما كلمه يوسف قال رب ارحمني وأمر به وأمرته وبعد نصره. قال انك اليوم لدينا مكين أمين [يوسف : ٥٤]

(شكل ٤) الزراعة فى مصر



وكأنما عرض عليه مناصب الدولة، وأدار معه الحديث فيما هم  
مقلون عليه ويتوقعونه من شئون الدولة ومشكلاتها، وفي أمور الناس  
وحاجات الناس.

قال احمسي على حراس الأرض إني حفيظٌ عليهم<sup>٥٥</sup> :  
وكان يوسف من قبل قد خبر ما صورنا من شئون البلاد ونظمها، وطرائق  
عيشها وأساليب أهلها فيها، وذلك بحكم إقامته بها في خدمة العزيز  
مديراً لأمور بيته محتملاً ما يسند إليه من وظائف وأعباء، وكان في أثناء  
ذلك وهو العريب الخارج يدرس ما يجري أمام عينيه فاحصاً متأملاً  
مستمعاً لأمور البلاد والعباد، متعرفاً ما يتبعون من عادة مستمعاً إلى ما  
يسمعون من غيوب الأخبار من تاريخهم وتاريخ ملوكهم وحكامهم.  
وأية والتاريخ شغوفين، وقد أجاب الملك يوسف إلى ما طلب  
منه فكأن له ما أراد، وخرج من السجن ليتولى في الدولة منصب  
مهم مناصبه، وتشدها في ذلك الزمان خطراً.

وكذلك مكأ ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب  
بحسب من يشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴿ [ يوسف : ٥٦ ]

فكان يوسف قد امتد إلى ما وراء الحدود، فشمّل  
البلاد كلها واضطر يعقوب تحت وطأته أن يرسل بنيه إلى  
مصر مشترين مستطعمين :

فجاءهم يوسف فدحاوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون  
[ يوسف : ٥٨ ]

كانوا قد ألقوه في غيابة الحب صبيّاً لم يتخذ من اللباس إلا ما يتخذ

يبدو من ثياب بسيطة لم يألفوا سواها، وهم ليوم يدخلوا مصر  
وعشرين عاماً على فتى في عنفوان الرجولة مصري الهيئة، مصري  
الاسم<sup>(١)</sup>، حليق العارضين إلا من حبة صغيرة قصده على الخلق، وقص  
بريا بشباب المصريين الأنيقة، من غيبة وقصص من حلال مصر  
الصدر بطراز عريض مختلف ألوانه، واتخذ من فوق رأسه شعر  
مستعاراً، أو غطاء من تلك الأغشية التي شاعت عند المصريين في تلك  
القرون، وأكبر الظن أنه حدثهم بغير لغتهم إذ خاطبهم بالمصرية متخذ  
في نهجته سمات الإمارة وسطوتها، ولم يكن لأحد من المصريين أن  
يعزير أخوهم وابن أبيهم. فلقد ألقوه في غيابة الحب صبيّاً حاداً عملاً  
من المال، قد تقطعت به الأسباب فلا سند له من أهل ولا مكان له من  
وطن؛ وأكبر الظن أن يوسف قد طفق يتحدث إليهم، ويسمع منهم، ثم  
يستدرجهم إلى مزيد من الحديث عن بلادهم وألهم فيسأل عن أبيهم  
وأمنهم وإخوتهم، وهم لا يعون من وراء تلك الأحاديث شيئاً ولا  
يحسون إلا أنها مما يجري بين الغرباء حين يلتقون، وكانوا يترددون  
لهم من أبيهم أخاً أصغر لم يأت معهم لحرص من أبيهم عليه.  
إليهم في رؤيته، وقد كانت نشأت بينه وبينهم بحكم ذلك اللقاء مودة  
سراً عنها يفتش في بطن الكيس، وسكرتهم برحمتهم رقة أدهم، وكانوا  
متزلاً، يجدون فيه الراحة والأمن، بل يجدون فيه شيئاً من ترف لم يسمع  
بمثله مثلهم، وظاهر كذلك أنه كان يشرف بنفسه على ميرتهم وما يشترون

(١) إذ سماه الملك كما ذكرت التوراة (تكوين ٤١: ٥١) على غير صيغة معرفتها من اسم  
المصريين «صفنات فعنبح» مصححاً في تخريج العلماء عن «جدها شراف عح» أي «من  
الأسرة» Ranké, Petromennamen II 334, 13



لذلك فقد كان خليفًا أن يطلب إليهم وهو يودعهم ما يشاء، وأن يعبر عن  
رغبته في رؤية أخيهام ذلك الذي لم يأت معهم، فإن لم يأتوا به فكأنما هم  
يرفضون له طلبًا يرضيه، وينكلون عن إسداء مكرمة بمكرمة.

لما حبرهم حيارهم قال انتوبي ناخ لكم من أبيكم ألا ترون أنني أوفى  
بك من أبيكم من السرايين (١٠) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا  
تقربون (١١) قالوا استرأد عنه أباه وإنا لفاعلون ﴿ [يوسف : ٥٩ - ٦١]

إن حديث يوسف إلى إخوته حديثًا باطنه الرحمة  
تد احتمل عن أهله وهو العظيم الموسر ثمن ما

سعى في ساعته في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا  
نمروا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴿ [يوسف : ٦٢]

وهذا تهديد يوسف بمنع الكيل قد كان خطيرًا يفزع شبحه  
سريعًا وإن القحط والجاعة قد كانا يومئذ في كنعان أعنف وأفعل من  
أولئك التي تقوى تحت وطأتها على المفاوضة بله الإباء.

لما سمعوا أن يوسف قد أصبح في مصر قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا  
كيل وبنا له لحافظون (٦٣) قال هل أمكم عليكم عليه إلا كما أمنتكم على  
حد من قبل قاله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين ﴿

[يوسف : ٦٤]

ومع ذلك فقد أصبت لإلحاحهم وإغرائهم.

ولما سحروا ساعته وحادوا ساعته ردت إليهم قالوا يا أبانا ما

يغني هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أحمانا وبرداد كيل  
بغير (١) ذلك كيل يسير ﴿ [يوسف : ٦٥]

ومع ذلك فقد اضطر يعقوب تحت ضغط حاجة شديدة إلى  
يرسل معهم أصغر بنيه على خوفه عيبه، وشدة في حاجة إلى  
كما فرطوا في يوسف، واكتفى بعهد عليهم أن يحفظوه :

قال لن أرسله معكم حتى تقرتوا موثقا من الله لئلا يسلط  
بكم فلما آتوا موثقهم قال الله على ما تقول وكيل يوسف  
ولعله اطمأن في أعماقه وارتاح إلى نبرة بنيه، وصدقهم فيما تحدثوا به  
من لين العزيز وكرمه وما ارتد من بضاعتهم في رحالهم.

سبحان الله. أحد عشر فتى يخرجون على رواحهم متقاطرين. لا  
يشك الناظر في وجوههم أنهم إخوة لأب واحد أجمعين، تشبه  
قسماتهم من جبهة عريضة، وأنف أقي، وعين سوداء،  
لا شك يعجبون المشاهد إذا شهد، ويشيرون الحاسد إذا حسد.

وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب مستعدة  
وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه موكل وعيب  
فليتوكل المتوكلون ﴿ [يوسف : ٦٧]

وخرج الفتية إلى مصر قاصدين، وكان لابد من طاعة الأب فيما  
أوصى به عند دخول المدينة :

(١) انظر مادة «بعر» في لسان العرب وحديث ابن خالويه في دلالة البعير على الحمار فضلا  
عن الحمل.

ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿٦٨﴾ [يوسف : ٦٨]

ثم أقبلوا على العزيز مستأذنين فكان طبعيا أن يخف إلى استقبالهم، برودة حفاوة بالصغير، وأن يؤثر هذا الضيف الجديد بشيء من المودة

... عن يوسف أي إليه أحاد قال إني أنا أخوك في ... فلما حبرهم بحبارهم جعل السقاية في ... سارقون ( ) قالوا وأقبر عليهم ماذا تفقدون ؟ [يوسف : ٦٩ - ٧١]

سقف - أو أوحى إليهم - المبالغة في قدر المسروق وقيمت ... من ممتلكات الدولة الملكية ودلوا ... من مكافأة لمن يأتي به .

... نزلت وليس جاء به حمل يعبر وأما ... [يوسف : ٧٢، ٧٣]

... لا يشكون وما ينبغي أن يشك العزيز في ذلك فقد كان تعرف بهم ونحدث إليهم وعرف من أمرهم كل شيء، وعلم أنهم قوم مسالمون إنما ... ثم تم تفتيشهم ثانيا

قالوا فما جزاؤك إن كنتم كاذبين ( ) قالوا جزاؤك من وحد في رحله فهو جزاؤك كذلك نحري الظالمين ( ) فبدأ نزع عنهم قس وعاء أحده ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كذب ليوسف ما كان له أحد أحاد في دس السلك إلا أن يتساء الله برفع درجات من شاء وفي كل ذي علم عليم ﴿٧٤﴾ [يوسف : ٧٤ - ٧٦]

وكانا بالإخوة وقد استخرجت السقاية من وحل السارق المزعوم قد ... وحاولوا أن يقولوا شيئا بعد أن ...

قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ... الله أعلم بما تشنون ...

... من حيث يشرون من حيث يشرون ... وقد طوعت لهم يوسف من قبل ... ثم هذا حقدهم عليه مازال ورغم السنين مقيما في ... ومع ذلك فلم يأخذ بعد حسنهم الأول ... من سبيل إلى الشفاعة في أخيه أو التطوع باحتمال التهمة عنه .

... قالوا يا أيها العزيز إن له أبا تسخا كبيرا فخذ أحدا مكره ... قال معاذ الله أن يأخذ إلا من وحيات مت ... [يوسف : ٧٨، ٧٩]

... ويكون ذلك فاتحة احتواء أو إيه الهدية من قصص القصة ... حيث نزلوا أرض مصر ...

جاسام كما قرئ اسمها في النصوص المصرية<sup>(١)</sup>، أو أرض جاسان كما ورد في التوراة، ويكون استقرارهم هذا في تلك البقعة من وادي النيل فائحة لقصة أطول وتاريخ أكبر، تشعبت أحداثه، وتقلبتمسألة... حيث أن تعرض له معالجين بعد قليل.

... طهم. كما قدمنا. على عهد الهكسوس في مصر، حيث... تلك الفترة من تاريخها، جعلان عليها أسماء لطائفة من رؤساء الساميين كان منهم اسم «يعقوب إيل»، وهو اسم يكاد يصعب في... بكار ما شاع بينهم من أنه إنما نقش تذكراً للسند... إبراهيم عليه السلام<sup>(٢)</sup>. (شكل ٥)

عود هنية إلى يوسف وإخوته.

... سبوا منه حللوا حيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم... منكم موشا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح... حتى ردد لي اسي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين<sup>(٣)</sup>... لي بكم فقولوا يا أبانا إن ابك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا... لمعب حافظين<sup>(٤)</sup> وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وأنا لصادقون<sup>(٥)</sup> [يوسف: ٨٠ - ٨٢]

ومع ذلك فلتقد كان يعقوب يعلم بما في نفوس أبناء الضرائر من خفيضة واحتقد، وقد ظل الشك يعمل في نفسه مما يقولون.

Montet, L'Egypte et la Bible, p. 57

(١)

Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford 1961) P. 157, JEA XXXVII, 62n. 5 (٢)

cf. Stock, op. cit S.43.



Abb. 62.

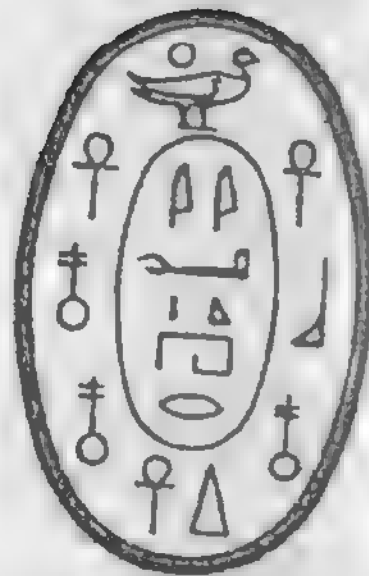


Abb. 63.

(شكل ٥) جعلان من عصر الهكسوس منقوشان باسم يعقوب

فَلَمْ يَلْ سَوَاءٌ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٢﴾ [يوسف : ٨٢]

وَمِنْ بَيْنَ يَعْقُوبَ - كَكُلِّ أَبٍ لَوْلَدَ مَفْقُودَ - عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّسْلِيمِ بِهَلَاكِ  
بِهِ - لَا يَسْأَلُ مِنْ غَدَتِهِ وَرَقِيَّتِهِ .

٨٢ - سَ عَنِمْ وَفَالِ مَا اسْتَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْضَتَ عَيْنَاهُ مِنْ  
حُزْنٍ بِسَبَبِ كَيْدِ ( ) قَانَانَ بِاللهِ تَمَنَّى تَذْكَرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حُرّاً  
٨٣ - سَ مِنْ بَيْنَ كَيْدِ ( ) قَالَ إِسْمَاعِيلُ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعِمْ  
٨٤ - سَ لَا تَعْسِرْ ( ) يَا بَنِي إِدْهَمُوا فَتَحْسِسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَحْسِنُوا  
٨٥ - سَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ بِهِ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

[يوسف : ٨٤ - ٨٧]

يَعُودُ الْإِخْوَةَ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ أَصْرَبَ بِهِمُ الْقَحْطُ وَالْحُزْنُ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِمْ  
- بِهِمْ مِنْ مَحَنٍ ، فَيَلْقَوْنَ يُوسُفَ وَلَمْ يَكُنْ فِي عَيُونِهِمْ حَتَّى الْيَوْمِ سِوَى

فِي دَحْرِهِمْ أَعْيِدَ فَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَرِيزُ مِنَّا وَأَهْلُوا الضَّرِّ وَحَنَّا  
- صَدَقَ مَرْحَلَهُ فَارَافَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي

الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ [يوسف : ٨٨]

وَكَانَ الْأَوَّانُ قَدْ آنَ لِلْكَشْفِ عَنْ شَخْصِهِ ، وَقَدْ أَرْفَضَتْ عَيْنَاهُ - فِيمَا  
يَخِيلُ إِلَى - بِالْذَّمِّ لَمَّا وَجَدَ فِيهِمْ وَصَرَحَ حَوَابِهِ مِنْ ذَلَّةٍ وَجَهْدٍ وَقَدْ مَسَّهُمُ  
الضَّرُّ حَقّاً وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ الرَّحْمَةَ وَالصَّدَقَةَ ، وَيَخِيلُ إِلَى أَنَّهُ خَاطَبَهُمْ هَذِهِ  
الْمَرَّةَ بِالْكَتْمَانِيَّةِ :

لَقَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ  
[يوسف : ٨٩]

رَبَاهُ ، هَامَى هَذِهِ جَرِيعَتُهُمُ الَّتِي دَبَرُوا لَهَا ، وَاقْتَرَفُوهَا ، ثُمَّ قَبَرُوهَا فِي  
صُدُورِهِمْ سَنِينَ - لَمْ يَعْلَمْ بِهَا سِوَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا ضَحِيَّتَهَا - تَعَثَّرَ -  
جَدِيدُهُ ، وَمَا هُوَ هَذَا الْعَزِيزُ الشَّابُّ مِنْ وَرَاءِ رَقْعَةٍ بِلَادِهِمْ أَمْسَالاً يَحْدُثُهُمْ  
ثُمَّ لَا يَعْلَمُ بِهِ سِوَاهُمْ ، فَيَا لِلْمَسَاجِدَةِ الَّتِي تَذْهَلُ وَتَرُدُّهُمْ خَرَسًا فَاغْرَةً  
بِهِمْ مَحْمَلَقِينَ ، وَإِنَّهُمْ لِيَحْدُونَ الْبَصَرَ فِي وَجْهِ مَحْدُثِهِمْ هَذَا الْمِصْرِيُّ  
لَمُحِجِّبٍ ، وَقَدْ ارْتَدَّ بِهِمُ الْفِكْرُ إِلَى ثَلَاثِ الصُّورَةِ الْبَشَعَةِ مِنْ مَعْنَاهُ  
يَكَادُونَ يَرُونَ إِلَّا أَخَاهُمْ الصَّبِيَّ وَهُمْ يَجْرُونَهُ جِراً إِلَى غِيَابَةِ الْجَبِّ وَقَدْ  
اخْتَلَطَتْ قَسَمَاتُ وَجْهِهِ بِمَا غَشِيَهَا مِنَ الرَّعْبِ وَالتَّوَسُّلِ ، بِوَجْهِ ذَلِكَ  
لِعَرِيزِ الْمَائِلِ هَادِئاً صَامِتاً مَبْتَسِماً بَعْدَ تِلْكَ الصَّرِيَةِ الْمُرَوِّعَةِ الَّتِي أَرَبَتْ بِهَا  
بِكَلِمَاتِهِ الْهَادِئَةِ . وَتَتَعَاقَبُ صُورُ الْوُجْهِينَ وَتَسْحَبُ التَّذَكُّرَ وَالْوُجُومَ ، فَلَا  
يَتَّبِعُونَ إِلَّا وَجْهَهَا وَاحِداً لَمْ تَكَدْ - فِي زَخْرَفِ الرِّيَاسَةِ وَتَرْفِهَا - تَغْيِيرُ مِنْهُ  
السَّنِ وَالسَّنُونَ ، فَلَا يَلْبَثُونَ ، وَقَدْ انْجَابَتِ السَّحَابَةُ قَلِيلاً إِلَّا أَنْ يَمْتَشِرَ  
مُرُوعِينَ : ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ  
اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ أَعْيُنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾

[يوسف : ٩٠]

وَكَانَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ لِقَاءَ امْتِزَاجٍ فِيهِ الْفَرَحُ وَالْحُزْنُ وَالسَّكَاةُ ، وَامْتِزَاجٍ فِيهِ  
حَسَبُ مَكْتُومٍ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ صَرَحُوا بِهِ عَلَى مَا حَظَى بِهِ مِنْ مَنَاصِبِ عَظِيمٍ  
وَمَكَانٍ رَفِيعٍ ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَهُمْ اعْتِرَافٌ وَعَتَابٌ ثُمَّ عَفْوٌ وَغُفْرَانٌ .

﴿٩١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لِحَاطِطِينَ ﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَتْرِبُ

سليم يرد عنده لكم وهو ارحم الراحمين [يوسف: ٩١، ٩٢]

سؤال عن الأب والإخبار عما آل إليه من العلة والأسى،  
سنة والجهد والإملاق، ويكون القرار بكفالة الأسرة

من ... ..

دهرا شقيقى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني

... ..

... ..

... ..

... .. [يوسف: ٩٣ - ٩٦]

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

كان الصراع يومئذ على التفوق في الشرق بين مصر وخيتا وشيكاً أن يستأنف من بعد اندلاعه في عهد أبيه سيني الأول فتتوالى التمرات فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم، فبنوا الصرعون مدينة مخازن فيثوم ورعمسيس. ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا ثموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن، وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً (الخروج ١: ١١-١٤)

ولا شك أن كاتب هذا الجزء من التوراة إنما أوغل في المبالغة وأغرق في التعصب حين أطلق على لسان فرعون أن بني إسرائيل شعب أكثر وأعظم من المصريين، فلو قد كان ذلك كذلك لما استطاعت قلة المصريين أن تسخر كثرتهم المزعومة، بل لقد شط الخيال والوهم في تقدير عددهم كما أورده سفر العدد فأبلغه حداً من الإغراق في الوهم يلغى العقل والتفكير، إذ ذكر أن المحاربين منهم ممن تجاوزوا العشرين قد بلغوا في مطلع العام الثاني لخروجهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين (٦٠٣٥٥٠) محارباً. فكيف كان عددهم في ذلك الحساب أجمعين.

«فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين فصاعداً كل خارج للحرب في إسرائيل، كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين» (عدد ١: ٤٥-٤٧)

فلا شك في أن مثل ذلك العدد من الشباب المحارب خليق أن يرفع مجموعهم إلى ما يجاوز المليونين، بل يبلغ الملايين الثلاثة أو يقاربها. وهو ما لا يستقيم مع ما تعرضوا له من ذلة وعسف تحت رؤساء

- ٤ -

موسى

«... برحمتك يا رحيم» طسّم (١) تلك آيات الكتاب سين (١٠) نزل عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون [القصص: ١-٣]

دخل إسرائيل وبنوه مصر بمشيئة الله آمين، حيث طابت لهم الإقامة في مصر كاسين مستكثرين، حتى صاروا كأنهم من أهلها وطائفة منهم سم يقول القرآن الكريم، غير أن ما ركب فيهم من ميل إلى العزلة وكراهية الاختلاط قد حجب نفوسهم وولاءهم عن ذلك البلد الذي أضاعهم من جوع وأمنهم من خوف.

وقد روت التوراة ذلك في سفر الخروج (١٠: ٧-١٠) قالت:

«... إسرائيل فائسروا وتوالدوا وكثروا كثيراً جداً واستلأت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: «هناك إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نعتل لنلا ينموا يحد ذلك حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويضعدون من الأرض». فإن كان الملك الجديد - وهو الأرجح - رمسيس الثاني، فقد

لتسخير<sup>(١)</sup>، ولا مع ما روى من عبورهم البحر في سويحات قصار، واكتفاء فرعون عند خروجهم بستمائة مركبة حربية، إن كانت حدة ستمة. خصارهم واسر جاعهم. (خروج ١٤: ٧).

«مهما يكن من شيء، فلقد أقاموا في مصر منذ دعاهم يوسف حيث أتى والسلام» فأنتمروا وتوالدوا وكثروا، «وحيث كانوا - من غير سب - كما عرفوا دائماً وبرغم الظاهر من تلونهم بالمجتمع الذي سبوا فيه - يعتزلون بأنفسهم ويلوذون بعصبيتهم بما ينفر منهم أهل مصر. ويحس المجتمع المضيف على الشك فيهم، والحذر منهم. بل يحسهم يحسرون ويشجعون على إثارة ما يلحقون من النفور والحذر تمكياً لنفسية من لا تحب البعد عن الناس، إذ بدأت تلك السياسة منذ ما روى من هبوطهم مصر وذلك بنص التوراة:

«... قال يوسف لإخوته ولييت أبيه: أصعد وأخبر فرعون وأقول له: «... من أسيء إلى الذين في أرض كنعان جاءوا إلى»، والرجال رعاة غنم، «...» وقد جاءوا بغنمهم وبقروهم وكل ما لهم، فيكون ذلك فرعون وقال ما صناعتم أن تقولوا عبيلك أهل مواش منذ الآن نحن وإباؤنا جميعاً لكي تسكنوا في أرض جاسان لأن كل من سيء وحسن للمصريين». (تكوين ٤٦: ٣٤-٣١)

وطبعاً أن يكونوا على ولاء لأنفسهم ومصالحهم بولائهم لهيكسوس وملكهم الذي أوامهم في مصر، وأنزلهم أرض جاسان، إذ بين يديه مع يوسف:

«وقالوا لفرعون جئنا للتغرب في الأرض إذ ليس لغنم عبيلك مراعى، لأن الجوع شديد في أرض كنعان، فالآن ليسكن عبيلك في أرض جاسان. فكلّم فرعون يوسف قائلاً: أبوك وإخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أبك وإخوتك. ليسكنوا في أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مراعى على التى لى». (تكوين ٤٧: ٤٤-٤٤)

وما ندري لعلهم قد كانوا حيث أقاموا شرقى الدلتا مع الهكسوس عوناً للهكسوس وحرباً على المصريين في حرب التحرير، وهم من أحذق خلق الله على التقلب والتلون، وإثارة القلاقل واستغلال الأزمات، إذ هب المصريون بقيادة أمراء طيبة، فشنوا على المحتلين أضررها عليهم سقن رع، فما أن استشهد في القتال حتى خلفه على العرش والجهد ولداه كاموسى، ثم يعح موسى (أحمس). ولعلهم مد ذاك ولما كانوا يبدون من هوى وسيل نحو أعداء مصر، قد فقدوا ثقة المصريين، وظلوا بعامّة موضع الحذر والشك.

### لحظة من التاريخ:

وكان قد سبق الحرب محاولات للتحرش بدأبها، أبوبى ملك الهكسوس. إذ أرسل إلى سقن رع - فيما روت بردية سالييه - سفارة تستنكر عليه أفراس النهر في بحيرته، وما تثير من جوار مزعج يلدود النوم عن ملك الهكسوس في هواره<sup>(١)</sup>.

Gardiner, Late Egyptian Stories, 85 ff

The Jerusalem Bible, Nb 1:46 n. d p. 171.



ولقد تجلت وطنية المصريين في تلك الحرب بما استطاع كل مصري أداءه من تقديم النفس والمال في سبيل التحرير، حتى انعقد لواء النصر للملك «يوعح موسى» الذي دمر معاقل الهكسوس بعد معركة ضارية حول مياه باجدكو في مصر، حيث كانوا يرتكزون شرقى الدلتا في عاصمتهم حوت وعرة (هواره)، ثم تعقبهم إلى فلسطين حيث حاصروهم في «شاروحت» ثلاث سنين، قبل أن يقضى عليهم قضاء لم يسمع بهم بعد ذلك من أحد، ثم عاد ليشيء أسرة جديدة ويبدأ دولة «عفت» أجدداً ومجدداً جديداً. فكان رأس الأسرة الثامنة عشرة سبعة بدوئة الحديثة. ومرسى أساس الإمبراطورية في تاريخ مصر

حتملاً انهكسوس. وقد زال عن مصر، لم يزل عنها دون أن  
جاءه تدككها في حضارتها، وفي أهلها من أثر خطير. فقد  
مقتلهم عنهم العجالات الحربية، والخيل، وأخذوا القسي  
.. حذروا .. من الأسلحة والسيوف. كذلك فقد اضطربت الروح  
.. فسد .. علة الحربية في نفوس المصريين. إذ وجدت البلاد نفسها  
حالاتهم مضطرة إلى الإقامة على حمل السلاح، وإشهار السيف،  
.. حبيب أن تستبقي سيفها مشهوراً مذكاً حفاظاً على حدودها  
طرق التجارة والنقل ثانياً، ثم ضمناً لموارد الثروة والمواد  
عصر .. وكانت القبضة المصرية على ما أحرزت من أملاك في آسيا  
أفريقية حلقه، إن لانت أو تراخت، أن تفقد ما أحرزت من هذه  
لاملاك

وأنجبت مصر ملوكاً كانوا من أعظم القادة العسكريين والجنود

المحاربين، من أمثال تحتمس الأول، وتحتمس الثالث، وأمنحتب الثاني،  
بل نهض من الرعية قادة محاربون أبلوا في سبيل بلدهم أحسن البلاء،  
من أمثال يوعح موسى بن إباناء، ويوعح موسى الكاوي، وأمنحتب، إذ  
سببت طيبة عاصمة مصر على عهد هذه الأسرة عهداً عظيماً لها في  
إمبراطورية واسعة النطاق مترامية الأطراف، تمتد من أعالي انقرات في  
الشمال، إلى جنادل النيل الرابعة في الجنوب، حيث أسرع إليها الناس  
شعوباً وقبائل وحكاماً، من أقطار الأرض وجزر البحر بالولاء. وحصل  
خوفاً وطمعاً، وباتت طيبة عاصمة الدنيا وأم القرى في ذلك الزمان،  
حيث تدفقت على مصر كما تفجرت من أرضها ينابيع الثروة. وشملت  
من أسباب الأمن والرفاهية والرخاء والحياة الناعمة ما وجد سبيله إلى  
الثقافة والفن، وبات الملوك من جيرانها وفي يمينهم أن الذهب فيها  
كالتراب كثرة ووفرة، فهم يرسلون الرسائل وبعثون البعث يطلبون  
بل يستجدون رضا مصر أولاً، وذهب مصر ثانياً، ويتمنون حتى  
فرعونها أمنحتب الثالث أن يرضى، فيسمح بتزويجهم فتاة من مصر ولو  
سم ترتفع إلى طبقة الأمراء والنبل.

على أن هذه الحقبة من التاريخ قد شهدت طلائع القبائل العبرانية  
تدخل فلسطين حيث ورد فيما سجل تحتمس الثالث من فتوحاته بالكرنك  
.. صاع تدل أسماؤها على صبغة عبرانية تنفث من بعض القبائل  
.. بطون .. منها على سبيل المثال «يعقوب» «يل» «ويوسف» ..  
وكذلك فقد ظهرت مذكاً ضوائف من الأسس، أو قسماً نحس سم  
(عائرو، وخاييرو) وأثار ذكرها من جدل المؤرخين في نسبتهم إلى

أوسوتخ، إذ قدسه الهكسوس، كما قدسه المصريون، في صورة أسيوية  
 أحيانا تحت اسم «بعل» . . .  
 ولقد بلغت مصر ما بلغت من سلطة واسخة وإمبراطورية باذخة وقد  
 برز في بيان الناس ما أعلن إليهم من أنها إنما حصلت بفضل أمه، من  
 الأرباب ذى الرأى السديد، فبذل له الفراعين عن مخاء بل إسراف  
 . . . سعة البدل وكان ثمره، فشيدها له المعاد ووهبوا له الهات الباقية  
 . . . حتى بلغ كنهه من الثروة وسلطان على النفوس والعتق من حرم  
 صاحب السلطة ما أطمعهم في المزيد، وأشعر فرعون . . .  
 بد منه، من رد ذلك التيار المخيف، بل لقد كان ازدياد شأن امون وورد  
 . . . حصل إليه في الفتوح، وامتداد سلطانه . . . حتى بلغ ذكوة الإله  
 . . . لم تكن غربة عن أذهان المصريين حتى كل حال . . .  
 . . . على الذى يعبدته الناس كافة في مصر وسائر مصر، فكانت من  
 . . . سحتب الرابع أحتنون (شكل ٦) إلى دين الترحيب، إذ كان  
 الواحد الأحد، الفرد الصمد، الرازق القادر المدبر، ورمز له بترص  
 شمس اتون، وصاغ له من ناصع الشعر، أناشيد وتراتيل عن  
 أحاسيس عميقة ومشاعر صادقة تعدد آلاءه على العالمين .  
 ومع ذلك فقد كان سبيرا على الناس أن يتخبروا عما تغير من دين  
 وجدوا آباءهم عليه عاكفين، فكان أن اجتمعت على ملك مصر  
 شعب، وعداء الكهنة الذين أفتقدوا مكانتهم وأب الاله، وتدمر  
 أخيش الرابض في منف، وهو يحممهم غيطا من يهوى على سمعه من  
 أب الإمبراطورية التى لم تلق من الملك الفيلسوف نسيان إلا الإله  
 وهو فى شغل بدينه عن دنياء، فإذا بها تتداعى ثم تنهار إلى السقوط

وأكثر الظن أنهم عبدوا مع الهكسوس المعبود المصرى المعروف ست

Revue d'Égyptologie (Paris) Tome 31 pp 135-151 (١)  
 ASA LXVIII (1982) p. 64 (٢)

أوسوتخ، إذ قدسه الهكسوس، كما قدسه المصريون، في صورة أسيوية  
 أحيانا تحت اسم «بعل» . . .  
 ولقد بلغت مصر ما بلغت من سلطة واسخة وإمبراطورية باذخة وقد  
 برز في بيان الناس ما أعلن إليهم من أنها إنما حصلت بفضل أمه، من  
 الأرباب ذى الرأى السديد، فبذل له الفراعين عن مخاء بل إسراف  
 . . . سعة البدل وكان ثمره، فشيدها له المعاد ووهبوا له الهات الباقية  
 . . . حتى بلغ كنهه من الثروة وسلطان على النفوس والعتق من حرم  
 صاحب السلطة ما أطمعهم في المزيد، وأشعر فرعون . . .  
 بد منه، من رد ذلك التيار المخيف، بل لقد كان ازدياد شأن امون وورد  
 . . . حصل إليه في الفتوح، وامتداد سلطانه . . . حتى بلغ ذكوة الإله  
 . . . لم تكن غربة عن أذهان المصريين حتى كل حال . . .  
 . . . على الذى يعبدته الناس كافة في مصر وسائر مصر، فكانت من  
 . . . سحتب الرابع أحتنون (شكل ٦) إلى دين الترحيب، إذ كان  
 الواحد الأحد، الفرد الصمد، الرازق القادر المدبر، ورمز له بترص  
 شمس اتون، وصاغ له من ناصع الشعر، أناشيد وتراتيل عن  
 أحاسيس عميقة ومشاعر صادقة تعدد آلاءه على العالمين .  
 ومع ذلك فقد كان سبيرا على الناس أن يتخبروا عما تغير من دين  
 وجدوا آباءهم عليه عاكفين، فكان أن اجتمعت على ملك مصر  
 شعب، وعداء الكهنة الذين أفتقدوا مكانتهم وأب الاله، وتدمر  
 أخيش الرابض في منف، وهو يحممهم غيطا من يهوى على سمعه من  
 أب الإمبراطورية التى لم تلق من الملك الفيلسوف نسيان إلا الإله  
 وهو فى شغل بدينه عن دنياء، فإذا بها تتداعى ثم تنهار إلى السقوط

والروال، وهم يذكرون أياما مجيدة ودماء غالية بذلها بؤهم أباء بطل  
مصر الخالد تحتمس الثالث.

ولقد انتهى الأمر بحكم ما ترددت فيه البلاد من صراع واضطراب من  
بعد اختفاء أخناتون باحتضار الأسرة الثامنة عشرة وميل شمسها إلى  
مغيب، وكادت مصر يومئذ تفقد استقلالها فيبتلعها الحيثيون بعد  
استيلائهم أملاكها. وذلك في مؤامرة سميتها انبعثت من عباء إحدى  
لاميرات من بيت أخناتون، لعلها، «عنخسن آمون» أرمته توت عنخ  
أمون، لولا أن تلقف العرش رجالاً صدقوا ما عهدوا لوطن غيبه و  
لوا تبديلا، إذ كتبت إلى ملك الحيثيين تعرض عليه لكرهه الرواح من  
حد من رعيته أو خدمها كما قالت. أن يرسل أميرا من بيته تزوج  
ويسولى عرش مصر. وقد كان بعد تردد منه والخاص منها، أن يرسل  
له، لم يصل إلى مصر كما لم يعد إلى أبيه.

فلقد كان قائد الجيش حور محب يرقب الأمور ويوجهها عن كثب من  
موقعه فى منف، إذ أعقب أخناتون ختناء سمنخ كارع، وتوت عنخ  
أمون، ومن بعدهما دفع آى. وكان شيخا. إلى الملك ريثم يستتب له  
الأمر وينتهي له، ثم استوى على العرش.

وأقبل حور محب ليقبل مصر من عثرتها، وليردها إلى الأمن والنظام  
والقانون، ويظهرها مما ترددت فيه من الفساد والرشوة والتهب واستغلال  
النفوذ، وليهرب من وراء حدودها عدوا يسعى بعد أن تحيف أملاكها إلى  
ابتلاعها بأسرها إن استطاع.

وإلى حور محب تنسب طائفة من قوانين صارمة أصدرها صد  
المرنثين المستغلين، ثم ودع الدنيا يدون أن يعهد بالعرش إلى أحد من



(شكل ٦) اخناتون



ولى قرياءه، فكان ممهدا للعهد من الاستقرار والقوة جديد، وقيام مصر من سواد العسكريين الذين استردوا لمصر ميثبتها وأملاكها في ريتسا وأسبيا كان على رأسهم رمسيس الأول، فلم يلبث عاماً وبعض عام حتى ترك العرش لولده سيتي الأول (شكل ٧)، ثم جفيدة رمسيس - سيتي (شكل ٨)، وكانا من أعظم عواهل مصر بما أقاما من - أحرزا من انتصارات، فقد دخلا في صراع عنيف مع الحيثيين - سوريا وفلسطين، في سبيل استرداد ما تخيفوا منها، وتثبتت - عليها، ثم ختم ذلك الصراع بعقد معاهدات الصلح والسلام - سدوين المتحارين: رمسيس الثاني المصري، وخاتوسل - رمسيس يومئذ قد انتقل إلى عاصمته الجديدة التي أنشأها - في الدلتا، غير بعيد من عاصمة الهكسوس القديمة، - واسط بين مملكته في مصر وأملاكها في آسيا، وفيها - الجيش الذي أقبل يحمل طلب الصلح، حيث عقدت - أبرمت بينهما عام واحد وعشرين من حكمه، ومع ذلك فقد - والاتصالات الودية بين الدولتين، حتى رأتا تديمها - ورج رمسيس من بنت ملك الحيثيين الذي أقبل على - في العام الرابع والثلاثين من حكم رمسيس.

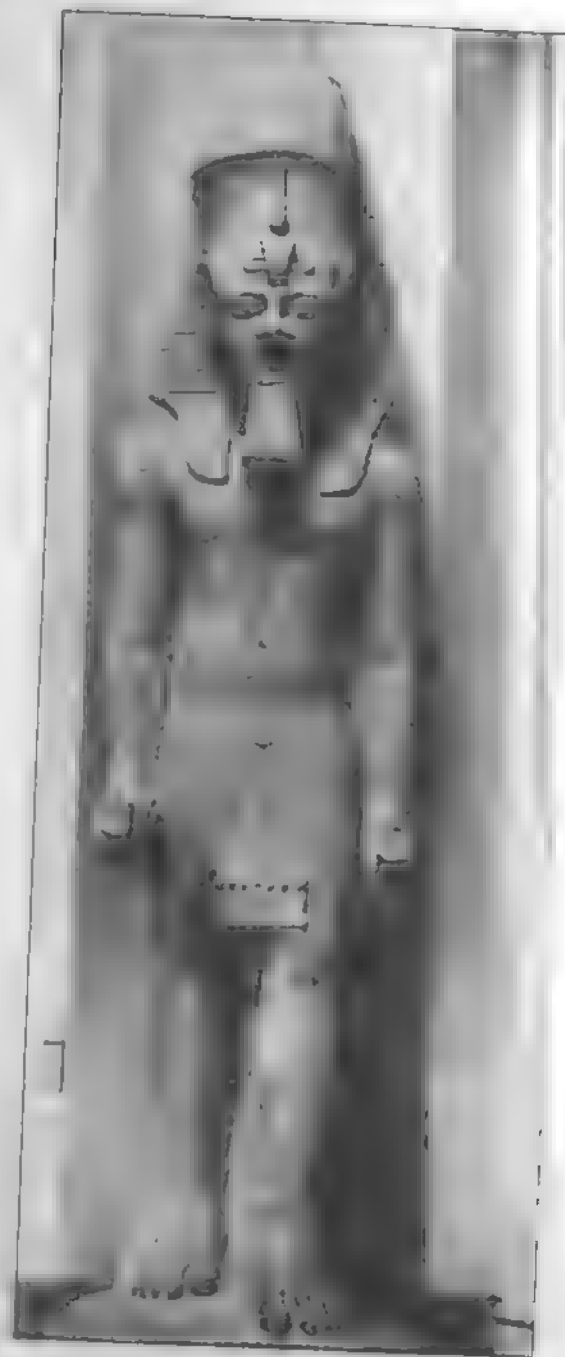
في مصر قد طفتت تعرض من بعد رمسيس الثاني لأخطار ظلت  
فيها من كل مكان، حيث كان عهد مرتتاح بن رمسيس مثلاً لفترة من  
السلام والهدوء في مصر، إلا أن قوة الدولة المصرية إلى قوة  
مصر، ومن جهة الأندلس إلى مصر، ثم انتهى أمرها إلى  
انهيار في الداخل وانحلال لإمبراطوريتها في الخارج، حيث تألفت عليها  
شعوب من الأندلس إلى مصر، وألفت عليها من الليبيين شعوب

البحر المتوسط عناصر هائلة عدمت مستقر الخصيب، حيث تحركت  
 الشعوب والأجناس في آسيا، وأوروبا، في موجات سرية عابية، تدفع  
 قسما شعوبيا، تبحث عن مستقر دائم تأوى إليه ومستقر فيه، مستقر  
 عيونها إلى الوادي الخصيب من حول النيل.

وكذلك فقد ورت مرنيحاح مع العرش تركة مثناة عن أن حكمه  
 بميتين غاما امتلأت بالطروب الطويلة المرفقة، ومنتدت لئلا  
 على عناصر كثيرة ومنشات باذخة، وكان مرنيحاح كذلك قد جاور  
 نساب، بل جاوز الكهولة حين ولي العرش من بعد أبيه الذي جاور  
 ثمانين، فإذا بشيخ يخلع شيخا، وإذا مصر تنحدر من سيجده في  
 الدفاع، ومن التطلع إلى إمبراطوريتها وتوسيعها إلى لاسعول  
 عن أرصيتها وسلامتها، ومع ذلك فقد كان عهد مرنيحاح حرة لأنها  
 ليسا كان من قمع ثورات الماچوى السويين في أقصى حروب، و  
 شعوب آسيا من أملاك مصر في الشرق، وفيما كان من رد لئلا  
 حدود مصر في الغرب مرتين، وقعت الأولى في العام الرابع من  
 حكمه (١)، ووقعت الثانية في العام الخامس، وكان لغزو ليبيا  
 من خطر ما تعرضت له مصر من عذرات، إذ وحيث حروبها من  
 شعوب البحر المتوسط، تحالفت مع الليبيين بقيادة منكنهم مرياني، وكان  
 مرياني هذا إنما جاشت به نفسه من أمال عريضة غرم على حرار الخصيب  
 والاستقرار بمصر، فصحب معه نساءه وبنيه.

واصطدم الجيشان في معركة هائلة لم تدم أكثر من ساعات انتزع فيها

A.A. H. Youssef, *Mesopotamian Fourth Year Text at Amarna* (in ASA LVIII (v),  
 1964) p 273 ff



(شكل ١) رمسيس الثاني

المصريون الغلبة، وأحرزوا النصر الأكبر، فكأنما كانت عين جالوت

... وهو يجهز جهاد اليائس بأقل من أبيه شدة وسطه  
... فقد حفظ في معبد عمدا بالسوبة من وثائق  
... عقب الخارجين عليه - فضلاً عن الصلب فوق  
... وقطع الأيدي واقتلاع العيون وسلم الآذان.  
... فيرسل عقب الخريق بالخوارح أمام ذويهم.  
... وتعيون فتعرض أكواماً في بلادهم إرهاباً.

ولقد يش المصريون في أعقاب هذه المعركة، أنهم قضوا على كل  
خصم يسمدهم وضموا سلاماً لا يشوبه خوف، وحق لهم أن يجوسوا  
... وأن يجلس بعضهم إلى بعض يتحدثون  
... ويتعنون بنشيد النصر الأكبر سعداء هائنين.

... وكان أصلع بادناً - فقد قعدت به الشيخوخة والمرض في  
... معه نفس - منذ العام الثامن من حكمه - نهايته،  
... والاستعداد للجزائفة، ولكن العبد  
... ذلك بينا وعميين، حيث مات ودفن - من  
... في تلك الحرايتي بقبره الفسبح، ثم قدر لحثمانه  
... من أن ينقل إلى قبر أمه في الثاني، حيث  
عثر عليه عالم الآثار فكتور لوريه عام ١٨٩٨ من الميلاد.

ibid

(١)

٩٨

ثم خلف من بعده ابنه سيتي مرتتاح، أوسيتي الثاني، كما عرف عند  
لوريه حين، فلم يجاوز عهده - بحكم ما ورد على بعض كسر الفخار من  
تاريخ توليه وتاريخ موته - أعوام سنة، استغرقها مع نفسه  
لاضطراب، وهن لسلطة وشلل الأمن، وتدهور في الأحوال  
... وهوان للشيم والعقائد، وسقوط هيبة تحت حكمه،  
... طيبة بتاريخها السياسي ومزلتها الدينية من مؤرخي المصريين،  
... من أحوال مصر يومئذ بما خلفت من وثائق التاريخ، إذ  
... وودين البر الغربي منها، تستقبل رفات الملوك وكبار رجال  
... حيث دفنوا، وحيث قامت قرية لعمان حيث يمكن  
... تحت قبور عواهل مصر ورخرفها وإعدادها  
... ومجاريب وموائد القربان والتماثيل، فكان لا يعرف من مصر  
... في الوديان من مخربشات، وتركوا من حطب ونسج  
... دقائق أخبارهم، ووقائع حياتهم من  
... والعشرين خاصة، ولديهم ذلك ما لا يحصى من  
... بريدية سولت ١٢٤ لمحت تصور شؤرا جميع هيبة  
... إذ نجم بها من عمالها من روج حسب  
... وأقضى مضاجعهم، ما قارف من برقت ورنك من  
... بالقتل، والزلز بنسء رفته من لعمان

... in the Ramesside period (The  
... of the Ramesside period (The  
Rameside (Le Cairo 1985).

... Journal of Egyptian Archaeology,  
Vol. XV (1929) p. 243 ff. Pls xlii xlvj





بعيد أن تكون صدى لخروج فرعون في أعقاب بنى إسرائيل وما انتهت إليه من غرق فرعون في اليم وجنوده.

أساسيتى الثانى فقد ودع الدنيا شاباً، أو كهلاً كما يبدو من جنمان المحنط الذى عثر عليه مع جثمان أبيه وسائر الفراعين فى قبر أمنتب شانى، ولم يكن له من أثر يستحق الذكر إلا معبدا فى فناء الكرنك . ثم تردت مصر فى فترة من الفوضى وسفك الدماء ونفوذ لأجنى، حتى سقطت الأسرة التاسعة عشرة، فلم يتقل مصر مما تردت فيه إلا رمسيس الثالث ثانى ملوك الأسرة العشرين.

#### فرعون وبنو إسرائيل

فى عهد رمسيس الثانى - على الأرجح والمشهور - ولد موسى، وبنى فى ظل الخوف والرعب اللذين فرضهما رمسيس على بنى إسرائيل؛ إذ كان قد تورط فى سياسة من القتل وسفك الدماء كما قال يعانى فى كتبه العزيز:

فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم من ابناءهم ويستخفي نساءهم إنه كان من المفسدين [القصص: ٤]

وكان رمسيس الثانى حين تولى العرش حوالى عام ١٣٠٠ ق.م قد فى غير بعيد من موطن أسرته شرقى الدلتا جالية من العبرين كبيرة، سخرها فيما احتط لنفسه واختط له وزراؤه ومهندسوه من العمائر

والمنشآت وكانت كثيرة هائلة لا تكاد تقع تحت حصر، وغير بعيد - بل أرجح الظن - أن يكون المصريون قد شملوا بنى إسرائيل ضمن من عرفوا من البدو باسم الشاسو هناك، فكلهم عند المصريين بدو سامون، وكلهم من الشاسو والرعاة، وكان رمسيس على كل حال - فيما أثبتت وثائق التاريخ - يسخر الأسرى ومن فى حكمهم فى إقامة ما يريد منها. فلقد حفظ لنا من النصوص عند معبد السبع بالنوبة المصرية ما يتحدث فيه ستاو نائبه هناك عما كان من استخدامه أسرى من قبائل التمحيو (غربي مصر) فى بناء هذا المعبد<sup>(١)</sup> وعند معبديه بأبى سنبل ما يتحدث فيه «رمسيس عشا حب» عن ملكه من أنه ملأ بيوت الأرباب بأبناء رتنو<sup>(٢)</sup>، وكان المصريون يتخذون من لفظ رتنو هذا اسماً عاماً لسوريا وفلسطين<sup>(٣)</sup> وقد تقدم ما ورد فى سفر الخروج من استشعار فرعون لخطر بنى إسرائيل فيما تحدث به إلى قومه:

«فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوه بأثقالهم، فسار فرعون مدينتى مخازن فيثوم، ورعمسيس». (١١: ١)

وقد عثر علماء الآثار منذ القرن الماضى على أطلال هاتين المدينتين، وكشفوا عن آثارهما، وحققوا اسم كل منهما فى التوراة، فردوا الأولى إلى تصحيف فى اسمها الأصيل برتوم بمعنى «دار أتوم» إله الشمس الأكبر، الذى عبد فى عين شمس فى صورة الشمس المكتملة أو التامة.

Barsanti et Gauthier. Steles Trouvees à Oudi Es seboûa (Nuhie) ASA XI (١) (1911), p 84

Breasted, Ancient Records III § 498 (٢)

(٣) ويدكرنا الاسم بموقع اللبطنى الآن بلبنان.

ورودوا الثانية، كما هو ظاهر، إلى اسم رمسيس، وعثروا على آثار له تحمل اسمه هناك، وكان قد اتخذها وبنيه من بعده عاصمة لهم باسم برعمسى، بمعنى دار رمسيس.

لرمسيس بدهة أن يفجأ الناس على غير علة ولا سبب. نبت السياسة عن مجرد مزاج مال به إليها، وشهوة إلى الدم عصفت به في قود أبرياء. وظاهر كذلك من نص القرآن أن فرعون لم يصدر في ذلك عن استبداد برأيه ولا انفراد بذلك بغير نصيح مستشاريه.

فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿ [القصص: ٨]

ذكر في ذلك من عسى أن نسميه الحزب العسكري بزعامة مستشار ذكر باسم هامان، وهو اسم لا شك. إذا رد إلى أصله بغير صحيح. من الأسماء المصرية المألوفة الشائعة في ذلك الزمان هو <sup>(١)</sup>، وقد عرف بهذا الاسم رجل من عهد سيتي الأول وآخر من عهد ابنه رمسيس الثاني، كان أولهما كاتب الملك وحامل لأخته. والمشرف على حريم الملك، وكان ثانيهما كاتب القصر <sup>(٢)</sup> أو مفتي الحديث كبير الأمراء أو رئيس الديوان الملكي، بمعنى أن كلا من لرجين قد كان من فرعون في منزلة قريبة تمكن من التوجيه والتأثير. وقد كما قدمنا كذلك ما كان لتلك الأسرة من صبغة عسكرية لا شك واضحة في حياتي سيتي ورمسيس.

وأكبر الظن أن رمسيس إنما حارده بنى إسرائيل بذحل أو غر صدره

Ranke, Die Agyptischen Personennamen I.S. 248 (١)

(٢) سليم حسن: مصر القديمة. الجزء السادس ص ١٦٨، ٥٦١

عليهم وثقة مفقودة افتقدوا عندهم في حروبه التي استغرقتهم مع الحيثيين خمسة عشر عاما، ولعله وجد فيهم ما لم يتعففوا. ولا هم يتعففون اليوم عنه من خيانة وتجارة بولانهم للغالب في ظنهم من المنازعين، ولعل فيما روت التوراة عن تعذيبهم اعترافا بخوف فرعون منهم وشكه في ولائهم:

«لم نحتال لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض». [الخروج ١: ١٠]

ولكن النقيصة التي أخذت وتؤخذ على فرعون، إنما كانت اندفاعه في العذاب وإسرافه في القتل للمذنب وغير المذنب على سواء.

هناك غير بعيد من برعمسى ولد موسى، حيث فرغت أمه إلى الله بما تخشى على ابنها من بطش فرعون. فيقول الله تعالى:

«وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا حنف عليه ذنب في سم لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» [القصص: ٧]

وفي حديثه إلى نبيه يقول:

«إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (١) أن افديه في السوت وقديه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليّ حبة مني ولتصنع عليّ عيني» [طه: ٣٨، ٣٩]

واليم في اللغة العربية البحر أو النهر. وهو تدل في لغة قديمة القديمة، إذ اليم لفظة سامية عرفت في المصرية منذ الأسرة الثامنة عشرة

حوالى القرن السادس عشر من قبل مولد المسيح، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع من لج الماء لفظ اليم، ومنه جاء اسم منخفض الفيوم بعد إضافة فاء التعريف فى المصرية إليه. على أن الذى يستوقف النظر هنا أن اللفظ ورد فى القرآن ثمانى مرات لم يذكر فى إحداها فى غير ما يخص مصر ليس غير، حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاثاً وأطلق على البحر الذى غرق فيه فرعون خمساً، فكأنما يشير القرآن إلى موضع معلوم كما يدعوه أهله باسمه المعلوم.

ذكرت أم موسى أن ليس إلى بقاء ابنها معها من سبيل، وإلا فهو لا محالة مقتول، فلتدفعه إذن خفية إلى من يكفله ويتولاه، وإلى من يمنحه الرعاية ما يعوضه عن الأبوين فى غير غمز فى نسبة ولا مع من نسب. وقد عرفت حب المصريين للولد وحبهم على الطفل، واستكثارهم للبنين، وكان المصريون منذ أقدم العصور كذلك وما زالوا كذلك، فلقد حفظ من تراثهم الأدبى ما يحض على التبكير بالزواج والإنجاب، وكانت قلة النسل فى المجتمع المصرى القديم من النكبات والمحن التى يشكو منها الأدباء وأهل الحكمة فيه. شكاً من ذلك أيوور فى عصر الفترة الأولى، وتحدث آنى عن النسل، وتحدث الكتاب بذلك فى رسائلهم بعضهم لبعض، إذ كان عقم الرجل وعجزه عن النسل وصمة، تخرجه عن رجولته وعاراً يرمى به ومذلة يعير بها، وما كان ليغنى عن الرجل ماله الوفور إن لم يكن له ولد، وما كان له بيت أن يخلو من البنين، إذ يقول قائلهم: «وأما الذى ليس له ولد فليتخذ عوضاً من اليتامى يربيه»<sup>(١)</sup> وما أثر عن رمسيس الثانى أنه كان له ما يزيد على مائة

(١) عبدالعزيز صالح: التربية والتعليم فى مصر القديمة ص: ١٢

من البنين وستين من البنات كانوا قررة عينه و«أحباءه» يصورهم فى معابده فخراً واعتزازاً.

لم يكن لأم موسى إلى أن تعيش مع ابنها من سبيل، ومع ذلك فكيف تدفع به إلى من يرعاه، وهى حريصة على أن تخفى عن الناس. إن استطاعت. نسبه إلى بنى إسرائيل. إذن فلتلق به بعيداً عن الحى الذى تعيش فيه، حيث يلتقطه من يأخذه ويرعاه، وما كان لابنها أن يضيع فى شعب تلك شيمته وهذه خصاله، ومع ذلك فكيف لها مع الخوف والرعب أن ترى وهى تحمله إلى غير حبيها دون أن تثير الريب والشكوك، فلتنقله إذن فى النيل ولتطمئن عليه نفساً من النيل وقد علمت من أساطير المصريين أن تابوت أوسير قد ألقى فى اليم فألقاه اليم بالساحل بعيداً دون أن يصيبه من اليم مكروه.

﴿وقالت لأختها قُصِيه فبصُرْتُ به عن جنب وهم لا يتعرفون﴾ [القصص: ١١]

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٨]

والذى لا شك فيه كما سوف نفصل فى غير هذا الموضع أن موسى عليه السلام قد ولد فى بر رعمسى عاصمة رمسيس الجديدة التى انتقل إليها، وأن مولده فى أرجح الظن قد وقع بعد العام العشرين من حكمه. حين استقر بها فى أعقاب حروبه الطويلة.

وهناك يتعرض الطفل للخطر الذى كانت تفرق منه وتخشاه، فقد أرسلت ابنتها لتعلم من عسى أن يلتقطه والست التى يرب فى، والأسرة التى تربيه، ولكنه يقع بين يدى عدوها وعدوه الذى حرصت على أن تباعد بينه وبينه، ورضيت فى سبيل استنقاذه منه أن يبتعد عنها إلى حين.

ولكن الله حكمة هو مبدئها وأمرها هو بالغه، فيحميه ويضمن له الحياة كفل له التربية الكريمة الناعمة، والتعليم الناضج الذى يؤهله لقيادة شعب تعوزه القيادة، ويؤهله لتعليم أمة - أعماها الجهل - لحمل رسالة موحده. يحميه بالحلب الذى يطفى على كوامن الشرور وغوائل

وأنتيت عليك محبة متي ولتصنع على عيني ﴿ [ طه : ٣٩ ]

أفادت الوليد من مصير أترابه من بنى إسرائيل بفضل امرأة من بيت فرعون هي ابنته كما عيبتها التوراة وسماها في التوراة ميسرة (١) مفسرو القرآن «آسية»، وهو اسم لا شك مصحوف عن اسمها الحقيقي «ميسرة» المصيرين الأقدمين هو إيسة وآسة، ومن سيرة ميسرة في التاريخ والرومان ثم إلينا مصحوقا في إيزيس، وقد كانت من كبريات أزواج رمسيس الثانى من تسمت باسم آسة نقرة أى آسة حبيبة أم كبريت في خع م است، وباسمها تسمت ابنة له تزوجها ابنه فرعون (٢) فكانت كذلك امرأة فرعون وكانت، وأما أم ابنه ميسى الثانى ومربية موسى.

فبما قربت فرعون عيسى لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وهم لا يشعرون ﴿ [ القصص : ٩ ]

كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام، رواء الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وهو حديث صحيح.  
(٢) H. Gauthier, Livre des Rois III p. 77 f. 85, 107, 125

ويحمل الطفل اسما مصريا شاع في مصر في تلك الأيام هو «موسى»، وهو لفظ مشتق من مصدر الولادة. بمعنى الولد أو الوليد، كان يطلق على المصريين أحيانا مجردا بهذه الصورة، أو مقرونا بأسماء إلهتهم في أسماء مركبة مثل رع موسى، وبتاح موسى، وتحوت موسى، وآمون موسى، ويوعح موسى، بمعنى رع وليد وبتاح وليد وتحوت وليد وآمون وليد والقمر وليد، وغبر بعيد أن يكون موسى عليه السلام قد سمي بذلك الاسم المجرد الذى ورد وعرف لبعض من عاش أيام الأسرة سبعة عشرة أو لعله سمي باسم مركب مع أحد أسماء الآلهة. ومعنى موسى بمعنى النيل وليد ثم أسقط اسم الإله بعد ذلك، ولقد أجمع علماء المصريات على ذلك التفسير الذى قدمناه، وخالفوا به ما فهم من التوراة فيما ورد بها من أن ابنة فرعون دعت اسمه موسى وقالت إني نسيت من الماء، وإن لم نر فى عبارتها ما يقطع بمفهوم التعليل. إذ رده مفسرو التوراة إلى اسم المفعول من الفعل العبرى «مشه» بمعنى المتشبه، والمستنقذ، وإن رأى آخرون فيه اسم الفاعل بمعنى المنقذ أو المحرر، كأد الذين أسموه كانوا يعلمون أو يأملون ما سوف يصير إليه ذلك الطفل اللقيط، ومهما يكن من شىء، فالذى لا شك فيه ولم يشك فيه كاتب التوراة أن امرأة فرعون إنما كانت مصرية تتكلم المصرية وتفكر بها، وما كان لها أن تتحدث فى حياتها فى وطنها بالعبرية حتى تتخذ للطفل - مع كراهة شائعة للعبريين يومئذ - اسما عبريا، ولذلك فقد رأى مؤرخ اليهود يوسف أن يرد اللفظ إلى أصل مصرى واشتقاق مصرى مع تقيده بما ورد عن التوراة من احتمال ارتباط الاسم بما كان من التقاط من الماء، فقال: إن المصريين يسمون الماء «مو»، ويقولون للذى يستنقذ من الماء أو ميس.

غير أن حرص يوسف على تفسير يكون مصدقاً لما شاع - وإن لم تدل  
عبارة ابنة فرعون عليه - قد حمّله، متعمداً على إغفال معنى أويسيس  
لصحوف عن لفظ «حسى» المصرى، وهو أصلاً حتى زمان موسى فى  
أسرة التاسعة عشرة بمعنى الحميد، ثم أصبح منذ الأسرة الثلاثين يطلق  
على من الغرقى المتشغلين من النيل للدفن، وإلى ذلك أشار  
تلميذ الإسكندري من بعده، فكأنه بذلك قد اتخذ لفظاً بمعنى متأخر  
عن عصر موسى وطبقه تطبيقاً غير دقيق ولا سليم<sup>(١)</sup>.

حيث قد كان اختار له أبواه من قبل - فى أكبر الظن - اسماً  
تتعبانياً مصرياً، ينطق عن حنينهم - حيث نبت جدهم الأعلى - إلى أرض  
لا يشكك فى ولائهم لمصر وأرياب مصر حيث يقيمون - إذ  
كان معبوداً كنعانياً استقبله المصريون ضيئاً  
ريابهم فقدسوه، واعترف به رمسيس الثانى - ونحت طفلاً  
فى جملة ما يعبد ويعبدون (شكل ٩) ومن حورون كان

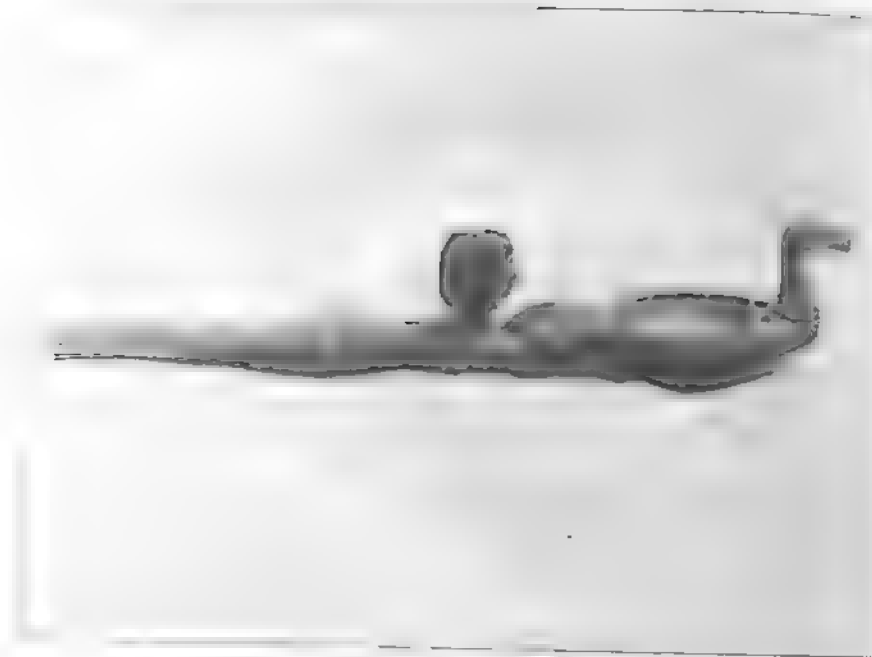
ومع هذا كله فلم يكن اسم موسى بالاسم الوحيد الذى أخذه  
عبريون ودخل حياتهم من أعلام الأسماء، بل لقد حملوا من الأسماء  
مصرية ما سار فيهم مسيرة التهويد التى خص اليهود بها أنفسهم دون  
سواهم من الناس، إذ شاع بينهم اسم فنحاص أو بنحاص وحفتى

J. Cerry, Greek Etymology of the Name of Moses (ASA I. ١١١ (1942) p. 349 f; (١)  
see also ASA XL p. 33 ff.



(شكل ٩) رمسيس الثانى طفلاً فى حماية حورون

113



(شكل ١١) فتاة تسبح من وراء بطة



(شكل ١٠) لوح بن يدين

على مكان بنى إسرائيل عامة من المصريين، وتسامح المصريين معهم إلا فيما ابتدع فرعون فيهم من عذاب. «فتزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواربها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلقاء فأرسلت أمتها وأخذته». (خروج: ٥)

حرى أن يقال إنها نزلت إلى النهر لترتاض بالسباحة في رعاية رصيفتها على الضفة وحراستها، فما كانت في حاجة إلى الغسل في نهر وفي بيتها ما اعتاد المصريون في بيوتهم، والمترفون خاصة من خمسمات التي توفر الغسل والتدليك والتدهن بعاطر الزيوت<sup>(١)</sup>، وكانت ساحة الفتيات من مألوف المصريين فيما صورته وشكلت لهن تماثيل سابحات (شكل ١١) ولعل في ذلك قرينة على حداثة سنّها إذ ذك فهي إذن مشوقة إلى الولد ككل فتاة.

حينئذ لابتة فرعون بالسفط «ولما فتشحته رأت الولد وإذا هو صبي كرى، فركت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين، فقالت أخته لابتة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة من العبرانيات لترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وأرضعيه وأنا أعطيك أجرتك فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء». (خروج ٢: ٦-١٠)

فإذا انتهت أشهر الرضاع وطور الطفولة، انتقل الصبي إلى طور التعليم والتثقيف، ولا شك أن موسى قد تلقى من العلم ما كان يتلقى

المصريون من أبناء الملوك والأشراف في ذلك الأوان، فتعلم القراءة والكتابة والحساب، ونسخ الصحائف على البردى بالهبروغليفية والهبروطية، واجتهد في مشقها وتغييرها وتحسينها، وتعلم شيئاً من الفلك والجغرافيا وأطرافاً من التاريخ، ثم قرأ من قصص المصريين وآدابهم وحكمتهم شيئاً كثيراً، فقرأ ونسخ تعاليم پتاح حتب وكاجمنى وحرددف وصاح خيتى إلى ابنه مريكارغ، وحفظ من أشيد المصريين في الشمس والنيل ما قدح قريحته وأخصب خياله، وقرأ مناظرات الكتاب وما كانوا يديرون بينهم من جدل؛ فكان أن حصل من هذا وذاك ما مكن له مناهج من التفكير ومن تأويل الأحاديث.

والذى لا شك فيه أن موسى قد كان مصرياً بفكره ولسانه إن لم يكن كذلك بقلبه وولائه، ولا شك أن أمه - وهو في حجرها ترضعه وتربيته - قد علمته شيئاً من العبرانية أو الآرامية فنطق بها، وتكلم بعباراتها ثم ازداد علماً بها حين بلغ أشده واختلط بينى جلدته من العبريين فصار لهم عوناً وملاذاً بحكم عقله وتربيته أولاً، وبحكم صلته بالقصر واتصاله بعلية المصريين ثانياً، فكان يتشيع للعبريين ويحميهم مما عسى أن يتزل بهم من شر والمكروه، وكانوا قد بدءوا يتغلغلون في المجتمع المصري وتسرّبوا إلى مناصبه كما قدمنا أواخر حكم وميسس الثانى وأوائل حكم مرنبتاح.

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» [الجمعة: ١٠]

طائفة ذليلة مستضعفة كانت في حاجة إلى زعيم.

وأمة كبرى تحتوى تلك الطائفة فهي لا تمكّنها من ذلك الزعيم.

ولا تفتح أبواب المناصب لعامة الشعب ولا تناح منزلة لغير المتعلمين.



فلما تأذن رب العزة لموسى أتاح له العلم فى قصر فرعون من دون  
لعالمين<sup>(١)</sup> فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا فى الأقوال  
والأعمال<sup>(٢)</sup> (أعمال الرسل ٧: ٢٢)

ومهما يكن من شىء فلسنا نعرف من حياة موسى منذ مولده حتى  
صدر شىء شىئا، وأكبر الظن أنه تولى منصباً، وتبوأ مكانة فى دولة  
فرعون حيث بدأ كما بدأ أترابه يومئذ كاتباً، وكانت وظيفة الكاتب فى  
مصر من دخلا لأرفع المناصب وأسمى الدرجات، وكان المصريون  
يحبون أن يسموا على ولاية تلك الوظيفة لما ينتظرهم فيها من الترقى،  
ومن الحياة والسلطان<sup>(٣)</sup>، وغير بعيد أن يكون التحق بعد ذلك مع من  
يحق من أمراء البيت المالكة بالجيش. وكان مرئيتاح خاله بالتبني وزوج  
بنة التى تبنته. وهو بعد أمير يتولى لأبيه رمسيس الثانى إمرة الجيش  
عند ذلك كاتب الملك ورئيس الخزانة<sup>(٤)</sup>.

ولقد حدثنا مؤرخ اليهود يوسف، على غير سند من التاريخ ولا تأييد  
من التوراة، أن موسى تولى قيادة الجيش، ولعله أخذ بذلك عن رواية  
السامريين. ولكنه زاد فى قصة لا يخفى زيفها، أنه إنما تولى تلك القيادة  
بعد رجاء من الملك والأميرة التى تبنته<sup>(٥)</sup>، وأن ذلك إنما وقع فى أعقاب

Gardiner, Late Egyptian Miscellanies p. 84f., Caminos, Late Egyptian Miscellanies p. 317f.

L. Christophe, La Carrière du Prince Merenptah et Les Trois Régence Ra (٢) messides ASA L1 (1951) pp. 335 ff.

Josephus, Book II chapter XI; see W. Whiston, The Life and Works of Josephus (Philadelphia 1957), p. 77 ff.

غارة شنها أهل النوبة العليا<sup>(١)</sup> على مصر، فأنزلوا بالمصريين هزيمة نكراء  
فولوا منهم الأدبار حيث تعقبهم التوبيون إلى منف، بل إلى ساحل  
البحر. هنالك استلهم المصريون الوحي فأوحى إليهم باستخدام موسى  
الذى قبل القيادة مسعداً منشراح الصدر، كما سعد بذلك كهان المصريين  
والإسرائيليون أجمعين. فأما كهان المصريين فقد ظنوا أنهم بذلك إنما  
يتخلصون من موسى ومن المهاجمين فى وقت واحد، وأما الإسرائيليون  
فقد ظنوا أنهم يهربون من المصريين بقيادته. ومضى يوسف المؤرخ  
أن موسى تمكن من صد العدو بشجاعته وحسن تدبيره. إذ تجنب النيل  
وسار إليهم برا عبر أرض غاصة بالشعابين الطيارة، فعبها بفضل ما حمل  
من أعداد من طائر الإيبس وهو أعدى أعداء الشعابين، ثم أهوى موسى  
على التوبيين، ففوضى عليهم وعلى آمالهم فى مصر، وهناك رأت بنت  
الملك النوبى فأحبته، وأرسلت تعرض عليه الزواج بها فقبل على أن  
نسلمه المدينة ففعلت وفعل.

على أن ما نزل بينى إسرائيل من العذاب وقتل البنين قد خفت حدته  
وانحسرت سورتها أواخر حكم رمسيس وحكم مرئيتاح كله فيما يبدو،  
وأية ذلك ما روى من اقتتال إسرائيلى مع مصرى من بعد مصرى. وما  
بدا من إلحاحه فى الشجار واللجاجة فيه والتهالك عليه، وظاهر أن بنى  
إسرائيل يومئذ قد استمرءوا شىئاً من راحة وأمن، وأحسوا بشىء من قوة  
وعزم فتحولوا إلى مزيد من الإقلاق والشغب، ومزيد من الإغراق فى

(١) يخطئ الكتاب المحدثون إذ يخلطون بين اسم اثيوبيا بمفهومها الحديث وأثيوبيا كما وردت  
فى مصنفات الأقدمين من كتاب الإغريق فيترجمونها كذلك بالحبشة. . . إذ لا يصرف  
اسم اثيوبيا القديم إلا إلى النوبة العليا وكانت تعرف عند المصريين الأقدمين باسم كاش.

الطائفية والانقسام. وأكبر الظن أنهم ارتدوا إلى دينهم من محاولة اقتناص الفرص والاستفادة من مصاعب مصر الخارجية، والتحرر ما استطاعوا مما فرض عليهم من ربة مصر التي اشتدت منذ رمسيس، وكانت السنون الأولى من حكم مرنبتاح غاصة بالحرب والكفاح كما قدمت

أما موسى فقد بلغ من تشيعه لبني جنسه، وانتصاره لهم أن تورط في واقعة. انتهت به إلى الخروج من مصر وفراره منها، وذلك فيما ذكره الله تعالى في قوله من سورة القصص:

رَبِّهِ لَعَنَهُ أَشَدُّ وَاسْتَوَى آتِيَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي السَّاجِدِينَ (١) ودخل السديرة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها خمس نسوة هما من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته عن بني من عدوه فذكره موسى فقضى عليه قال هذا من عبيد أبيك فاستغاثه عدوه مثل مين (٢) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فعفرت له وهو العنود الرحيم (٣) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون شاكرا نسحر مين (٤) فأصبح في المدينة حائفا يترقب فإذا الذي استغاثه بالأمس يستصرخه قال له موسى إني لعوي مبين... [القصص: ١٤ - ١٨]

ومع ذلك فقد بلغت حمية موسى نحو بني جنسه وغضبه لهم - مع اعترافه بغواية هذا الإسرائيلي - أن طغى غضبه على حلمه وامتلاك نفسه نحو من كان لقومه عدوا، فهو له إذن عدو

فلما أن أراد أن ينطش بالذي هو عدو ليما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴿ [القصص: ١٩]

وقع ذلك وقد بلغ موسى أشده واستوى بلوغه الأربعين. ومع تعدي يقدر للرجل أن يستوى عقلاً وحكماً ببلوغ الأربعين، إذ يبلغ أشده باكتمال قوة الجسم في نحو الثلاثين، وقد ذكر عن يوسف في سورة يوسف (آية ٢٢) أنه بلغ أشده حين راودته امرأة العزيز عن نفسه وزاد عنه موسى إذ بلغ أشده واستوى، فكان الاستواء في تلك الآية قد وقع موقع بلوغ الأربعين في قوله تعالى من سورة الأحقاف:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ حَمَلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنًا قَالَ أَوْزَعْنِي ۖ أَنُؤْكِرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ۚ إِنَّنِ لَمُكَذِّبٌ ۚ قَالَ نَكُونُوا مُسْلِمِينَ ﴿ [الأحقاف: ١٥]

وعن موسى صرح كذلك سفر أعمال الرسل (٧: ٢٣):

ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر بباله أن يفترق إخوته بني إسرائيل

فلذا صرح ما قدرنا أنفا من تاريخ مقارب لمولد موسى بعد العام العشرين من حكم رمسيس، فإنه يكون عند وفاة رمسيس في العالم السبع والستين من حكمه قد حوّل الأربعين؛ ويكون مرنبتاح الذي

شارك أباه الحكم وقد بلغ من الكبر عتياً. قد تولى السلطة الفاعلة في ذلك  
ان. «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا».

عن يقين. أين كان موسى خارج المدينة إذ دخلها على حين  
غفلة من أهلها. ولا ما عسى أن تكون تلك الغفلة التي أخذت أهل

المدن المنسرون على غير بينة ولا يقين أن موسى. كما يقول النسفى  
دخل ما بين العشاءين أو وقت القائلة يعنى انتصاف النهار. وقال  
بشر بن شبيب وعقل أخذ يتكلم بالحق فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على  
عشي. كما نفي منها. ومع ذلك فظاهر من قوله تعالى: «فَأَصْبَحَ فِي  
مَدِينَةٍ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ». أنه أنفق الليل فيها حيث كان يقيم فلم يدخلها  
مع علم الناس بفعلته على تغفل، وما كان موسى بالذى يخشى  
من حكمه من قعه من فرعون وآله، وما هو سافر معروف عنه من حمية  
شجاعة لا يصف بهما من ضربت عليه ذلة ومسكنه تحولان بينه وبين  
العدو. وكيف يخشى هو دخولها وقد بلغ من الجرأة فيها من لم  
يتركنه من غمار شيعته الأذلة أن يشتجر، بل يكرر الشجار مع  
مصر من أهلها.

وقعت عليه الأحافير في نصف القرن الأخير من كشوف ودلائل عند  
عاصمة الأسرة التاسعة عشرة شرقى الدلتا، ما عسى أن يوحى إلينا أين  
كان موسى في غير مسكنه خارج المدينة قبل وقعة الاقتتال والقتل حين  
دخولها. بل نحن نرى أن هناك منذ أيام سبتي الأول قد كانوا شأن  
كثير من الملوك والرؤساء في كل عصر ومصر. ينشئون القصور الصيفية

في ضواحي المدن وخارجها، حيث ينفقون من أيامهم أكثر مما كانوا  
ينفقون منها في العاصمة<sup>(١)</sup>، وكان لرمسيس الثانى خاصة في قتيير قصر  
عشر فى آثاره على بعض زخرفه من تماثيل الحيوان وشذور مما كان  
يكسوه، أرضاً وحوائط ودرجا وأبواباً وتوافذ وشرفات، من قيشانى  
تحليه التصاوير الملونة للأسرى من أجناس الشعوب ومناظر الطبيعة من  
غدران وسمك وطير ونبات<sup>(٢)</sup>، وغير بعيد أن يكون موسى قد ألم بقصر  
فرعون في ضاحية قتيير هذه لبعض شأنه أو شأن شيعته، ولعله كان  
يتطس أخبار فرعون في أيامه الأخيرة إذ جاوز من عمره الثمانين، بل  
لعله عرف في تلك الزورة بعينها بموته أو وشك انطواء عهده على أقل  
تقدير، كذلك فما أظن. كما قال النسفى. أن تخلو العاصمة من الناس  
وقت القائلة، ولا ما بين العشاءين وقد وجد فيها رجلين يقتتلان على  
امر لهما، وأكبر الظن أن المقصود بأهل المدينة كبارها، وأصحاب الخل  
والعقد والسلطان فيها، أولئك يستطيعون حساب موسى، والتبض عليه  
وازال العقاب. إن شاءوا. به بعد محاكمته، وقد بدا أن مقتل المصرى قد  
ذاع في الناس صباح اليوم التالى، وأن موسى إنما أصبح خائفاً يترقب  
فعل الشرطة والحاكمين عن أمر مرتبّاح.

ما ندرى لعل الغفلة التي حرّات الإسرائيلى، وأحدثت من  
فسادتهم حياء عن فعلة موسى، إنما كان ما شغلهم من وفاة رمسيس من  
حداد عليه، ومسير خبره في الناس، وما أخذوا أنفسهم به من إعداده  
للدفن بالتحنيط والدعاء، وما يعدون لجنازته من مناسك الحج إلى المدائن

(١) Kees, Ancient Egypt (London 1961) p. 201

(٢) Ibid; Heyes, W.C., The Scepter of Egypt vol. II (New York 1968) p. 334 ff.

نفسه بين أسمر بها إلى مدفه بوادي الملوك في النهر الغربي من الأقصر  
في أقصى الصعيد، وكان ذلك يشغل الكثرة من الناس، ويستغرقهم أياماً  
تبلغ السبعين.

ومهما يكن من شيء فقد انتصر موسى للإسرائيليين الذي ألفاه يقاتل  
في النصف أن اسمه فاتون، ولا أدري كيف استقام لمفسري  
الاسلام هذا الاسم الذي تدل صيغته المصرية الصحيحة على سند في  
موصول، ذلك أنه اسم مصري خالص، وهو مؤلف من  
مع فاء التعريف. ولعله مجزوء بائن م حب<sup>(١)</sup>، ولن  
يما بينه وبين اسم أخناتون من شبه وثيق.

على أن موسى بانتصاره للإسرائيليين قد تورط في قتل المصري عن غير  
ذلك عاد فأوشك تارة أخرى أن يتورط في خلاف جديد  
مصري آخر وبين ذلك الإسرائيليين الذي استنصره بالأمر ويستصرخه  
به وجد يجد موسى بدا من وصفه مؤكداً. بأنه «غوى ميين».

هناك شاع الخبر، وأنبئت السلطات المصرية التي ارتاعت كما ارتاعت  
من وقع من مقتل مصري والشروع في قتل آخر، إثر شجار يلوح  
خنده بين بني إسرائيل والمصريين، ولما تبين من أن موسى بما له من قدر  
وميزة هو قاتل الأول والشارع في قتل الثاني، وربما ارتاعت السلطات  
من ثم لما أظهر من عصبية توشك أن تثير الفتنة وتندثر بشر مستطير، فكان  
أن قر الرأي على محاكمته بما ارتكب، والقصاص منه بما جنت يده، وإن  
كان موسى قد رأى في ذلك ظلماً صارخاً وافتئاتاً عتيقاً أن يطلب بقتل  
حده بعدده ولم يعب فيه أو أن يتهم بعصبية وعنصرية أو طائفية له

Ranke, Personenennamen I S. 102. (١)

يقصد إلى إثارتها؛ ولكن الذي لا شك فيه أن قتل، وأن الظواهر وما وقع  
في اليوم التالي لا تميل إلى جانب، ولا تبرئه أو تشفع له في أي  
محاكمة يقدم إليها أو تحقيق يتعرض له، ولن يجد في مصر يومئذ من  
يحميه أو يحول بينه وبين القصاص، ومع ذلك فقد كان المصريون  
أحرص الناس على عدالة وأشداهم استمساكاً بحق، وحسبهم في ذلك  
أنهم جعلوا للعدالة ربة سميت ماعت، وأنهم كانوا يؤمنون بالمحاكمة  
تارسخ في مجتمعهم وعقيدتهم حتى أمر بأحسن والمحاكمة في  
الحرية بين يدي رب الموتى أو سير على رأس قضة عدول يسعون  
وأربعين قاضياً، لا يقضون بمصير المرء حتى يتاح له الخطاب والدفاع عن  
نفسه وإبرائها من الإثم، ثم يوزن قلبه على يد رب الحكمة لاختيار  
صدق قوله، فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، إذ يصدرون  
حكمهم بأنه «ماع خرو» أي صادق الصوت، وأما من خفت موازينه فامه  
هاوية، وكان الملوك يحبون العدل ويحبون الانتساب إليه، إذ تسمى  
رئيس بلقب «مري ماعت» أي حبيب الحق، كما تسمى مرتبات بلقب  
«حطب حرماعت»، أي «الراضى بالحق».

وكان المصريون قد أسسوا المحاكم، وعينوا منذ مطالع تاريخهم في  
الدولة القديمة القضاة الذين كانوا يتخذون من رمز العدل حلية يلبسونها  
في أعناقهم، ويحفظون الأحكام مكتوبة في الأصدير، ولم تكن الجزية  
منهما بلغت وفي من وقعت. ولو على الملك. ليصدر فيها قرار أو حكم  
غير تحقيق دقيق. وحكم جهل الطاقة سليم ومن شاء لمحاكمات أو  
الريب والشكوك قد كانت حومت حول الملكة إيمتس، زوجة عاهل  
لأسرة السادسة بيني الأول، فلم يشأ أخذها بما اتهمت به غير تحقيق  
عادل يجري على الكتمان، فعهد بذلك إلى وزيره أوس الذي صدع بما

أمر، وقام به خير قيام، وذلك مع حفاظه على السرية، إذ روى هولنا  
أنباء التحقيق دون رواية الموضوع<sup>(١)</sup>، كما وصلت إلينا محاكمة المتآمرين  
من قبل رمسيس الثالث عامل الأسرة العشرين، فإذا هي مثال من أمثلة  
حياد الحق والعدل الدقيق، إذ أصدر الملك وهو جريح على فراش الموت  
سب ما تشكيل المحكمة، وأوصى أعضائها بالعناية حذرا أن يتزل بغير  
مذنب قصاص جائر<sup>(٢)</sup> وكذلك جرت المحاكمات التي مثل بين يديها  
مصر من القصور من عهد رمسيس التاسع<sup>(٣)</sup>، فكانت - رغم فساد العصر  
ومند وفساد القضاة والذم - نموذجاً من حيث الدقة في استجواب  
المتهمين في مواقعها وسماع الشهود.

ومما يمكن من شيء فقد تحقق موسى أنه مطلوب بدم القتل، وأدرك  
محاصرين من المتصلين بولى الأمر:

وحاء رجل من أقصا السدينة يسعى قال يا موسى إن الملاء  
ولم يكن لموسى من مناص إلا أن يهرب من مصر حيث لا تناله  
هذوات الشرطة تحت قائدهم امنأونة<sup>(٤)</sup>.

Urk I 100, BAR I § 310 (١)

BAR IV § 423-424 (٢)

E. Peet, The great Tomb Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, Ca-  
pott, Gardiner & Van de valle, New Light on the Remesside Tomb Robberies  
JEA XXII pp. 168 - 193 pls. X-XVI.

Gardiner LEM. P. 136; ibidem, Onomastica I 86. (٣)

ولعل الملاء من دهاقين القصر قد استعجلوا التخلص منه، وما يشير  
بزعامته من متاعب في بني إسرائيل فتأمروا على قتله، وأكبر الظن أن  
الرجل قد جاء ناصحاً كذلك بما يسلك من طريق ويقصد من أرض وما  
يتحرى من موعد ويركب من قافلة، وقد كانت المشورة بالشخص إلى  
مدين بعيداً في البادية، حيث لا تناله العيون ولا تصل إليه أبدى  
الطالبين، وقد كانت القوافل إلى مدين - فيما يبدو - تتخذ طريقاً لا  
تختلف أو لا تكاد تختلف في جزء منها على الأقل عن طريق بعثات  
التعدين المصرية في سيناء، إذ توغل بعد عبورها البرزخ إلى  
قمر بسهل المرخا، ومنه إلى سيح ببيع، أو سيح سدر<sup>(١)</sup>، ولعل المراد  
قد أقبل يسعى ناصحاً بافتناص فرصة موالية وميقات طيب أن يندس  
متكرراً في إحدى قوافل التجارة أو التعدين التي كانت تستعد يومئذ  
للرحيل إلى سيناء، وكانت بعثات التعدين بما تضم من جماهير غفيرة من  
العمال والجنود لا تعمل هناك - لقسوة الصيف - إلا في الشتاء<sup>(٢)</sup>، فإذا  
كان مقتل المصري بيد موسى وما اقتضاه من فرار قد وقع - فيما افترضناه  
مع موت رمسيس الثاني، فقد وقع إذن في مطالع الشتاء إذ تستعد قوافل  
التعدين خاصة، والقوافل عامة للرحيل إلى سيناء وجزيرة سيناء، وذلك أن  
التاريخ مثبت في حياة رمسيس الثاني، كما ذكر في حاشية  
هاتور من عام حكمه السادس والستين<sup>(٣)</sup>، ولعله مات بعد ذلك بشهر أو  
شهرين من مطلع عام حكمه السابع والستين، أي في كيهك أو ضوبة  
وبقابلان ديسمبر ويناير من شهور تقويمنا الإفرنجي.

Cerny, The Inscriptions of Sinai I pp 11 ff. (١)

BAR I § 735 (٢)

Gauthier, Livre des Rois III p 48. (٣)

لم يكن لموسى من مناصب إلا أن يهرب من مصر حيث لا تناله  
مراوات الشرطة من رجال المازوى الأشداء، أو تصل إليه أيدي  
الشرطة. وكانت في مصر شرطة منظمة يجند رجالها من قبائل الماچوى  
(أو المازوى) في أقصى جنوب مصر، ويستطيعون الإتيان به.

فخرج منها حزبا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (١)  
إلى مدين مدي قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل  
[النقص : ٢١، ٢٢]

خرج موسى من مصر هاربا إلى ما نصح بقصده من البادية في أقصى  
شرق من مخرج مصر والمدخل الطبيعي إليها من سيناء، وكان عليه أن  
يختار ما يسلك إلى مدين من سبيل. كان طريق حور الملكى ينبعث من  
مدين بموضع المنطرة من بروزخ السويس - شمالا إلى غزة جنوبي فلسطين  
مدين مدين، حيث احتل مكانة خطيرة في الحركات العسكرية التي  
يجنيها الفراعين، أو تعرضت لها مصر من قبل أعدائها، وكانت له  
مكانته فيما كان جاريا من تجارة وسفارة بينها وبين الممالك من جيرانها  
وب تحت سلطانها من أقاليم سوريا وفلسطين والنهرين، ولذلك فقد  
شدت حرص الفراعين على تأمين تلك التخوم التي كانت عرضة منذ  
القدم، لغارات البدو على شرق الدلتا، وكانت تدابير الدفاع قد اقتضت  
في الأسرة الخامسة منصبا خاصا، يتولى الإشراف على الأسوار  
والحصار والفلاع الملكية في منطقة عين شمس، وذلك لتأمين الطرق  
التي يعتمد عليها من الأبار التي يعتمد عليها في سفرهم المسافرين.

ولقد تحدثت قصة سنوثة عما كان عليه أن يتجنب في فراره من مواقع  
المراقبة والدفاع التي كانت تغطي التخوم الشرقية بأسرها، حيث قامت  
كذلك أسوار قوية باسم أسوار الحاكم في موضع الإسماعيلية الآن،  
وقلعة ثوكوت إلى القرب منها في موقع تل المسخوطة، وذلك فضلا عن  
أبراج المراقبة عند الأبار في الجنوب، وكان على المسافر أن يخضع  
للتفتيش عند مخافر الحدود، كما كان على كل داخل إلى مصر أن  
حتى يأتيه الإذن بالدخول، ولذلك فقد اضطر سنوثة في فراره - وكانت  
فلسطين قصده - أن يوغل حيث تقل المخافر إلى جنوبي بحيرة التمساح  
عند البحيرات المرة، حتى وجد سبيل الإفلات، وكذلك فعل موسى من  
غير شك حين هرب من مصر إلى مدين، وكما فعل من بعده وقبيل  
خروجه ببني إسرائيل عبدان أبقان، أرسل في أثرهما ضابط حفظ ل  
تفريده عن تعقبهما. فقد كتب «كاكم ور» قائد قوات ثوكوت إلى زميله  
إبنى وباكن بتاح، يحبطهما خبرا بذلك، ويروى لهما ما تنطس من أخبار  
الأبقين، إذ ذكر أنهما مرا مخفر ثوكوت قيل وصوله إليه بساعات وأنهما  
سبقاه، فاجتازا الحصون الشمالية من مجدل أو قلعة سبتى مر نبتاح. قبل  
بمدينتهما، ثم يقول الضابط صاحب الرسالة فيد تلعت نفسى  
فاكتبا إلى بكل ما وقع لهما وعمن استدل على أثرهما، والمخفر الذي  
استدل عليه، والرجال الذين جدوا في أعقابهما والعدد الذي أرسلتهما  
في طلبهما (١).

كان على موسى أن يسلك إلى مدين طريقا تواريه وتقيه، ولم يكن

Gardiner, Late Egyptian Miscellanyes (Bruxelles 1932) p. 66 - 67; Prichard (١)  
op. cit. p. 259

ضرب حوز وسط السهل المنبسط، والحركة الدائبة والقوافل المنصنة،  
الرفقة الحدة، سبيل إلى مهرب ولا إباق، ولذلك فقد يعم إلى الجيوب  
من سيناء حيث النطاق الوعر من شواحق جبالها، وتخرج وديانها،  
وتشاك شعابها.

ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يَسْقُونَ ووجد من  
دربهم امرئ يدعوه قال ما خطبُكما قالتا لا نسقي حتى يُتدر  
الرءاء وأبونا شيخ كبير ﴿[القصص: ٢٣]

وقد أقبل على بئر مدين فإذا الناس عليه مزدحمون بأغنمامهم يسقون،  
— موسى فإذا فتاتان قد تنحتا عن الناس رقة وضعفا أن تجاهدا في  
رحام، وقد طفقتا تذودان مالهما من أغنام أن تختلط بأغنم المتدافعين  
متاحمين، وتروق الفتاتان موسى وتأخذه الرحمة بهما، بل لعله  
سحب إحداهما حيث تقدم إليها متحدثاً مستفسراً مستأنساً، فإذا هما  
— شيخ كسر لا ولد له، ولا هو يستطيع الخروج لسنه، أو استنجار  
جل يرعى غنمه لعسره، فهما — من غير شك — إنما خرجتا إذن تحت وطأة  
الحاجة والعوز والاضطرار، لذلك فقد أخذته الشهامة ودفعته الرحمة  
إلى بذل العون لهما.

فسلّى لهما تم تولّى إلى الظل فقال ربّ إني لما أنزلت إلي من  
خير فقير ﴿[القصص: ٢٤]

— الفتاتان فتحدثان أباهما بما وقع لهما منذ قليل، وقد عادتا هذه  
مرة مسرعين، وظهر أن إحداهما، وقد كانت ألحن حجة وأبلغ مقالة،  
قد أفضت في وصف ذلك الغريب الساغب الذي دفعته النخوة وحرصته

لشهادة دون سائر الناس على السقيا لهما، حتى أغرت أباهما لأمر  
إيه داعياً إلى طعام وداعياً إلى قسط من راحة بعد وعاء السفر وسعة  
وأسر الظن أن الأب المأخوذ بمقاتلتها لم يجد إلا أن يرسيا في حسنة  
وهي أكثرهما حماسة وحرصاً على دعوته.

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبى يدعوك  
ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تحن  
نحوت من القوم الظالمين ﴿[القصص: ٢٥]

حمد لله الذي عجل الاستجابة، فقد أتاه ما هو إليه من خير فقير  
ربى جراء ما قدمت يداه للفتاتين من معروف، ثم أتاه البشير مؤكداً أنه  
هنا في مدين ناج من بطش فرعون وملته، فلن تصل إليه أيديهم وأن  
نخوذ المصري منحسر عن تلك البقاع.

وقد جلس موسى إلى مضيقه يتحدث إليه ويروي قصته، ولكن نسأله  
ذكرت أن الضيف بعد أن طعم وأنس إلى أبيها قد أوشك أن يحسن  
ربرتة، وبهم بالانصراف لشأنه، وقد وجدت في نفسها ميلاً إلى بقائه  
بل استبقائه، فكان أن اهتدت إلى مسوغ عرضته على أبيها وتقدمت إليه  
فيه

﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي  
الأمين﴾ [القصص: ٢٦]

وأدرك الأب بشاقب فكره ما قد كان يدور في خلد ابنته وما كان يشور  
في نفسها من المشاعر والأحاسيس، وأنها مالت إلى ذلك الرجل العبري  
المصري الغريب الذي أقبل من مصر لاجئاً طريداً شريداً.

قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجري  
نسابي حجج فإن أنمت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك  
ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴿ [القصص: ٢٧]

ولم يكن لموسى من بلد يعرفه ولا وطن يهفو إليه، ويتطلع إلى رؤيته  
بعد ذلك الشئ الذي فرض أو قدر عليه سوى مسقط رأسه وموطن أهله  
في مصر. ولعل الرجل قد رأى منه لهفة على وطنه وحنينا إليه فلم يشأ  
أن يرفق في الطلب، ويرفق في الإيحاء بالاستزادة. أما موسى فلم  
يغير القبول من سبيل، ولكنه لم يقطع على نفسه أطول  
مهلة. فأعطى الأمل تلطفاً عن الرفض وتحسبا لحبايا  
وحصل نفسه بالخيار أو ترك لها على هواها الخيار.

لكن ذلك سى ربك أيما الأجلين قضيت فلا غدوان علي و  
على ما نقول وكيل ﴿ [القصص: ٢٨]

وقد موسى في مدين مع زوجته وحميه عاما بعد عام، وكأنني به وقد  
يستعجل الأيام كي يعود إلى ذلك البلد الذي ولد فيه ونشأ في  
بطنه. وتسم هواه وسعد به، حتى أنهم ثمانى حجج، ومع ذلك فتد  
بالتحريث حتى تأتيه الأنباء مطمئنة بأحوال مصر على عهد مرئيتاح  
وأخبار مرئيتاح وكان فيما يبدو في أواخر أيامه، فما زالت جريمة موسى  
وخوفه من فرعون وملكه يراودان فؤاده، وإن ظل الناس في مصر  
لضعف مرئيتاح وشيخوخته. يتوقعون منذ عامه الثامن نهايته حتى قضى

نحبه بانتضاء فصل الفيضان بشهوره الأربعة من عامه العاشر، وحلول  
فصل البذر مع مطلع الشتاء<sup>(١)</sup>:

وأحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. [خروج ٢: ٢٩]

مات مرئيتاح في مصر، وانبعث الأمل بالعودة إليها في صدره،  
وخلفه على العرش ابنه الشاب ميتي الثاني مرئيتاح، ولعل فيه أملا  
يطمع فيه، وسماحة ترحي وقد راود بنى إسرائيل الأمل فيه كذلك إذ  
تقول التوراة:

«وتهد بنو إسرائيل من العبودية». [خروج ٢: ٢٩]

إنه المعاد إذن إلى مصر، وسيكون فيه الميعاد مع الله.

خرج موسى معاده إلى مصر، فلاحق مع زوجته من غير شك - بقافلة  
من تلك القوافل، التي كانت لا تنفك تذرع البوادي فيمابين مصر  
وجيرانها من بلاد المشرق بائعة ومبتاعة من عروض التجارة ما تشاء، فلما  
جن عليهم الليل في سيناء، وعرس القوم يطلبون الراحة وقسطا من نوم  
الأمور بعده إذا أصبحوا بالميرة والسقيا لمرحلتهم التالية، إذ يمرسى بساحل  
عند الأفق تبارا شدت أجفانه إليها وجذبت نفسه نحوها واستطلاعها  
لشأنها، وكان موسى من غير شك، على شوقه لقومه وحنينه إلى مصر  
يستشعر من العودة، ويتحسب من أهلها ومن فرعونها الجديد. وقد كان  
من غير شك في حاجة إلى جلبة ما جد من خبرها ودقيق أحوالها بعد

Gauthier, Livre des Rois III p. 421; Caminos. Late Egyptian Miscellanies p. (١)  
303; Gardner, Egypt of the pharaohs (1961) p. 276.



تلك العشر الطوال التي هجرها فيها ونأى على مداها عنها، وعمن تعاقب من عواهلها عليها، وما لهم من بطانة وأنصار، وقد نظر فأطال النظر إلى تلك النار لا يكاد يقوى على كبح جماح نفسه عن إتيانها والإلحاح بها، فما ينبغي أن يفجأ بأهل مصر بعد تلك السنين.

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور بارئ من لاهله امكنوا بني آست نارا لعلّي آتيكم منها بخبر أو جذوة من نار لعلكم يصطلون (٢٠) فلما أتاهم نودي من شاطئ الواد الأيمن في بطن عريضة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين [القصص: ٢٩، ٣٠]

ومن حديث موسى (٢٠) إذ رأى نارا فقال لأهله امكنوا بني آست نارا لعلّي آتيكم منها بخبر أو جذوة من نار لعلكم يصطلون (٢٠) فلما أتاهم نودي من شاطئ الواد الأيمن في بطن عريضة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (٢١) فلما احتزنك فاستمع لما يوحى (٢٢) إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وافهم الصلاة لذكري (٢٣) إن الساعة آتية أكاد أخفيها لمن يرى (٢٤) فإني أريد أن يصعدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى [طه: ٩ - ١٦]

هناك في ذلك الموقف المشهود الذي وقفه موسى في تلك البقعة المباركة من سيناء عهد إليه ربه برسالته إلى فرعون وملئه:

وما نلك بيميك يا موسى (٢١) قال هي عصاي أتوكأ عليها

وأمشي بها على غمبي ولي فيها مآرب أخرى (٢٢) قال ألقها يا موسى (٢٣) فألقها فإذا هي حية تسعى (٢٤) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢٥) واضمم يديك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٦) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٧) اذهب إلى فرعون إنه طغى [طه: ١٧ - ٢٤]

وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب - موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين (٢٦) اسلك يديك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذابت سحرة فرعون إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين [القصص: ٣١، ٣٢]

ولقد أحس موسى حينئذ بثقل العبء الذي وقع على كاهله، وقد كان وهو عائد إلى وطنه يقدر الأمن بعد الخوف، والقرار بعد الفرار، وقد كان حريصاً على ألا يثير عليه السلطان وقد قتل نفساً ما زال يحمل - ولم ينس - وزرها في ضميره.

قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون [القصص: ٣٣] ومع ذلك فما كان ليعود إلى مصر لو لم يكن به اطمئنان، أو بعض اطمئنان، إلى أنه لن يطلب بدم ذلك القتيل، إذا حسنت سيرته فيهم، واستأنف حياة جديدة خالصة من العداء والعدوان، وذلك في عهد الملك الجديد الشاب سبتي مرنپتاح بن مرنپتاح بن رمسيس الثاني.

أترى إلى أن العقوبة، أو الدعوى الجبانية كما يقول أهل القديون قد

سقطت بالتقدم أو مضى المدة، وإن ظلت ماثلة في الأذهان؟ فقد ذكره  
فرعون بذلك حين لقيه فمن عليه أن ربياه جده وأحسن مثواه أبوه.

قَالَ لَمْ يَرْكُ فِيَا وَلِيْدَا وَلِيْشَتْ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سَنِيْن (١٨) وَفَعَلْتَ  
فَعَلْتَ لِيْ فَعَلْتَ وَاسْتَ مِنْ الْكَافِرِيْنَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهُمَا إِذَا وَآمِنَ  
سَلَامًا (٢٠) فَتَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَكُمُ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي  
مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ [الشعراء: ١٨ - ٢١]

فقد فر موسى لما خاف، ثم عاد حين آمن، فإن كان ذلك كذلك فمتى  
الجنانية في مصر في ذلك الأوان البعيد؟ فلقد خرج  
جريمته فراراً من العقاب إلى مدين، وهناك استقبله  
والد الختاتين فعرض عليه إحدى ابنتيه على أن يأجره أعواماً كان حريصاً  
على ما استطاع، ولكنه إنما عرض عليه الأجل الذي لامرأته  
منها لا جناً بعيداً عن مصر، وهي السئون الثماني مستوياً  
لأنه إن شاء أن يتمها من عنده عشراً، وفي سفر التكوين من التوراة  
(١٨: ٢١) أن يعقوب تقدم إلى خاله لابان خاطباً ابنته راحيل زوجاً،  
فقال: «أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى»، وقد كان لرقم  
سبعة فيما يبدو منزلة خاصة في عادات المشرق وتقاليده منذ القدم،  
ولعله الأجل المعروف في كنعان أجراً أو مهراً على من يتقدم لا يتقدم إلا  
به خاطباً، ولكن صاحب موسى وحماه فيما بعد - إنما عرض ثمانياً ولم  
يعرض سبعة، كأنما تقدم مع طمعه في عشر - بما لا بد أن يقضيه موسى  
بعيداً عن مصر، فيقبله اضطراباً حتى تسقط العقوبة، وحتى يستطيع  
العودة إلى بلده العزيز الذي لم يعرف بلداً سواه.

ثم كان ذلك الموقف المشهود، حيث نودى من شاطئ، نواذى الأئمن  
في الشقة المباركة من الشجرة، وحيث أدرك موسى أنه بدلت مقبل على  
جليل من الأمر خطير:

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْظُرُ  
لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ  
[الشعراء: ١٢ - ١٤]

وقد شرح ذلك مبيناً شيئاً من قلة الثقة بالنفس، والشك في احترام  
فرعون وملكه وتقاليده بلدهم وأعرافها:

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٥) وَآخِي  
هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رَدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
يُكَذِّبُونِ [القصص: ٢٣، ٢٤]

ثم توجه إلى ربه بالدعاء:

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاجْعَلْ لِي  
عَنْدَهُ مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩)  
هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْ فِيْ أَمْرِي (٣٢) كَيْ  
يَسْحَتَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذَكِّرَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بَصِيرًا (٣٥) فَن  
قَدْ أُوتِيتَ سَأْلَكَ يَا مُوسَى [طه: ٢٥ - ٢٦]

وصدع موسى بما أمر، وانطلق إلى فرعون يتوكأ على آية ربه الكبرى.

## عصا موسى،

وقد بدا لبعض المستظلمين التساؤل في عصا موسى ما نوعها وخشبها؟ فقليل: إنها كانت من العبال، وهو كما في المعجمات العربية من خشب من بلاد مصر وهو يعظم حتى تقطع منه العصى، حكاه أبو جعفر الطبري، ويؤمنون أن عصا موسى عليه السلام كانت منه<sup>(١)</sup>.

ذلك فما كنا لنخوض في مثل تلك الأخبار لولا ذلك الخبر الوارد في بعض من رقيقة ويثير من تساؤل في تعيين العبال دون سواه، ثم ما نرى به ذلك من دلائل على أصداء تواتر تاريخي انحدر عن أعماق القدماء. فقد كانت العصى والصوالة من علائم الشرف وإماراته عند المصريين من مسترديم الفراعين، وكانت من أنواع وأشكال كثيرة، وكان منها ما يسمى عبا<sup>(٢)</sup> (أو عباء)، ولا أكاد أشك في معنى هذا الحديث قد تواترت عن مصر حتى أدركت مفسري الإسلام وأدركها مفسرو الإسلام فكان أن استندوا- فيما عسى أن ألقى إليهم من خبر موسى، واتخاذها من الصوالة أو العصى «عبا»- إلى أنها حكم الجناس وتداعى المعانى في الأذهان- من الورد الجبلى المعروف

\*\*\*

وبعد فلعلنا بدراستنا للحياة المصرية والأدب المصرى أن ندرك الحكمة من نزول الآية والمعجزة بالصورة، التى شاء الله أن تنزل بها. فما كانت

<sup>(١)</sup> Wörterbuch der Ägyptischen Sprache I 170. V. HASENACKER, Die ägyptische Sprache des Alten Reiches bis zum Ende des Neuen Reiches (Leipzig, 1926) passim.

لتنزل إلا فى أمر من واقع حياة الناس وما يدور بأذهانهم فتكون محققة فى أعينهم- على غير قاعدة ولا قياس- لحارق من الأعمال طدا فكريا فيه، وسمروا به، وضربوا به فى أغوار الوهم وتخيلوه، ولعلنا كذلك ندرك تحيزة المصريين وسبقهم إلى الإيمان بكل من يبعث فى الناس من الأنبياء والمرسلين.

وقد ورد لنا عن الحياة المصرية القديمة من أحاديث السحر والسحارين، وما كان الناس يخرجون به إلى عالم الغيب من عالم الشهادة، ومن دنيا الواقع إلى آفاق الخيال، وكان المصريون- فيما تشهد به تلك الأقاصيص- يحبون أحاديث السحر وخوارق الأعمال- وفيما سبوه إلى خوف- فى بردية وستكار<sup>(١)</sup>- من حبه السحر وإقباله عليه، وما بصور لنا كذلك ما تعلقت به أوهام الناس فى العصور القديمة، من حيالات يردونها إلى السحر ويستعينونه عليها.

وقد كنا قدمنا ما روى من أن خوفو، جلس إلى بنيه يتحدثون إليه ويسمرون معه، حيث طفق كل واحد يروى قصة من غرائب ما روى عن أسلافه من الملوك والكهان، وهو يستمع إليهم قريبر العين منشرح الصدر. إذ وقف خعفرع فحدثه عن كاهن يدعى أوبا أوتر بلغه أن امرأته نعلت بفتى فى المدينة كان يقبل فينفق معها سحابة النهار فى جو سقى منزول فى الحديقة عند بحيرة الدار، فإذا قضى منها وطرا نزل إلى البحيرة غسل؛ فعمد الكاهن فخلق من الشمع كهينه الشمساح. ثم أتته فى البحيرة بعد أن قرأ عليه من عزائم السحر ما حوله إلى تمساح مفتر من عظم قصى على الفتى حين نزل إليها. ثم دعا ملىكه ليشهد ذلك

<sup>(١)</sup> Lefebvre, op. cit. p. 70-90

إلى الملك التمساح حتى ارتاع وفزع لمراه، ولكن الكاهن ما كاد ينحني  
 حتى عاد سيرته الأولى دمة من الشمع، ثم وقف بأوفرع، وروى  
 من حده حرجم عنخ أشار عليه فيما يحس به من كالة ونسب  
 إلى التخلص منهما من سبيل، بالتزول إلى بحيرة القصر مع  
 من الغيد الحسان من فتيات قصره يجدفن ويغنين، وقد فعل  
 نبت فتسربت إليه البهجة وسرى إلى نفسه السرور بما شهد من فتيات،  
 يس عيين من اللباس إلا ثياب من شباك لا تستر شيئا، أو لا تكاد تستر  
 شيئا. وبما سمع من غنائهن ومن يسرين به في مياه البحيرة وسط الخمائيل  
 ما رأى من توقفهن عن التجديف، لما شكت إحداهن  
 في الماء وإصرارها على حليتها لا ترضى عنها بديلا  
 ولا تقبل فيها عوضا وعد الملك به، هنالك دعا ستفرو كاهنه الذي قرأ من  
 حارته السحر ما انشقت به مياه البحيرة، حيث انطوى نصف على نصف  
 لفاع ورأى الخلية فالتقطها وردها إلى صاحبها.

بما كان دور جدفوع إذا به يحدث جلالته عن ساحر يحيا في عهده  
 بلغته به القدرة أن يلحم الرأس المقطوع ويذلّل الأسد  
 به، وقد دعى الساحر بين يدي خوفو، حيث عرض سحره عليه.  
 معتبرا عن إيقاعه بإنسان فأوقعه بأوزة، ثم ثور فصل رأس كل منهما،  
 ثم مازال يقرأ من عزائمه والرأس يقترب من الجسد حتى التحما وعادت  
 الحياة إلى كل منهما.

ولا شك أن ما استعرضنا من تلك الخوارق التي سمر بها المصريون إنما  
 نذكرنا بما نزل على النبيين من معجزات، فدمية التمساح التي استحالت

إلى تمساح عظيم أربب الملك، فلما التقطه أوبا أونر عاد سيرته الأولى،  
 إنما تشبه عصا موسى:

فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال حدها ولا تحف سعيها  
 سيرتها الأولى ﴿ [طه: ٢٠، ٢١]

وتشبه كذلك ما قيل على لسان المسيح:

برسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم  
 من طين كهينة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأمرى لأكمه  
 وأمرى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في  
 ربكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴿ [ال عمران: ٤٩]

ثم نجد في القصة الثانية شيها بما كان عند خروج بني إسرائيل:

فأوحنا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانشق فكان كل  
 فرق كالطود العظيم ﴿ [الشعراء: ٦٣]

ولا شك تذكرنا قدرة جدى على وصل المقصول من رأس الحيوان  
 بقوله تعالى:

وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن  
 قال بلى ولكن ليطعن قلني قال فخذ أربعة من الضير فصرهن إليك ثم  
 اجعل على كل جبل منهن جردا ثم ادعهن يأتينك سعيها واعلم أن الله  
 عزيز حكيم ﴿ [البقرة: ٢٦٠]

صدق الله العظيم، وجلت حكمته فيما يختار لأنبيائه من القول والفعل إنه على كل شيء قدير.

### لقاء فرعون

وقد عاد موسى إلى مصر، فلم يلق من أهلها إلا خيراً، ووجد رغم فساد العهد يومئذ - أن للقانون والأعراف حرمةً وذكماً، فلم يؤخذ سقوط الدعوى الجنائية في غيبته - بذنبه، وقد صدع موسى بما أمر، وولّى وجهه مع أخيه شطر فرعون يدعوه

وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين (١٠٤) حقق موسى يا فرعون على الله إلا الحق قد جئتكم بينة من ربكم فأرسل معي سي إسرائيل ﴿الأعراف: ١٠٤، ١٠٥﴾

ولكن فرعون لم يسمع له ولم يؤمن به.

فما من لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم - منهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المفسرين ﴿يونس: ٨٣﴾

يونس: ٨٣

بل لقد عمد فرعون إلى السخرية بما سمع من دعوة إلى الله.

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴿القصص: ٢٨﴾

ولعل موسى كان من قبل - بل لا شك - قد بادر، وفاءً منه وشوقاً إلى ذية البيت الذي شهد مطلع حياته وقضى صباه فيه حريضاً على لقاء تلك التي تبته وتولته منذ طفولته الأولى بالتربية والرعاية، ولعله أقبل عليها معزياً في وفاة أخيها وزوجها مرنيتاح الذي نشأ في كنفه معها - يستمد من انتسابه إليه في المجتمع قوة وأيداً أولاً، مثلماً منها اتصال - والمشورة فيما هو مقبل عليه عند لقاء فرعون الجديد ثانياً، قبل موسى على «آسة نفرة» فلم يجد منها إلا ما يجد من الأم حسناً ورحمةً وحباً، ثم استعداداً للسمع وتصديق ما جاءه والإيمان برسائله. - احتمال ما عسى أن يصيبها - وقد صارت يومئذ الأم الوالدة - من عسيان ابنها الفرعون بل وعقوقه، وتكرار الملام من حوله لها، حتى فرغت منه إلى الله:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]

ثم كان بين موسى وفرعون جدل شق واستطال، وتساءل فرعون:

﴿قَالَ قَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى؟﴾

﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (٥٠) الذي

جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء  
فخرج منه ارواحا من سات شتى (٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم إن في  
ذلك لآيات لأولى البصيرة (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها  
نخرجكم تارة أخرى ﴿ [ طه : ٤٩ - ٥٥ ]

تتبع الجدول والحوار وتزداد شدتهما وحدتهما:

قال فرعون وما رب العالمين.

قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين.

ول من حوله لا تسمعون.

قال ربكم ورب آبائكم الأولين.

قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون.

ول رب يسررك ولسعرب وما بينهما إن كنتم تعقلون.

قال لن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين.

ول من حوله نسيء ميين.

ول رب يد إن كنت من الصادقين.

ول من حوله فإدا هي نعبان ميين.

وبين يده فإدا هي بيتاء للناظرين (٣٢) قال للملأ حوله إن هذا

لساحر عليم (٣١) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فمماذا  
تأمرون ﴿ [ الشعراء : ٢٢ - ٣٥ ]

ويردد الملأ من حول فرعون قوله للناس:

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١) يريد أن  
يخرجكم من أرضكم فمماذا تأمرون (٢) قالوا أرحه واحدا وأرسل في  
المدائن حاشرين ﴿ (١١١) يأتوك بكل ساحر عليم ﴿

[ الأعراف : ١٠٩ - ١١٢ ]

تتألف فرعون حديثه مع موسى وفهد طمأنينة من حوله  
لرأى عنده.

قال أحتسب أن يخرجنا من أرضنا بسحره يا موسى (١) فمماذا  
تأمرن (٢) فاحمل بسا وسنت موعدا لا تحلفن بحس ولا بس مكن  
سوى.

قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشَرَ الناس ضحى.

فولى فرعون فجمع كيد ثم أتى.

قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذب فسحقكم بعد  
وقد خاب من افتروا.

فنادعوا أمرهم بينهم وأسروا الحوى (١٠) قالوا إن هذا لساحر

ربهم من أخرجكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم  
سائر (١١٠) كيدكم تم أنتم صفا وقد أفلح اليوم من استعلى  
[طه: ٥٧ - ٦٤]

فـ موسى يقول للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح  
... حسا للتمنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكنا  
لكرياء في الأرض وما نحن لكم بمؤمنين ﴿ [يونس: ٧٧، ٧٨]  
وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين

قال نعم وإنكم لمن المقربين

قلوا يا موسى إن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين،

فـ السحرة سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا  
سحر عظيم ﴿ [الأعراف: ١١٣ - ١١٦]

فـ من سحر فإذا حسائهم وعصيتهم يخيّل إليه من سحرهم أي  
سحر (١١١) كيدكم تم أنتم صفا وقد أفلح اليوم من استعلى  
... كيدكم تم أنتم صفا وقد أفلح اليوم من استعلى  
... كيدكم تم أنتم صفا وقد أفلح اليوم من استعلى  
[طه: ٥٧ - ٦٤]

وأوحى إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٢)  
فدع الحق وشك ما كانوا يعملون (١١٣) فاعلموا هناك وانقلبوا

صاعرين (١١٤) وألقي السحرة ساجدين (١١٥) قالوا أما رب  
العالمين (١١٦) رب موسى وهارون (١١٧) قال فرعون أمتهم يد قبل أن  
آذن لكم إن هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها  
فسوف تعلمون (١١٨) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم  
لأصلبنكم أجمعين ﴿ [الأعراف: ١١٧ - ١٢٤]

إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من  
خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عداوة واتقى  
[طه: ٧١]

ذلك وعيد أي وعيد، وهو وعيد ذكره وانترد بذكره في قوله  
براقة، وهو خبر حليق بالمؤمنين قوله والإيمان به، لأنه تبيين لما  
ظل من بين يديه ولا من خلفه من رب العالمين، ومع ذلك فقد شهد  
بجد مصداق بين أيدينا من القراء، وأن يتحذر بنيان، شاع  
من يصور التعذيب في زمان «فرعون»، وقال السني إنه قد وضع  
من خلاف وصاب، وقد ورد النص عن مرتاح الذي شاع في  
أنه فرعون الخروج، وعندى. وسوف أذكر الأساطير أن فرعون خروج  
إنما كان سبتي بن مرتاح بن رمسيس، وأنه إنما هدد عما كان استمر  
فيمن كانوا عليه خارجين.

\*\*\*

وقد تداعى الناس بعد ذلك اللقاء بين السحرة وبين موسى إلى بيوتهم

(١) Youssef, op. cit.

... حتى يأذن برحمته ورحمه

و راحي يي موسى واحيد ان تبوءا لقومكم بما بصر بيننا واجعلوا  
يوثكم قبله واقموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴿٨٧﴾ [يونس : ٨٧]

يكن السطانة من حول الملك وكل الملوك والرؤساء، لا تخلد إلى  
... دسة القول دائمة التحريض.

من الملاء من قوم فرعون أذّر موسى وقومه ليفسدوا في  
... ر بيت قال سئل أساءهم ويستحي أساءهم

... الله واحصروا إن الأرض لله يورثها من  
... والعاقبة للمتقين

... ما جنتا قال عسى ربكم  
... في أرض فيطر كيف تعملون

... فرعون بالناس ونقص من الثمرات لعلهم  
... الحسد فالوا لها هذه وإن تصبهم حسدا  
... لما طأرتهم عند الله ولكن أكثرهم لا  
... ما تاتاه من آية لتسحرنا بها فما نحن لك  
... عليهم أطينهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع

ولم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين (٨٨) ولما وقع  
عبيهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت  
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل (٨٩) فلما كشفت  
عنيهم الرجز إلى أجل هم بالعودة إذا هم يكتون (٩٠) فاستنسا منهم  
فعرقناهم في اليوم بأنهم كذبوا بآياتنا وكابوا عينا عافلين  
[الأعراف : ١٢٧ - ١٣٦]

غير أن نكوارث فيما ذكر القرآن وروى الشريعة قد حقت تفسير ...  
... فاضيت بالقحط والعلل والآفات. ولم تكن مقصود على ...  
... كما قد ينزل بها من ذلك على مدى ...  
... ففصوح لزج أوزد فغرق البلاد بصرفان عطية. ...  
... فمنا ندير لتوازل ونقص من ثمرات. فبدأ وقعت ...  
... لأدواء والأوبئة فحصدت الناس حصد. قد يعجزهم عن ...  
... هم إلى القبور. وقع بها ذلك مثلاً في أعقاب ...  
... حكيم ذلك الزمان إيضاح أن الناس كانوا ينسبون ...  
... صار مدفوناً ووقع أو آخر لأسرة العشرين حتى ...  
... سموه لشدة عدم الصبغ، ولقد كان المصريون يحسبون ...  
... بدلع فيها أيام المحن من الأوبئة ويستشرون من الميت ...  
... سحمت قد انطلقت في الناس عدسة قومه. ...  
... في دمايتهم، حتى لقد انطبع خيالهم في تصوير ...  
... الحربة فيشبهونه لأنه سحمت العاصفة من المحنة

E. A. F. ... Oxford 1971. Vol. II. fasc. 6 p. 35.  
line 45:





ملكنا للشعب. لقد كانت سقطت مصر، وحرم كل امرئ من حقه ولم  
يكف متحدث باسمهم منذ أعوام كثر. . . كانت أرض مصر موظفين  
... ثم حل عند آخر في أعوام  
... السورى أميرا، ففرض على  
... فجمع رفاقه ونهب أموالهم، فعاملوا الآلهة كما  
... فلما أن ارتدت الآلهة  
... كما كانت أحوالها الطبيعية، أقامت ابنها  
(٢)

#### الخروج

و بعد موسى بسبعين من المتعدين إلى السبعين  
مصر من سبيل. وقد ضاق موسى والذين هادوا بتلك الحياة التي فرضها  
و قد فله يحد إلا أن يستعدى الله عليه:

... ربا ابنت فرعون وملافة زينة وأموال في الحياة  
... ربا اطمس على أموالهم واشدد على  
... يروا العذاب الأليم (١٠) قال قد أحسيت  
دعيتكم في سبيل الذين لا يعلمون

[يونس: ٨٨، ٨٩]

... لا ...  
The Text Papyrus 418, 46, Breasted, p. 14, 5, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400, 401, 402, 403, 404, 405, 406, 407, 408, 409, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 416, 417, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 426, 427, 428, 429, 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436, 437, 438, 439, 440, 441, 442, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 449, 450, 451, 452, 453, 454, 455, 456, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 467, 468, 469, 470, 471, 472, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479, 480, 481, 482, 483, 484, 485, 486, 487, 488, 489, 490, 491, 492, 493, 494, 495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 503, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 840, 841, 842, 843, 844, 845, 846, 847, 848, 849, 850, 851, 852, 853, 854, 855, 856, 857, 858, 859, 860, 861, 862, 863, 864, 865, 866, 867, 868, 869, 870, 871, 872, 873, 874, 875, 876, 877, 878, 879, 880, 881, 882, 883, 884, 885, 886, 887, 888, 889, 890, 891, 892, 893, 894, 895, 896, 897, 898, 899, 900, 901, 902, 903, 904, 905, 906, 907, 908, 909, 910, 911, 912, 913, 914, 915, 916, 917, 918, 919, 920, 921, 922, 923, 924, 925, 926, 927, 928, 929, 930, 931, 932, 933, 934, 935, 936, 937, 938, 939, 940, 941, 942, 943, 944, 945, 946, 947, 948, 949, 950, 951, 952, 953, 954, 955, 956, 957, 958, 959, 960, 961, 962, 963, 964, 965, 966, 967, 968, 969, 970, 971, 972, 973, 974, 975, 976, 977, 978, 979, 980, 981, 982, 983, 984, 985, 986, 987, 988, 989, 990, 991, 992, 993, 994, 995, 996, 997, 998, 999, 1000

وقد كان موسى وهارون قد حولا - عن امر الله - مستندان خرجوا في  
الخروج.

اذها إلى فرعون إنه طغي (٦) فقلوا له قولا ليا لعله يتذكر  
حتى (٧) قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٨) قل لا  
جناك إني معكما أسمع وأرى (٩) فأتاه قولا إنا رسول ربك فان  
بنو إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك واسأله عنى من  
اتبع الهدى ﴿ طه: ٤٣ - ٤٧ ﴾

ونم يفلح موسى في استرضاء فرعون ولا إقناعه، بل لقد وقع بينهم  
حدل عنيف بلغ حد التراشق باللفظ، وبلغا حد الالاعودة كما نقول

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل من إسرائيل اد حرمهم  
فإن له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا (١٠) قل لقد علمت  
... إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون  
مشهورا ﴿ الإسراء: ١٠١، ١٠٢ ﴾

ولم يعد لبني إسرائيل إلا الخروج من مصر هاربين، فحينئذ  
... من أمرهم، رب العرش بالخروج وأسرى بلبس

... وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متعصون (١١) فانزل  
فرعون في المدائن حاشرين (١٢) إن هؤلاء لشردمة قليلون (١٣) وإنهم  
للعانطون (١٤) وإنا لجمع حاذرون ﴿ الشعراء: ١٠٢ - ١٠٥ ﴾

كان معه قد خبر الطرق من مصر وإليها يوم اضطر إلى الخروج منها  
 خائفاً يترقب على طريق حرص من غير شك على أن  
 ميون والرقباء، فكان أن أوغل مبتعداً إلى الجنوب في  
 عليه هذه المرة كذلك أن يجتنب بمن معه الطريق السوي  
 من قبل موسى، وما كان من أمر العبدان الآتين في أيامه.

[الخروج ١٢: ٣٥-٣٨]

حين سلبوا المصريين الطيبين بما جبل المصريون عليه، رغم سياسة  
 من قلوب نقية ومودة خالصة وجوار سخى وكرم فياض، فكانوا  
 سحبه ما ضاع بنو إسرائيل عليه من الخقد وروح المؤامرة والغدر منذ التي  
 من في اجب بيد اخوته وبنى أبيه.

حاجة بما بعد الذي بينا من قبل إلى الوقوف هنا عند تعداد بني  
 من قبل أن نلفظ الألف قد زيد في الترجمة  
 من قبل أن نلفظ الألف في العبارة فصلاً عن الذين العبد  
 من قبل أن نلفظ الألف في العبارة فكان العبد في مصدر  
 من قبل أن نلفظ الألف في العبارة فكان العبد في مصدر  
 من قبل أن نلفظ الألف في العبارة فكان العبد في مصدر

ومضت التوراة في حديثها عن خروج بني إسرائيل فتقول:

[خروج ١٣: ٢٠، ١٤: ٣١]

وقد جهد علماء الآثار ما استطاعوا في تحليل تلك  
 من قبل موسى، وما كان من أمر العبدان الآتين في أيامه.

[الشعراء: ٦٠، ٦١]

وتحدثت التوراة في ذلك فقالت:

Printed on p. 274 Monted on p. 4911

حضر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده  
لما ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا، فشد  
قيدهم معه، واحد ستمائة مركبة متخبة وسائر مركبات مصر  
في جميعها، وشد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى  
لم يسمع صوت إسرائيل حين ينادون ربي، فشد  
الرب قلب فرعون ولم يسمع صوت إسرائيل  
عند البحر عند فم الخيروت أمام بعل صفون.

ففرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون  
مراحماء، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب، وقالوا لموسى: ها  
نأخذتنا لنموت في البرية، ماذا صنعت لنا حتى  
تخرجنا من مصر؟ هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر  
بأن نخرجنا من مصر، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن  
[الخروج ١٤: ١٢-٥]

فأوحينا إلى موسى أن اضرب  
معتاق البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلقنا  
إسرائيل من البحر فخرجوا من البحر على الجدران (٦٤) ثم أغرقنا الآخرين  
في دلت لاند وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٥) الشعراء: ٦٢-٦٥  
حدثت في إسرائيل البحر فأنعمهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا  
بأن يهلكوا إسرائيل فقال الرب لآلئ الذي أحببت به  
إسرائيل وأما من المسلمين (٦٥) الآن وقد عصبت قبل وكنت من  
المقسدين (٦٦) [يونس: ٩٠، ٩١]



(البحر بطول البحر)

من دفن كريم، ولقد مر بنا أن المصريين قد خصوا الغريق المتشل فيما بعد  
بعبارة الحميد «حسى».  
ولقد ذكر الله في محكم آياته غرق فرعون في سورة يونس، وذكر  
تعالى نجاته بيدنه من الهلاك لتكون آية للناس:  
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإنا كبير من الناس

\*\*\*

عن آياتنا تغافلون ﴿يونس: ٩٢﴾  
غرق فرعون ونجا بيدنه ليكون لمن خلفه آية.  
رب تكمل الآية لمن خلفه جيلاً أو حيلين، بل بقيت آية بعشرات كثيرة  
من الأجيال والمئات الكثيرة من السنين، وهي ثابتة كدلت يد مكن رب  
مرش لأهل هذا المصر من حصين القبور، وسلطان العلم، وأسرار التحنيط  
بمدينة القاهرة يأتي اليوم الحجيح السنحون إلى مصر، وسبأوت من  
نوح عسيق لسعبروا في خطوة واحدة ولحظة عابرة تلك العشرات  
الآلاف من السنين، ويشيدوا فراعين مصر في وقديتهم التي كتبت علم  
في سبيل استخلاص جثة رجل مات أو قتل في الغربة لدفنها في  
بقيده كان ذلك واجبا يرعاه الملوك وترعاه الدولة، وتحمل نفقته  
من الأحيان<sup>(٢)</sup> ولئن كان ذلك لأواسط الناس في مصر، فماذا  
كانت حاله من سلالة الأرياب؟! فلا شك بحكم طبيعه  
بمصر من حجير مصرين أن تكون جثة الفرعون الغريق قد طفت إذ  
نقت بالساحل فانتشلت من الماء حيث حنطت ودفنت بما تعود المصريون

ذسجل تاريخ موته في ذلك التاريخ على شقفة بالمتحف المصرى الآن  
Gauthier, op. cit III p. 132  
(٢) Ull. I 134 f. 135f.; Breasted op cit I § 360, 361 ff.

من دفن كريم، ولقد مر بنا أن المصريين قد خصوا الغريق المتشل فيما بعد  
بعبارة الحميد «حسى».  
ولقد ذكر الله في محكم آياته غرق فرعون في سورة يونس، وذكر  
تعالى نجاته بيدنه من الهلاك لتكون آية للناس:

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإنا كبير من الناس  
عن آياتنا تغافلون ﴿يونس: ٩٢﴾  
غرق فرعون ونجا بيدنه ليكون لمن خلفه آية.

رب تكمل الآية لمن خلفه جيلاً أو حيلين، بل بقيت آية بعشرات كثيرة  
من الأجيال والمئات الكثيرة من السنين، وهي ثابتة كدلت يد مكن رب  
مرش لأهل هذا المصر من حصين القبور، وسلطان العلم، وأسرار التحنيط  
بمدينة القاهرة يأتي اليوم الحجيح السنحون إلى مصر، وسبأوت من  
نوح عسيق لسعبروا في خطوة واحدة ولحظة عابرة تلك العشرات  
الآلاف من السنين، ويشيدوا فراعين مصر في وقديتهم التي كتبت علم



(شكل ١٢) حلمان رمسيس الثانى

سنى بشعره الأشيب وما زال به أثر الخضاب  
هذا مرنتاح شيخا أصلع وقد كان بادنا  
مرنتاح أو متى الثانى (شكل ١٤).

من غيرهم من القراعين ممن نراهم  
عذب بنى إسرائيل فيذبح أبناءهم  
مؤلا رفض ملة موسى وكان صاحب  
عقبن عند صاحب اليقين، وما زال  
مباده من يشاء وهو وحده علام الغيوب.

من فرعون وجنوده، وانطلقوا إلى  
نم عصبتهم فى جيشهم وفى مليكهم الغريق  
عبرين قد كفوا عن تعقبهم هناك وقد  
سوى النجاة، ولكن يكون منهم على  
ن، وكانت سيناء منذ أقدم العصور  
وزج والنحاس، حيث تركت بعثات النعدين  
من صراييط الخادم<sup>(١)</sup>، وكان المهندسون  
بتعبدون الإلهة حتحور، ربة تلأل  
والأسن ويقربون إليها الحمد والثناء على  
مهم - فى عقيدتهم - من خير.

A. Gardiner & E. Peet & J. Ceny The Inscriptions of Sinai I (I 19



(شكل ١٣) جثمان مرنباح

وقد اقتضى استغلال المناجم المنتظم، وقيام مجتمعات العمال فيها، ببناء معبد منذ الدولة الوسطى للإلهة حتحور في صرايط الخادم ترى أفلاطه اليوم (مصورة في شكل ١٥)، والذي لا شك فيه أن بني إسرائيل قد اتبعوا الدرب الذي كانت قوافل التعدين تسلكه إلى تلك المساحة في ليبيا، وأنهم مروا بتلك المناجم في تجوالهم هناك. حيث أشار القبط إلى مجده إلى مجتمع مقسم حول عبادة له في تلك البقعة. ولقد أحس بنو إسرائيل بحكم مقامهم في مصر، واختلاطهم بالمصريين واتخاذهم حضارتهم بالحنين إلى حياتهم الأولى. وتعلق قلوبهم بأرض المصريين التي كانوا - معهم - يعبدون.

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون [الأعراف: ١٣٠] ﴾

لذلك فلم يكدموسى يتركهم لميقات ربه، حتى تداعوا إلى عبادة عجل، واتخاذ التماثيل.

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تنزع سبيل المفسدين ﴾ ... ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا حسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ [الأعراف: ١٤٢ - ١٤٨]

وأخبر الله موسى بضلal قومه.



(شكل ١٤) جنمان سبى الثاني



(شكل ١٥) أطلال معبد صرابط الخادم



(خريطة ٢) الخروج والتيه



ومما عرفت عن قومك يا موسى (٨٣) قال هم أولاء علي أثري  
 حسب إليك رب لترضى (٨٤) قال قاتلاً قد قَتَلْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ  
 (٨٥) ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم  
 إنما أنا بشر مثلكم فاعبدوا ربكم فماذا أقول لمن يعبدكم  
 فاعبدوا ربكم فاعبدوا ما أحلفنا موعداً  
 من ربكم من ربه القوم فقد فتنها فكَذَلِكَ أَلْقَى  
 السِّلَاحَ فِي خُورٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ

مصر قديمة امتدت منذ أقدم عصور التاريخ  
 (٢) وقد عرف أشهر تلك العبادات  
 (٣) في تصنيف اليونان، حيث  
 يلاحظ شمس، والثاني في منف مدينة  
 يباح فيه يجمع على عبيد ملوك الأسرة السابعة  
 منزلة السامية التي تتجلى فيما اتخذوا من أسماء  
 أو النسبة إليه، وكذلك حرص أمراء تلك  
 من صار إليه الملك من بعد رمسيس الثاني  
 منصب الكاهن الأكبر للبعجل حيي (أبيس)، ومن قبله كان  
 كاهنه الأكبر، وذلك فصلاً عن عبادات أخرى.  
 في مصر مثل مين ومنتو.

مفراخروج إصحاح ٢٢

II Bonnet, Reallexikon der Ägyptischen Religion, t. 1, p. 614 (٢)

op. cit. 46, 468 (٣)

وكذلك عبادت حتحور في صورة البقرة، وكانت في عقيدتهم مرضعة  
 ربهم حور بن أوسر، ثم ربة الحب والحنان والأحسان، ثم صارت ربة  
 للحيانة ترعى الموتى وترأهم، وكانت صاحبة ألقاب وعبوت كثيرة منها  
 «الذهبية» أو ربة الذهب، و«صاحبة القلادة البراقة كسما، بنجومها»  
 كما كانت لها تماثيل موهبة بالذهب حفظت بمتحف القاهرة مثل منها (١)

ومن المحقق أن بنى إسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى إنما كانوا  
 إلى ما اعتادوا في مصر من الآلهة مرتدين، وأنهم اتخذوه من حليهم من  
 ذهب فتنة بحتحور الذهبية، وما كان لها من منزلة في النفوس، وذلك  
 فصلاً عما تأثروا به من حب المصريين للذهب، وصنع تماثيلهم شمسة  
 وما ندرى لعل الله حكمة فيما كان من أمر بني إسرائيل أن يصنع  
 ربة، وأنها ببقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، وقد كان سفر  
 من مصر من أنواع وألوان، حيث كان فيها كذلك، الأحمر ولايض  
 ، الأسود ونوع آخر لا يكثر، ونستورده اليوم يجمع بين لبيص وأسود  
 يشبه ما هو معروف في أوروبا اليوم، ولعل فيما نرى من  
 كثر ومراوغة في ذبح البقرة، وما كان من تطعيم في تناسل جنس.  
 وعن لونها من أثر ما كان وقر في نفوسهم من تقديس حتحور.

وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا  
 اتحدنا هزوا قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين (٢) قالوا ادع لنا  
 ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارص ولا بكر عوان من  
 ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٣) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه

Bonnet, op. cit. p. 277 II (١)



انتم تدلون ندي هو ادبي بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما  
 من مصرت عليهم الدلة والمسكه وباءوا بغضب من الله ذلك  
 كما يكفرون بالله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما  
 كنتم تعملون (الفرقة ١٠)

بعد اخروج ارض كنعان، فيقول كاتب التوراة:

فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق ارض  
 كنعان لأن الله قال لشلا يندم الشعب إذا رأوا حربا  
 (١٣ : ١٧).

فمن يوالى رسالته، فيتحمل ما حمل من قيادة  
 حرارا، ملوكا لأنفسهم، ملوكا لأزواجهم  
 وأولادهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، فهو يريد  
 من كنعان، ولكنهم بما ضرب عليهم من الذلة  
 من كنعان، ولذلك من الجبن والخوف ومن ثم إلى  
 هم يتفاعدون، وكذلك استشعروا من دخول كنعان.

في سورة ما قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل  
 لكم أنبياء وجعلكم مبرك وبارك ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا  
 بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي كتبت لكم ولا ترتدوا على  
 أعقابكم فاني قد كتبت لكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا  
 بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي كتبت لكم ولا ترتدوا على  
 أعقابكم فاني قد كتبت لكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا  
 بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي كتبت لكم ولا ترتدوا على  
 أعقابكم فاني قد كتبت لكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا

دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا  
 موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا  
 ههنا قاعدون (٢٤) قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأحيي فافرق بيننا  
 وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون  
 في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (المائدة : ٢٥ - ٢٦)

وما كان لموسى إلا أن يرفع شكته إلى الله في أمر أسعته الفاسقين،  
 فكان أن حقت عليهم كلمة الله وحكمه بتحريمها عليهم وبتيههم في  
 الأرض إلى ما شاء الله.

\*\*\*

وبعد، فأما وقد خرجوا من مصر إلى بعض أطرافها يهيمون في  
 الأرض فقد خرجوا كذلك عن نطاق ذلك الكتاب، ولذلك فلندره  
 حتى يقضى الله أمرا هائمين، ولنعد إلى ما كسبت مصر من منزلة وما  
 سرفت به من صفة في كتب الله وسنة رسول الله وما أوتيت في ذلك من  
 حظ عظيم.

### موطن بنى إسرائيل في مصر وفرعون من القرآن:

دل القرآن على مقام بنى إسرائيل في مصر من خمسة آيات من كتابه  
 العزيز، فلقد ولد موسى ونشأ، حيث كان أبواه وشيعته يعيشون في  
 مصرية مصر، أو عندها غير بعيد من مصر فرعون. وفي ذلك أن أم  
 موسى قد ألفت في اليوم ولوقت لاخته قصية فصارت له عن حب وخم

لا يشعرون<sup>١٠</sup>، ولم يشهد تابوت موسى إلا بمقدار مسرى النيل الهادئ  
صحوة من نهار، وبمقدار طاقة الفتاة أو الصبية على المسير من ورائه.  
من يمشي فرعون، وبمقدار طقتها على العود  
من يمشي فرعون، ثم مرتدة. وقد أصبح فؤاده  
سه في أهل القصر، محتالة على استرضاعهم أمها بعد  
من المراضع جميعا.

نستني احبب فسنون من اذلكم على من يكفله فرجعناك إلى  
من تفر غيبنا ولا تحزن<sup>١١</sup> [طه: ٤٠]

من يمشي فرعون - حين تقرر خروجهم ليل وتلقى موسى

من يمشي فرعون<sup>١٢</sup> [الدخان: ٢٣]

من العاصمة إلا بمقدار مسيرهم بين انتصاف  
من يمشي فرعون وجنوده في طلبهم مشرفين على  
من يمشي فرعون مع قطع الشمس أو داخلين  
من يمشي فرعون في قوله تعالى:

فدعوه مشرفين (١٦) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى

يا لمدركوه [الشعراء: ٦٠، ٦١]

من نيل إذن يستكون إلى الشدول العربي من البحر الأحمر  
من يمشي فرعون وكان مقامهم هذا في - دنى ضلالت غير بعد من  
من يمشي فرعون في قوله تعالى: فاستبشروا في استبشروا

حسان مصحوبا عن لفظ جسم أو جاسام، حيث فرست على سي  
اسر بيل السخرة «فبنوا الفرعون مدينتي فيثوم ورعسيس»<sup>١٣</sup>  
نات عاصمة مصر إذن على عهد يوسف أيام احتلال الهكسوس من  
نات على عهد موسى تقع شرقي الدلتا. ولذلك قد يبعث في فرعون  
موسى إلا أن يكون من كانت عاصمتهم هناك، ولا سبيل إلى الأحرار بعد  
نات من قول، فلقد ظلت طيبة في صعيد مصر عاصمة مصر من بعد  
نات حتى عهد رمسيس الثاني الذي نقل مقر حكمه منها إلى مدينة  
نات على أنقاض مدينة الهكسوس سماها «بروعمسي مري آمون»<sup>١٤</sup>  
نات اخترا بمعنى «دار رمسيس حبيب آمون عظيم الانتصارات»<sup>١٥</sup> كان  
نات يربون كثيرا ما يكتفون بقدر الاسم دون نعت، فقولهم «رمسيس  
نات كانوا يستقون من أسماء مدنها ومواقعهم الجغرافية من صدر  
نات «حوت» و«بر» بمعنى الدار - فيصير - كما جاء في «تور» - رمسيس  
نات غير، وربما كان في قرب أرض حسان من العاصمة على عهد  
نات رمسيس ما دعا كاتب سفر الخروج من بعد مدة من الزمن إلى نسبتها  
نات رمسيس، بدلا من أرض جاسان، وكانت تمتد من غير سات حتى  
نات م. فيثوم - كما تمتد إلى الغرب، حتى المدينة التي صنعت سمها على  
نات السعة كلها وهي جاسام، ويبدو أن هذا الاسم قد عرف من مرة في  
نات شدة تصف سنوسرت الثالث بأنه درع نحاس من جاسام، حيث  
نات شرف المعنى إلى صلاة القلاع في جاسام كأنها السحس ولم تكن هذه  
نات سلاخ سوى قلاع المنحدرات الأولى التي كان أقدمها على حراف  
نات «نات»، ولقد استمر القول في تحديد موقع جاسام حراف عشر على

الأسرة الثلاثين نخت نف (نكتانيو الأول)، في صفت الحنة  
 إليه أن الملك مكريم إليه سر يد رب المشرق، قد ذهب إلى «جسده»  
 إليه الأقدس في هذا المكان فأقام في هذا الزون تمثال هذا الإله.

في عصورها القديمة باسم فرعون، وهو لقب  
 كسرى عند الفرس، والنجاشى عند الأحباش من  
 وعن فرعون تحدثت التوراة وبه نطق القرآن، فجاء  
 «فرعو»، وفي العربية فرعون، ولم يكن هذا اللفظ  
 للمصريين پرعو بمعنى البيت العالى أو العظيم،  
 بل كانت العبارة منذ الدولة القديمة عن قصر الملك دون شخصه،  
 حيث عما يتصل به من شئون القصر والحاشية، فكان  
 ذلك اسم الملك ابعوه بالدعاء له بالحياة والصحة والسلامة،  
 فعمله إذا ذكر پرعو، وإن ظل القصد راجعاً إلى معنى

لأن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة  
 عشرة على عهد أختاتون، إذ لقب بذلك على بعض آثاره كما  
 سرت به في بعض ما وجه إليه من كتب. فلما كانت الأسرة التاسعة  
 عشرة - وهى أسرة رمسيس الثانى وبنيه - ذاع اللقب فيما ورد عن الملك  
 من الخبر والخطاب، وحل في أحيان كثيرة محل لقب الجلالة فقليل خرج  
 «جلالته» أو خرج پرعو على سواء<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من شىء، فإن القرآن لم يذكر «فرعون» إلا فيما روى من  
 نبأ موسى، ولم يذكره مرة واحدة فيما أورد من سيرة يوسف عليهما  
 السلام، وتلك دقة الإعجاز التى قد لا تتوفر لأحرص الناس من العلماء  
 والمؤرخين، فلم يكن لقب فرعون بدلالته على ملوك مصر ذاتها في ذلك  
 الزمن من عهد يوسف، ولم يكن الملك الذى دخل يوسف فى خدمته  
 مصرياً فيستحق لقباً، اختص به الملوك من المصريين، بل كان أحباً  
 بأصبههم ويناصبونه العداء، وكذلك لم يكن الملك هو بطل القصة كى  
 يحصه القرآن بلقب يفرد به وبنه إليه، ولكنه أثر فرعون موسى بذلك  
 اللقب الذى أطلقه اسماً له، وأجراه علماً عليه تمييزاً من سائر ملوك  
 وقصرأ عليه وحده لما وصفه به من المروق والطغيان، ذلك الطغيان الذى  
 سار اسم فرعون - بغير الحق - فى نظر الناس علماً عليه، ونقد قدر الله  
 وإن شاء ألا يسمى فرعوناً بذاته - أن يعينه، ويختص واحداً من سائر  
 الفراعين، ذلكم هو الفرعون الذى صحبه وخدمه رجل من خاصته هو  
 هامان، أو حورمين، وذلك حين الحديث عمن أرسل إليه موسى  
 بالدعوة، وجهر بالتحدى والتكذيب فحققت عليه الكلمة، إلا أن يكون  
 مفهوماً متعيناً من سياق الآيات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ  
 وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا  
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٢٥) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِدَبِّهِ فَهُمْ مِّنْ أَرْسَلْنَا  
 عَلَيْهِ خَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

سبهم من عرق وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .  
[العنكبوت : ٢٩ ، ٤٠]

١٦ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴿ [القصص : ٨]  
١٧ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون .  
[القصص : ٦]

فرعون بداهة فيما يوجه الله من حديث عنه إلى  
سرى بين موسى وفرعون من حوار ، أما التعميم  
ففي الخبر فيه إلى ما وقع لموسى مع من عاصر من  
ذلك في قوله تعالى :

﴿ ١٨ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (٢) تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نُبَأٍ  
مُتَّبَعٍ لِمَنْ هُوَ نَزَّاهٌ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ  
فَاسْتَعَفَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذَّحُّ أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ

سُلَيْمَانَ إِذْ كَانَ مِنَ الْمُنْكَدِرِينَ ﴿ [القصص : ١ - ٤]

ذلك فضلا عن الحديث عن آل فرعون .

عن فرعون معبر ملكا قوى النفوذ واسع السلطان ، وصفه الله في  
قوله العفص ماله فرعون ذو الأوتاد . وهو وصف جمع في إعجاز  
البيان ، وهو وصف فرعون في تصوير قرآني محكم  
جبل الباذخ في قوله تعالى :

١٩ ألم نجعل الأرض مهادا (٢٠) والجبال أوتادا (٢١) أليس

بمقد تمكن فرعون فكانت له فيها أوتاد أي أوتاد ، ولئن صح وهم  
بأرجح . أنه رمسيس الثاني وسوءه ، فلقد كانت له من الأوتاد في  
مصر كلها ما يهول بكثرة وسطوته وشموعه عظيم .  
وهو دليل صريح على قوته وسطوته ، وبيت سامع على مدحه  
في جبروت من العمال وفيالق من المنين وثبات من الجبروت .  
كانهم جن سليمان يعملون له ما يشاء من محاريب وثمانيل وصروح  
راسيات ، ولعل في تلك الآية من سورة ص ، وأختها في الفجر ،  
إلى ملك مصر وما انقاد له فيها من آيات العظمة والشموخ .  
تناولنا فرعون بما يملك من أرض مصر وما عليها ، وما أقام فيها كذا  
قبله لأدخلنا الأهرام وهي كالجبال فيما يوصف على الأسلوب القوي  
بالأوتاد .



(شكل ١٦) من صروح رمسيس الثاني ومسلاته - معبد لاقتسر

على أن صورة الوتد من الخيمة قد سيطرت على فكر عرب المفسرين  
الأوتاد ومضارب كثيرة لأجناد له كثيرين، أو كانت له أوتاد يعذب  
بها. كذلك الآية بأنه ذو الملك الثابت، وذلك من ثبات  
ذلك من قول العرب لمن تمكن في أرض إنه

حقيقاً. أجناد كثيرون خاض بهم مع المشرق حروباً بابل  
منا وحافظ بفضلهم على إمبراطورية عظيمة، امتدت من  
نصي الشمال إلى الشلال الرابع على النيل في أقصى  
شمالها بابل المفسرين يقولون إنه كانت له أوتاد يعذب  
بها تكون منزلة هذه الأوتاد التي يعذب بها فرعون  
بين ديبلا على التجبر بين المتجبرين، وإن أثبتت وثائق ذلك  
بين على رموس الأوتاد قد كان من وسائل الإعدام<sup>(١)</sup>.

لَمْ تَكُنْ فَعَلَ رُبُّكَ بَعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ  
يَكُنْ يَنْتَهِ بِهَا (٨) وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)  
في عندي الأوتاد (الفجر: ٦ - ١٠)

مهم يبررنا إلى المسلات باسقاطاتها طرف حديد (شكل ١٦)، فإن  
لقد عرف من أوتاد يذكرها له القرآن، فلتكن تلك المسلات تنطلق  
من السماء من كتلة واحدة صقيلة من الجرانيت، وقد تعلو فتجاوز  
السموات من ذلك الصخر الشديد، أو تكن تلك الأعمدة  
التي من صلبها، كنهها كثيف الغابات من أروقة المعابد وأبنيتها

(١) Youssef op. cit., Kitchen, op. cit III 11.73

ومنها. كما في الكرنك. ما نتق في ارتفاعه فاستغنى فستوى على سوقه  
حتى لتقصر العصبية أولو البسطة في الجسم باعاً أن تحرق بواحدتها.  
(شكلاً ١٧، ١٨) أو تكن الصروح التي تقوم بين أيدي المعابد قوية  
راسخة كالجبال، بل لقد عبر القرآن عما اعتاد الفراعين من بناء شامخ  
الصرح في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي  
يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي  
لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٢٨]

### فأوقد لي يا هامان على الطين

على أن ما عرف عن فراعين مصر، وما تشهد به اليوم آثارهم، أنهم  
نوا ينشئون ما شاءوا من الحجر، وهو مع تعدد أنواعه وأنواعه كثير و  
يعنيهم عما سواه. إن أرادوا لما ينشئون الدوام والخلود. فكروا يتخذون  
من المعابد والمسلات والقبور، ولم يصطنعوا الطين المحروق. وغير ذلك  
كأنوا يتخذون اللبن من طين غير محروق، فكانوا يتخذون منه بيوتهم  
سواء كانت للعلية والملوك، أم للعامة وغمر الناس، وينشئون محازبهم  
وأهراءهم بل وما كان منها ملحقاً بالمعابد والمحاريب.

وربما تردد القارئ فيما يسمع من قول الله في أمر فرعون، أن يوقد له  
على الطين وقد عرف أن المصريين فيما خلفوا من آثارهم، لم يتخذوا  
لأجر المحروق في البناء قبل عصر الرومان، ولكن المفسرين يذكرون في  
تفسير أمر فرعون إلى هامان أنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة



عمود إيسيس الهليني بالكرك



( شكل ١٨ ) من بهو الاساطين بالكرك من منشآت ومباني



مما ذكره، وقد نقول بعبارة أخرى إن البناء بالآجر المحروق، قد كان  
من مظاهر استعماله. وأكبر الظن أن المفسرين - كما بدا لنا من قبل -  
يؤيدون إلى طائفة كانت بين أيديهم من الخبر الصحيح عن  
البناء بما لا قيمة له من الأوهام.

لا يمكن من شيء، فلقد أعثرنا الأحافير على ما يوافق أقوال  
من حيث البناء بالآجر. إذ عشر عالم الآثار الإنجليزي پترى  
من غير مأثور المصريين من الآجر المحروق، بنيت به قبور،  
ومصر أسس المنشآت، وقد كانت هذه الأمثلة التي عشر  
لأسرة التاسعة عشرة، عصر رمسيس الثاني، ومرنپتاح،  
تنوره عليها في نيشة ودقته غير بعيد من عاصمتهم  
پترى في ذلك: إن حرق اللبن قد ظل نادرا حتى  
في قول لا يكاد يخالف قول المفسرين من بدء اتخاذ  
في غير عهد فرعون موسى. وهو كذلك من قرائن القرآن  
مضمنين في تحديد عصر الخروج، وبأنه إذن إنما كان على  
تاسعة عشرة التي بدأت - كما أثبتت الحفائر وألمع القرآن -  
بأيا شينا من طين محروق.

فلعل الذي ذكر القرآن في دمار آثار فرعون، أن يدل بقوة التعبير  
... روى أن الخليفة المأمون العباسي لما أقبل  
فأقام فيها أياما لم تعجبه (كذا) فقال: ألا قبح الله فرعون ماذا  
بنى مصر حيث يقول: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار

تجري من تحتي» (\*)، فقال له أحد جلسائه: «يا أمير المؤمنين ولقد قال  
الله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا  
يَعْرِشُونَ﴾ (\*)، فإذا كان هذا هو ما بقى مما دمر الله فكيف كانت مصر  
قبل ذلك؟

### فرعون الخروج،

على أن عذاب بنى إسرائيل - كما ذكرت التوراة - إنما وقع في عهد  
فرعون، ووقع خروجهم في عهد فرعون من بعده سواء، ولئن دلت  
مراثن على أن رمسيس الثاني قد كان فرعون العذاب. فقد شح بين  
رحبين والكتاب، وأقروا على ابنه مرنپتاح بواقعة الخروج، وذلك  
بحكم خلافته أولا، ثم بحكم ما عثر عليه من نص يوشك أن يكون أشهر  
نصوص المصرية، وأوفرها حظا من عناية المؤرخين ثانيا. ذلك هو  
شيد النصر الذي نقش على لوح يحمل تاريخ العام الخامس من عهد  
مرنپتاح ويعرف بلوح إسرائيل، إذ ورد اسم إسرائيل عليه لأول مرة في  
تاريخ فكان مرنپتاح بذلك الوثيقة الخطيرة في رأى الكثيرين. وإليه  
الراسخ صاحب الخروج، وغريق اليم من وراء موسى وقومه، ومع ذلك  
منذ أثار ذلك النص من الشكوك والجدل وانشعب الآراء ما لم يأت إلى  
قرار يقين.

نقش ذلك النص - كما قدمنا - في العام الخامس من حكم مرنپتاح،

(\*) الزخرف: ٥١.

(\*) الأعراف: ١٣٧.

بصره أنشد خاتمة لما أهدق بمصر في عهده من  
الغرب، حيث أحس الناس أن قد آن لهم أن يتمتعوا  
وبالآمن بعد الخوف، وقد أزيح عن كاهلهم بذلك  
بحاس، كما يصف النص في بعض مواضعه، وهو  
محتاج وشدة بأسه وشجاعته بما أحرز من ظفر بالأعداء  
ذلك يحصى من غلبهم من القبائل

من لا خوف

أحبب بالحاكم المنتصر  
وما أعظم الملك في الأرباب  
وما أسعده سيده للحكم  
وما أحلى الجلوس والناس يتسامرون  
إذ يمشى وسيع الخطى  
فلا خوف أبدا في قلوب الناس  
إذ هجرت القلاع لنفسها  
وفتحت الآبار للرب  
ومتاريس القلاع آمنة في الشمس  
حتى ينهض الحراس  
والمازوي<sup>(١)</sup> ممدون نائمون  
والنياو والتكتن في المروج كما يشاءون  
وأنعام الحقول تركت بغير راع  
بل تعب ليج الجعفر  
ولا تنطلق صرخة ما في الليل أن قف  
إذ أتى آت بلغة أجنبي  
بل يغدو الناس ويروحون بالغناء

(١) أي الشرطة.

... من بعد يكون في الأحرار

... من حيا

... في يده

...

... الذي نشأ مقدرا عليه حمايتها

... يقولون سلام

...

... كل سوء

... من حذر

... بلو عام كان لم تكن

... إسرائيل عقيما لا بذرة لها

... مصر

... مجتمعة في سلام

... كل من كان في ثورة جعل في الأغلال

(١) في المصرية جناس لفظي بين الكلمتين صوبيا (ح.و) وأرملة (حرفة)

بيد ملك الصعيد والدلتا بان رع حبيب أمون

مرنباح الراضى بالحق

\*\*\*

وقد رأت طائفة من المؤرخين من هذا اللوح أن إسرائيل إن كانت قد  
تعرضت في فلسطين لهزيمة مرنباح، فقد ينبغي بالضرورة أن يكونوا  
خرجوا من مصر واستقروا. بعد أربعين عاما من التيه في فلسطين في  
عهد سلف من أسلاف مرنباح، لذلك فقد افترضوا تخمس الثالث،  
وسحب الثالث، وآخرون ردوا خروجهم إلى عهد يوتنح مومي مع  
هيكسوس، ولكن طائفة أخرى لا تجد عما ذكر في التوراة من حديث  
عن مدينتي رعمسيس وبيثوم حولاً، وتجد في ذلك ركيزة مكيه في سنة  
بعدت إلى رعمسيس منشيء مدينة رعمسيس ونسبة الخروج إلى سنة  
مرنباح، ولذلك فهم يحاولون الخروج من ذلك انحص إلى أن مرنباح  
وقد طارد بنى إسرائيل خارجين من مصر، فقد افترض أنه أهلكهم،  
أنهم هالكون لا محالة في الصحراء حيث يتعرضون لمذابح الشاسو

ومع ذلك فكيف يتعرضون لمذابح الشاسو ولا تتعرض للحفلة في  
تعددين المصرية؟!

على أن هناك أموراً فاتت المؤرخين فيما استدلوا إليه من سنة الخروج  
إلى مرنباح، ذلك أن خروج بنى إسرائيل قد شهد نهاية فرعون يعرفه  
وراءهم على حين عاش مرنباح خمس سنين آخر بعد موافقه إلى  
سجلها على ذلك اللوح، وفضلا عن ذلك فقد قرر هؤلاء المؤرخون

... أمر بني إسرائيل - على غير طبيعة الأشياء - أن يكونوا احتملوا  
... لا يبرحون ولا يسرحون أجمعين ، وأقروا بفسر جدل  
... ما شاء الله في أرض جاسان ، ثم ارتحلوا برمتهم إلى  
... من أرض سيناء ثم فلسطين ، وكانوا فيما ذكر سفر الخروج  
... ألف ماش من الرجال عدا الأولاد ، وذلك فضلا عن  
... لم تذكر هويتهم مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا .  
... من يريش معي مفكر أن يخرج بنو إسرائيل سرا بليل بهذا العدد  
... من بين المصريين وهم لا يشعرون ، بل يخرجون من العاصمة  
... فلا يتصل بفرعون فرارهم إلا وقد رحلوا من  
... إلى سكوت ، إلى أيتام في طرف البرية ، ثم إلى قم الحيرت  
... أمام بعل صفون ، وقد قدمنا من قبل تهافت ذلك  
... يشعروا بذلك الرعب حيال فرعون وجنوده  
... فإذ أرجعنا إلى كتابه تعالى - ونحن دائماً إليه راجعون -  
... سورة الشعراء فيما روى عن فرعون :

... لشر ذمة قليلون ﴿ الشعراء : ٥٤ ﴾

... وتلك طبيعة الأشياء بل طبيعة بني إسرائيل خاصة - أنهم  
... على تخوم مصر الشرقية ، يتسللون منها كلما اشتدت  
... فيها خيبة فيها عليهم ، وأنهم ازدادوا تسلاً وفراراً منذ استقر فيهم  
... تلك الرهبة ، إذ يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، وقد كان  
... من خرج منها فراراً مما قد ينزل به من عقاب ، وفيما روينا  
... على ذلك التسلسل الذي حل  
... استنفار شرطتها عليهما وتعقبهما في جد

وإصرار ، ولعل السلطات المصرية لم تجد هذا الجد إلا بعد ازدياد أحداث  
التسلل والفرار على عهد سيسى الثانى .

وقد كان بنو إسرائيل كما ذكرت التوراة وقرر القرآن حريصين ...  
رفض فرعون - على التحول عن مصر والتحرر مما هم فيه ، خليقين ...  
دام فرعون مصرًا على إمساكهم واستعبادهم - بالتفكير فى الخلاص مرًا  
ما سنحت فرص التسلسل والفرار ، ولنا فى المسلمين الأولون فى هجرتهم  
الأولى إلى الحبشة وتسلسلهم من مكة إليها مثال وبيان .

وأكبر الظن إذن أن أفواجا من بنى إسرائيل ، قد تسلسلت من مصر  
حيث انساحوا فى البوادي من بقاع فلسطين ، فأقامت طوائف منهم حيث  
طابت لهم الإقامة قلة لا يقام لها وزن ، وطائفة لا يحسب لها حساب ،  
وقد عاشوا هناك مع أبناء جلدتهم من الساميين لا يختصون بأمة ...  
أو لا يكادون يتعارفون عنهم فى حق ولا حيلة ، ...  
على كل حال يذكرون جدتهم الأعلى ويردون نسبهم إلى إسرائيل .  
ولعلمهم بدأوا تسربهم هذا أواخر عهد أختاتون منذ حال وجه ...  
مصر فى أعقاب الصراع الدينى العنيف ، وأنهم أقاموا على هذا التسرب  
لذى بلغ أقصى مداه فى عهد رمسيس الثانى ، وصدر من عهد مرينتاح .  
حتى عرف لهم فى فلسطين عدد يحمل اسم إسرائيل ، ولكنه لم يعمل  
على أسماء القبائل هناك ، إذ كانوا يومئذ قلة مستضعفة لا خطر لها ولا  
خطر منها إلا ما تثيره الأقليات والطوائف المنعزلة بنفسها من صدورها عن  
أن تختلط بالشعب الذى تعيشه وتحيا فيه . بل لعل فى عبارة الشاعر بما  
وصفهم به من العقم وانقطاع البذرة أى الذرية إشارة إلى ما تعرضوا له  
فى مصر من ذبح البنين .

فلما اندلعت الثورة فى أملاك مصر غربى آسيا ، وقمعها مرينتاح إذا

من المصريين يتغنون بانتصاره وظفروه، وإذا ببعض هؤلاء  
منهم من غنى بحلال فرعون بعد ما اتصل بعلمه - قل أو جر -  
أسماء المدن والقبائل والشعوب ممن خضع لمليك المظفر المغوار، وكان  
أعرف أو سمع هناك فظهر في قصيدته، فكان ذلك أول  
في التاريخ، وقد تناغم مع إنشاد هذا الشاعر المصري أن  
هؤلاء الناس طائفة في وطنه في أرض جاسان.

والأحرق، وعندى أن الكاتب المصرى قد كان موفقاً واعياً، فنقد وردت أسماء الشعوب والبلاد الأجنبية فى ذلك النص تسع عشرة مرة، لم يغفل اسم لأرض الأجنبية فيما ذكر، فى واحدة منها ساق اسم إسرائيل أو حتىه، بل كان من دقته أنه فى ذكر اسم الشرطة المصرية - وقد كان راجحاً يتحدون من مازوى النوبة - قد اقتصر مع رسم رمز الناس على رسم رمز للأجانب دون رسم الأرض لأنهم فى غير أرض لهم<sup>(١)</sup> (شكل ١٩).

وتبدل كذلك على انتهاء حركات التسلسل - أو قسيتها - فلا حاجة - معسر  
إلى الصياح بلبيل أمرين أن «قف» مبلغين عن أجنبي قادم يدير لسانه بلغة  
أو لهجة أجنبية .

في حكمته من سيطرة كاملة على حركات الدس والبدو في تلك المقام.  
فلا حل ولا ترحال إلا بإشرافها وتحت عيونها، وذلك في تقرير راعي  
كاتب الخزانة قاجابو كاتب من مروه وميه اسمه انيني يقول:

لقد انتهينا من تمكين قبائل الشاسو (لبدو) من أدوم من ح...  
مربتاح حشپ حرماعت التي في ثكو إلى برك بيتوه مرستح ح...  
حرماعت التي في ثكو، وذلك لإعاشتهم وأعاشة قطعانهم بفضل  
نورين الشمس الرضاعة لكل أرض، في العام الثامن في أيام النسي...  
مولد مست (١).

ولا أك دأشك في أن يكون المصريون قد شملوا إلى مصر...  
م عرفوهم بالشاسو في تلك البقعة من شرفي مصر، فحسم...  
مريين بدو ساميون، وكلهم من الشاسو الرعاة وغير عبيد...  
جلتهم يومئذ هناك من بنى إسرائيل.

وقد امتد العمر بمربتاح حتى اكتمل حكمه عشر سنين، وقد جعل في  
سن وتقدمت به الأيام، إذ بدا من فحص موميته (٢) نصاب العضدين  
من حنجرتة فإذا هي عظام كلها، وفي ذلك ما يدل في رتي نص  
والأطباء مع صلعة وما تبقى من بياض شعره الأشيب. على أنه مع  
الكبر ما يقعد به، أو يوشك أن يقعد به عن الخروج في حملات حرب  
والقتال، ولئن كان لا يخرج في الحملات الخطيرة التي تتعرض فيها مصر

(١) ثلاث أيام النسي. انظر.

Gardner, Late Egypt Misc. p. 76-77; Caminos, Late Egypt. Misc. p. 293.  
Pritchard, op. cit. 259

Elftot South Royal Mummies p. 69



(١) شكل (١٩) نسي العبر (لوح إسرائيل)

مردوان والفتح الاستيطاني من قبل الغرب، فلم يخرج عند هجوم  
في العام الرابع، ولا ثبت خروجه في الزحف الأكبر الذي  
في مصر في العام الثاني. فأحرى به لو وقع الخروج أو آخر  
في مصر في هذا الوقت. وهم كما وصف القرآن شردمة  
بأحرى بحكم السن أن تكون نهايته وفاة بحكم

العام

مخرج أن يكون فرعون الخروج شاباً أو رجلاً مكتمل  
السن الشاط، وهو ما يتبين من جثة سبتي بمتحف القاهرة<sup>(١)</sup>  
حيث انفتحت المفاجيء بغرق أدنى إلى العقل والافتناع.

في هذا الشأن بين موسى وفرعون من جدل كان يعنف  
في التواشع، قرينة أخرى على شخص فرعون الخروج. فما  
في سبتيه الرباني ليتحدث بهذا العنف إلى رمسيس الأكبر الذي  
في كنفه إذ كان أبا الأميرة التي ربه وأنبتته نباتاً حسناً، ولا إلى  
في بيتاح وكان منه بمنزلة الأب والخال، وحسبنا تذكر ما كان لزوج  
في سبتي «آي» من المنزلة في قصر أخناتون حتى تولى العرش من

في هذا الشأن

وظهر إذن أن موسى إنما كان يتحدث إلى ترب أصغر من أترابه. من  
في هذا الشأن تربى معه في أكبر الظن<sup>(٢)</sup>، وارتفعت بينهما من  
في هذا الشأن تربى معه في أكبر الظن<sup>(٢)</sup>، وارتفعت بينهما من

(١) op. cit., p 71

(٢) ولعله ابن الأميرة التي احتضنت موسى إذ ولدت من بعد ذلك.

فرعون مشهوراً<sup>(\*)</sup> أي مغلوباً على أمرك ممنوعاً من الخير، ولم يكن  
رمسيس الثاني، ولا كان مرنبتاح بالذين يوصفان بالمشهور. ولعل في  
تكرر اسم فرعون في القرآن باسم هامان إشارة إلى بضاعة وحشية كان  
ب عليه من النفوذ ما أضله وما هدى فحققت عليه كلمة المشهور. وذلك  
فصلاً عن زوجته تأوسرة بما عرف لها في التاريخ من شخصية ونفوذ.  
سان كما ثبتت شواهد التاريخ بين شخصية الأوالي من فراعين الأسرة  
تسعة عشرة وشخصية أواخرهم. شأن ما بين سبتي الأول ورمسيس  
الثاني، وما بين مرنبتاح، ثم ما بين مرنبتاح وابنه سبتي الثاني.

وفصلاً عن ذلك فإن ما تبين من نشيد النصر الأكبر من تمنع الناس به  
ببتاح. من بعد خوف واضطراب. بأمن ورخاء، وما تحدث به أحده  
من سعة وفيض من رزق مكناه من غوث الحيشين في محنتيه  
ببفاق من قمح<sup>(١)</sup>، وما عرف وقدمنا عن عهد سبتي الثاني من فوضى  
ببفراق، وما ورد عن عهد صاحب الخروج من نوارث الطوقان  
ببخراد والقمل والضفادع والدم في قوله تعالى في سورة الأسراء  
١٣٠) ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات  
لنحمل على تضيق الدائرة على سبتي الثاني، ويكون هو دول سوء. في  
أكبر الظن، صاحب الخروج.

ومهما يكن من شيء، فظاهر من القرآن. والله أعلم. أن مرنبتاح قد  
كان أرحم من أبيه يبنى إسرائيل، وأن سبتي الثاني حين ولي العرش قد  
تابع ما اتبع أبوه من سياسة السماحة واللين، وأية ذلك أن موسى حين

(\*) سورة الإسراء (١٠٢).

Kuchen, op. cit IV p. 5 line 24; Breasted op. cit. III § 580. (١)





## موسى والخضر

ذكر القرآن موضعا يلتقى فيه بوعد من الله - موسى والخضر (عليهما السلام) وصفه بأنه مجمع البحرين فى قوله تعالى من سورة [الكهف]:

وَقَالَ مُوسَى لِقَاءَهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْسِيَ

وقد ذكر النسفى والبيضاوى فى مجمع البحرين أنه ملتقى بحرى من روم. وأما السعدى فتراض طنجة، أو مواضع أخرى من بقية، غير أن المأثور من سيرة موسى أنه لم يغادر مصر إلا إلى مدين (لا)، ثم عاد مع سى إسرائيل فى خروجهم الذى أعقبه التيه فى سيناء. ثم مات موسى من بعد هارون قبيل دخول فلسطين. وأكبر الظن أن موسى لم يمتنى ذلك الموضع فى أعقاب الوحى فى جنوبى سيناء، ولم تلقاه وهو فى طريقه مع فتاه إلى موطنه من مصر مساحلا شاطئ خليج سيناء الشرقى حيث تسيدها حوتا يفتاتان به، غير أن موسى فى سائر تلتقى من حتى لم يسم له لغة معينة إلا أنها مجمع البحرين. وقد تحب،

بحكم خبرته بأرض مصر، فى مجمع البحرين هذا المقدور. فقد يكون الذى بين رأس خليج السويس - وكان حينئذ أبعد امتداداً إلى الشمال - وبين البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو عند اتصالها بالقناة التى تخرج من النيل إليها، وقد يكون فيما بين بحيرة التمساح وبحيرة البلاح، أو بين هذه وبحيرة المنزلة عند قلعة ثارو محط المسافرين. ومن ثم كان عزمه وإصراره - إذ قال لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمتسى - حتى المسير إلى ما شاء الله حتى تتجلى آية الله، فىكون اللقاء بالمعنى المعروف، ولو ارتاد كل ما يعرف من بقاع تكون مجعاً للبحرين. وكفى كان دعاء موسى ربه حين الوعد بذلك اللقاء، قال رب اجعل لى يقيناً

وقد كان الوعد - على كل حال - سرّاً بين الله ونبيه أخفاه موسى فلم يسمه - فتاه عما يبحث، وحسب التفتى أنهما إنما يقصدان مجمع البحرين.

وقد كان إلى الشمال من رأس الخليج عند الطرف الجنوبى من بحيرات المرة - فى أكبر الظن - أن هبط موسى وقتاه عند صخرة يستريحان وذلك عند أول مجمع بحرين يلتقيان.

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر مربياً [الكهف: ٦١]

ولم يكن لموسى من هم غير ما تنفى من وعد ربه، وما يتوقع من لقاءه عن فتاه، كما لم يكن للفتى من هم سوى الحوت، وما أسرف فى نفسه من ذهانه فى البحر سرباً خوفاً من بطش مولاه، ثم ما لبث موسى - وقد افتقد ما يغنى من لقاء حيث عرج هيك - أن ينص يستأنف إلى مجمع آخر الرحيل.

فَلَمَّا جَاوَرَ قَالَ لِنِسَاءهُ أَتَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا  
شِدَّةً ۖ قَالَ رَأَيْتُ إِذْ يَوْبَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا  
بِالسُّطُرِ ۖ أَذْكُرُهُ وَآتَخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ  
يَا مَرْيَمُ سَعْيُكَ مُرِيدًا عَلَيَّ إِنَّمَا هُمَا قَتْلَاكَ ۖ [الكهف: ٦٢ - ٦٤]

عاد موسى ووجهه إلى حيث كانا قد هبطا من شاطئ البحر  
فوجدنا عبادنا من عبادنا آتينا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا  
قَالَ يَا مَرْيَمُ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمِينَ مِمَّا عَلَّمْتُ رَشْدًا ۖ  
[الكهف: ٦٥، ٦٦]

في أول دروس التربية - أن يصد موسى بإجابة ترويه  
له - إلى أن في علم الله ما لم يحط به خبرا، وأن الله قد

... صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا  
... سَحَابِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَنْ  
... سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْبُرَهُ لَكَ مِنْهُ  
... فِي السَّفِينَةِ خَرَقْتُهَا قَالَ أَخْرَقْتُهَا لَتَعْرِفَ  
لَهَا لَقَدْ حُنَّتْ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) [الكهف: ٦٧ - ٧١]

كانت رحلة موسى كما هو بين من القرآن برآء، وكان موسى في طريقه  
إنما يقصد مجمع البحرين هذا، حيث بلغه مشيا حتى نسي حوتهما، ثم  
عاد سيرا إليه حيث افتقد الخوت وعرف بضياعه في البحر فارتدأ من  
أثارهما قصصا ۖ لما خلقت أقدامها في الأرض، هناك وجد الحضر حبه

السلام، وهناك انعقد بينهما العهد على الصحبة في سبيل العلم والرشد  
الذين يأخذهما موسى عنه، فانطلقا حيث خلفا مجمع البحرين  
وراءهما إلى حيث يريدان.

ولا أكاد أشك في أنهما دخلا بعد ذلك إلى سواد مصر، حيث الملاحة  
في النيل عماد الحياة فيها، وحيث ينتقل الناس والأنعام الحصيد  
بالسفائن، فلا غناء عنها لملك ولا لشريف ولا لملك أرض، أو فلاح  
بحر. بل لقد كانت حيازة السفن هي الفيصل أحيانا بين الحياة والموت  
للمجاعة، حيث تدعو الحاجة إلى نقل الغلال إلى بلد حاد من بلد  
بميد، ولذلك فقد كان احتياح البلاد إلى السفن عظيما، وكانت  
في بعض الأحيان تفرض على الناس إمدادها بما كانت في حاجة إليه من  
نسب إذا خرج الملك في موكب، أو رحلة إلى بعض بلاد منكم. فكانت  
في السلطات المحلية تدبير كل شيء لتلك الرحلة، بل كان سبب تدبير  
الرحلة لرسول الملك لا للملك نفسه، وكان الوزير منذ الأسرة الثامنة  
عشرة مسئولا عن نظام النقل بأسره في مصر، حيث ورد عن رخمير  
وزير تحتتمس الثالث ما نصه: «إِنَّهُ الَّذِي يَمْدُ بِالسَّفْنِ كُلِّ مَنْ يَتَبَغَّى إِمْدَادَهُ  
بِهَا» (١) ولقد كان نقص السفن في مصر، أو الاضطراب في مسيرها  
مدعاة إلى ضعف الرقابة على البلاد، وقد أدرك حورمحب ذلك حين  
ترأى السلطة وقد هوت البلاد في حضيض من الفوضى والفساد، فورد  
الاضطراب وضعف السلطة فيها إلى الإسراف في الاستيلاء على  
سفن، فكان أن أصدر فيما أصدر من قوانين صارمة قانونا بعقاب  
سنة لنفوذهم من المتهمين بأخذ السفن لأنفسهم غصبا (٢). بل لقد

هذه الآفات الخلقية عميقة الجذور في مصر، بحيث اضطرت  
من بعد حور محب بألف سنة إلى إصدار قرار بمنع  
السير في البحر لئلا يفسدوا أنفسهم غصباً (٢٢).

في مصر في ظل تلك النظم والعادات ﴿فَانْطَلَقَا﴾  
في مصر حرقها قل أخرققتها لتغرق أهلها لقد جنت  
لكيف: (١١)

في مصر بالخضر بالسفينة إلى بعيد، فلم تكن سوى  
مدها في بعض بقاع مصر حين يواصلان المسير،  
في غلاما فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد  
إني أله أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً (٧٥)  
في مصر بعد ما فلا تصاحبني قد بلغت من لدني  
كيف: (٧٦ - ٧٧)

في بلاد عامرة بالقرى والناس ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا﴾  
في مصر بعد ما أن يضيفوهما فوجدوا فيها جدراً يريد أن  
في مصر بعد ما لا تحدث عليه أجرا (٧٨) قال هذا فراق بيبي  
في مصر بعد ما لا نستطيع عليه صبراً (٧٩) أما السفينة فكانت

Helek, Urkunden der 18. Dynastie 2240 ff; Breasted, Ancient Records III 49-66.

Kees, Ancient Egypt. A Cultural Topography (London 1960) pp. 102

لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ  
كل سفينة غصبا ﴿[الكهف: ٧٧ - ٧٩]

وقد بينا ما كانت تلجأ إليه السلطات في مصر من استيلاء على السفن  
أحيانا، فهي واقعة أشبه بمصر وأقرب إلى أحوالها، ولعل فرعون يومئذ  
قد كان في إحدى جولاته فقتضى لذلك جمع السفن بما كان يحرق في  
البحر.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِيَا أَنْ يَرْهُمَنِيهِمْ ضَعُفَ﴾  
وَتَفَرَّأ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خيراً منه ركة وأقرب رحماً (٨١)  
وما الجدار فكان لغلأمين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما  
وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستحرجا كنزهما  
رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسعه عن  
صبراً ﴿[الكهف: ٨٠ - ٨٢]

وبعد فلقد كان للغلأمين كنز من تحت الجدار، ونوثر أن تترك الخديث  
عن الكنوز في مصر إلى حين.

-٦-

عيسى

... وثبته عيسى بن مريم أن يهبط مصر حين كان في المهد

عيسى بن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين  
[المؤمنون : ٥٠]

عيسى وأمه إلى ربوة ذات قرار ومعين، وهي في تفسير  
... أرض مرتفعة ذات مستقر من أرض سهلة،  
... ثمار وماء وورع ليخمدوا إلى ذلك القرار،  
... استقره ن عليها لما فيها من ثمار، أما المعين فهو ...  
... ركنهم في تعيين الربوة قد افترضوا جملة فروض ...  
... أي افترضوا مما أخرجوا، فقالوا: هي بيت المقدس أو  
... مصر، ومع ذلك فما علم أن عيسى بن مريم وأنه  
... دمشق، أو الرملة، أما جلال الدين السيوطي، فقد نقل عن  
... تلك الآية، ويؤول الربوة أنها مصر<sup>(١)</sup> قال: «أخرج ابن

(١) في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ ص ٣.

أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية هي مصر، قال وليس  
لربى إلا بمصر والماء حين يرسل الربى عليها أي القرى، ولولا  
لربى لغرقت القرى، وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن وهب بن منبه في  
قوله إلى ربوة ذات قرار ومعين قال مصر، وأخرج ابن عسكر في تاريخ  
دمشق من طريق جرير الضحاك بن عباس، أن عيسى كان يرى العجائب  
في مباءة إلهاماً من الله، ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى في بيت  
... إسرائيل، فخافت أمه عليه فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى  
مصر، فذلك قوله تعالى وأويناهما إلى ربوة قال يعني أرض مصر<sup>(١)</sup>

ولعل فيما ذكر من وصف الربوة بكونها ذات قرار ومعين ما يوحى  
بامتيازها بالمياه الجارية، وهو ما يرجح مصر في ذلك المقام، وكذا  
حين يرسل أوان الفيضان، يكون الربا عليها أي القرى وذلك في الزمان  
القديم.

وفي ذلك حديث تفصله من بعد ذلك تفصيلاً.

(١) انظر ص ١٠.

- ٧ -

## الأرض

رض من القرآن بوصف ولا تكريم بمثل ما حظيت به مصر، إذ  
بيده من محكم آياته صورة رائعة مشرقة بما حببت به من  
ما أوتيت من حظ عظيم، ويصور مع ذلك وصفها وسماتها  
ملكها، وما وطن في أرضها من كنوز، وما أخرج فيها من  
رؤس - من عليها من رزق يمر أهلها، ومن بطراً عليهم من  
حين إذ يهبطون - بفضل ما عمر نفوس أهلها من السحابة  
حياء هذا التصوير صريحاً مباشراً من كلام الله عز  
وجل - من يوسف، أو لسان فرعون.

فقد دل القرآن بتلك الآية، وما تشابه منها، على ما أضل فرعون  
وأغواه، فلم ير فيما وعده موسى من فردوس الآخرة مزيداً على ما لديه  
من متاع الدنيا، ومنعاً مستنكراً عما يبشر به من جنات تجري من  
حتها أنهار، وعده من جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن رزق

لأنهار تجري من تحتها أفلا تبصرون ﴿ [الزخرف: ٥١]

وقد دل القرآن بتلك الآية، وما تشابه منها، على ما أضل فرعون  
وأغواه، فلم ير فيما وعده موسى من فردوس الآخرة مزيداً على ما لديه  
من متاع الدنيا، ومنعاً مستنكراً عما يبشر به من جنات تجري من  
حتها أنهار، وعده من جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن رزق

للعجاز في تلك الآية ما تنطوي عليه وتكني عنه من إيمان فرعون  
بمصرين معه، بأن وطنهم صورة مثلى للفردوس لا يفوقه فردوس  
سواه، وهو واقع تاريخي ثابت في عقائدهم ترهته آثارهم وما يروون  
من ونصوص ورسوم، فلقد كان المصري يقدر أنه في الآخرة من بعد  
حساب والبراءة أو «صدق الصوت» في تعبيره - متمتع في جنات يرو  
بين أرض مصر، التي أحبها، وشغف بها، وأنه مرتد هناك إلى مثل ما  
اطمأن إليه وسعد به من حياته في الدنيا، بما فيها من حرث وبذر وحصاد.

وكأنما نظر فرعون وهو في مقره في برعمسى، فرأى النيل ينطلق من  
منابعه البعيدة حتى إذ شارف البحر إذا به يتفرع سبعة أفرع - لم يبق منها  
اليوم إلا فرعان - تجري من تحته حيث يقيم.

ثم يرجع البصر كرتين فيشهد - أينما حل - من ملكه جنات أنوار  
تجري فيها حبا وعنبا وقضباً، وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً، وفكهة وأنار.  
أجل: جنات تجري من تحتها الأنهار.

وهي كذلك كما وصفها الله في محكم آياته وكريم قرانه، بل حسب  
من وصف الله أن يكون المقام فيها نعمة للمقيمين، وأخروج منها نعمة  
على الخارجين، ألم يعاقب الله فرعون وملائه أن أخرجهم منها في قوله  
تعالى:

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾

[الشعراء: ٥٧، ٥٨]

وفى قوله عز وجل مؤكداً:

كم تركوا من حبات وعبون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) وبغية  
فيها فاكهين [الدخان: ٢٥ - ٢٧]

في حسن المحاضرة - عن الكندي قوله في هاتين  
القطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن بمثل هذا  
وصفه بمنزل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر، ولا  
وصفها الخلاق العليم مثابة للناس وأمناء وتكون المحاضرة  
ألم يعلن ذلك في قرآنه على لسان يوسف فيما روى

على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء  
ربكم على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت  
لي قبل قد جعلنا ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني  
من مكهم من البدو [يوسف: ٩٩، ١٠٠]

يو عند حنات وعبون وزروع ومقام كريم، أو روبة ذات قرار  
ذلك وصف لما كانت عليه مصر حتى عهد غير بعيد قبل إنشاء  
الملك... في الصيف امتد فغمر الأرض بماء  
بقامة بيوتهم من فوق رواب تعلو على الماء، ولقد شهدها عمرو بن  
العاص حين فتحها فوصفها قال:

مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، يكتفها جبل أغبر، ورمل أعفر،  
يحيط سلفه بيل مساك الغدوات ميمون الروححات، يجرى بالزيادة  
والنفصال كبحري الشمس والقمر، له أوان يدر حلابه ويكثر فيه دابة،

تده عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا اصدخم عجاجه وتعظمت أمواجه  
دس على جانبيه، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا هي  
صغار المراكب وخفف القوارب، وزوارق النهر كذهن في المحاليل ودرق  
لأصائل، فإذا تكامل في زيادته، نكص على عقبه كأول ما بدا في  
جريته، وطمأ في درته فعند ذلك... يحترثون بطون الأرض ويسرون  
فيها الحب، ويرجون بذلك الثمار من الرب... فإذا أحدق الرزق  
واشرق، سقاه الندى وغذاه من ثمنه الثرى، فبينما مصر يا أمير المؤمنين  
درة بيضاء، إذا هي زبرجدة خضراء، ثم إذا هي ديباجة رقصاء، ثم إذا  
هي عنبرة سوداء، فتبارك الله الفعال لما يشاء.

وفيما حدد القرآن من خصال مصر ما يستحق النظر متى  
تمثيل.

### جنات

كانت حياة المصري منذ مطلع الصبح من تربيخه صراعاً مريراً وتديناً  
مستلاً بين الثرى والجفاف وبين الخصب والجذب، وبين الأرض شجرة  
وسدوز القاحلة، أو بين ما كان يسميه السوداء والخضراء، كان يبتلى  
نفسه والعرق في سبيل استخلاص الأرض من لصحراء وكد يعرق  
أرضي الغمر حيث يترسب الطمي الدسم، لينقله إلى حيث يستت من  
يشاء، إذ كان الحزن يبلغ أقصاه من نفسه أن يرى عدوان الصحراء على  
أرضه، وزحف الرمال عليها، وكانت الحدائق والحدائق أبترة لديه محبة  
إليه، اختلطت بحسه وفكره وشعوره منذ نشأ على ضفاف النيل، وكن  
عمراً يومئذ من آثار فيضه كل عام بالمناقع والغياض وتعددت، حيث

بلاحة وخراج من الردى والسوسن والبوص والبراع، وحيث  
 من راسها، وزمنها طوائف من الحيوان وأمم من الطير  
 من الأضلاع طلباً للصيد والقبض؛ كان سد  
 من يفسدونه ويسعون إليه، وكان لأهل التربة  
 من ثمرتهم ويتناولون عليهما، فكان الرجل يجرح  
 من يفسدون الزهرة والمتعة في زورق خفيف من  
 من يفسدون هذه الهدايا الرقاق، بين سيقان البردي  
 من السوسن، وقد بلغت هذه الطبيعة الخلوة الجسدية  
 من في الآخرة صورة من البيئة التي عاش فيها  
 من غنى تصويرها في بيته وفيه (شكل ٢٠).



(شكل ٢٠) جنة في بيت شريف مصرى

كذلك وفر في نفسه حب الزهر والإحساس بحمالة وقتها، فكان لهم  
 ربة في الموائد والأعياد، ويتحدثون منه حلية يلبسونها وهدية تقدمها  
 بعضهم إلى بعض، وقرباناً يقربون منه إلى الأرباب والأعزة من  
 الناس.

وبذلك فقد حرص المصري القديم فصبلاً عن ذلك على عدم  
 راسها، ورعاية الحقائق أينما حلّ وحيشاً أقام، فقد تعبدوا في  
 من يسجد إلى ربه مصلحاً متعبداً، وتعبدوها في سكنة مسرورة  
 من تعبدوها في الجبانة مهيباً لروحه السعادة وسعيه، وقد  
 من الخبر عن حاشيسوت أنها حرصت على إقامة مسكن  
 من معبدتها في الدير البحري بالأقصر ولكنها لم تنجح  
 من أشجار مصر التي عهد الناس، وإنما بعثت إلى بلاد  
 من الآلهة كما سمعتها في بعض حديثها، تنقل أشجار الموالع  
 إليه، وذلك حتى تقيم في معبده أرضاً كأرض بونت (١).

ولم يكن حرص المصري على إقامة الحقائق في داره بأقل من حرصه  
 على إقامتها في دور الآلهة، فلا تكاد تخلو شريف أو أمير دار من حديقة  
 مسيحة تترسبها بحيرة صغيرة يقيم من حولها الشجر والنبات  
 الوارف، وكان الشريف يجد في حديقته تلك الراحة والروح والامن  
 والسكن في ظل الدوح، أو في ظل عريشة يقيمها عند بحيرته.

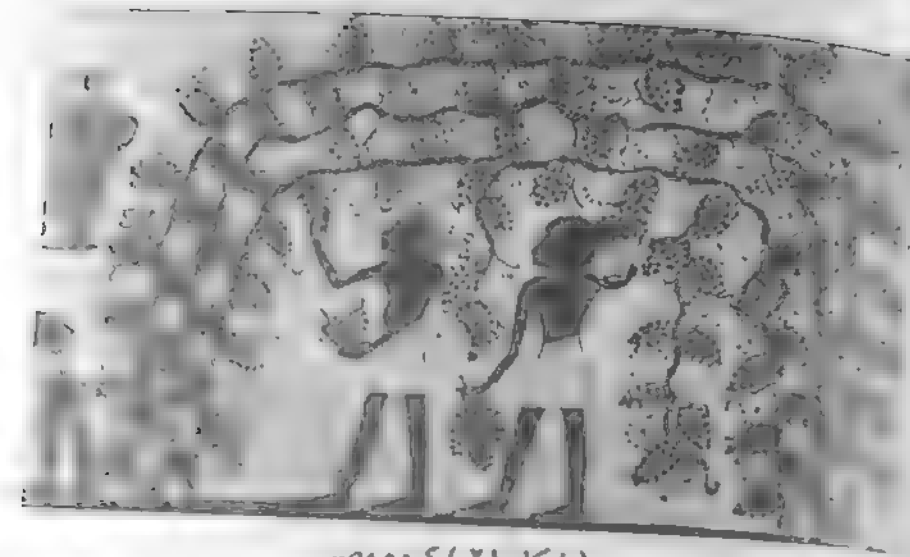
كانت الحديقة في المنزل عنصراً اعتاده المصريون في حياتهم، بحيث  
 أصبحت الحقائق في أديهم وقصصهم من المؤلف المذكور في كل أثر

فصعد غيبه، حيث حفلت قصائد الغزل بذكر الخدم  
 من حرص الملوك إذا أنشأوا مدينة أو عاصمة جديدة على  
 حدائق فيها النصب الأوفى حيث البحيرات والزهور.  
 حين في عاصمته الجديدة أختاتون عند تل العمارة.  
 سر في برر عيسى عاصمته الجديدة التي أنشأها شرفي  
 موسى وليداً ولبت فيها من عمره سنين. ومنها خرج  
 من المفرقين، ولذلك فخلق بنا أن نقرأ ما حفظ لنا  
 من أحد كتاب فرعون إلى زميل له فيقول:

«وعمسى حبيب آمون فوجدتها أروع ما تكون ازدهاراً  
 لا مثيل لها على غط طيبة، إن بسايتها حافلة بكل  
 عليها الأطعمة كل يوم كما تقتلى مياهها بالأسماك  
 فيروز، وإن أمراءها للبيثة بالشعير والقمح الذي يكاد يبلغ  
 حداث الرمان والتفاح والزيتون والتين، أما النبيذ فهو  
 وفيها السمك الأحمر في القنوات... إن شباب  
 تصارات في عيد كل يوم، والزيت والطيب على رؤوسهم،  
 بهم وأيديهم مثقلة بالزهور»<sup>(١)</sup>.

كانت الجنان والبساتين كذلك عامرة بالفاكهة والثمار من النخيل  
 لأعاب ومن الخروب والنبق والتين والحمير والشمام والبطيخ، وكانوا  
 منه يدرك، ثم استنبتوا من بعد ذلك ما عرفوه منذ أيام الهكسوس من  
 من سحر يوسف في قوله: «إني أراي أعصر حمراً» ولقد نبئت

Gardiner, Miscellanyes p. 40-41. (١)



(شكل ٢١) كروم مصر

بمروم وفيه في أنحاء كثيرة من مصر، (شكل ٢١) كما جاءنا من الآله  
 خاصة عن كروم الواحات منذ طلائع التاريخ المصري، وقد سعى  
 وبنائها ومنزلتها من إنتاج الواحة الخارجة على عهد تحتمس الثالث  
 النبيذ كان من جملة ما يؤدي أمراؤها من ضريبة إلى الملك.

أما الزيتون الذي عرفه المصريون باسمه هذا فله في القرآن حديث  
 حديث، فهو الشجرة التي بارك الله فيها وضرب بها لنوره الأمثال

«الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح  
 لمصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة  
 مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار  
 نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس  
 والله بكل شيء عليم» [النور: ٣٥]



## شجرة مباركة زيتونة أين تكون؟

لا شرقية ولا غربية فلا هي إذن في الشرق البعيد ولا في الغرب بعيد. ولقد نبت الزيتون وينبت في بقاع كثيرة من أرض الله.

ك شجرة أخرى تجود في بقعة خصها الله بذاتها من أرضها يضيء وكون لم تمشه ناراً.

إلى الأحبية والاستقصاء، وقد أعلنها الله صريحة في عطية. والثين والزيتون (١) وطور سين (٢) [التين: ١، ٢]

من السماء ماء ندر فأسكاه في الأرض وأنا على دهر  
من السماء لكم يد حات من نخيل وأعقاب لكم في  
ة ومنا فأكلون (١) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت  
ندى وصغ لأكلي (٢) [المؤمنون: ١٨ - ٢٠]

بعد محل منذ اليوم بتلمس ما أسكن الله من ماء السماء في أرض  
من رزين منها كل ما نستطيع من باع وذراع، مستزرعين  
يرطين، ولقد أتت التجربة بأيدي غيرنا وبالحزن أكلها  
ي ومن يسر بعد الهزيمة النكراء عام ١٩٦٧، يوم انكفأنا لبكى إذا اكتشفنا  
فحاة أن سيناء بعد ضياعها أرض حبيبة، فأما وقد ارتدت إلينا فلعلها لا  
تريد بعد غمار الأحزان إلى غياهب النسيان أو ما يشبه النسيان، وأخشى  
ما يخشى أن يزدهينا وشل لن يكفي طموحنا من سيناء، يصل من ماء  
النيل إلى سيناء، وأن نستقيم بمائه إلى استزراع وقاع قليلة قد تزود

لأحذر وسائل الإعلان والإعلام، ولا تغنى عن حاجات الناس من  
من الأمن والطعام، وليتنا منذ عام ١٩٥٢ بدأنا به. وقد سعى  
مصرية لتحرير وما أدراك ما مديرية التحرير، فتولت سيناء وكانت  
ريست معروفة (١) بالتأهيل والتعمير، إذن لك حشد من  
تدو، سكانية ثابتة، حارسة محروسة، يقظة قادرة على أن يمتد إلى  
معدن الطامنين، ولما ذهبت عما يوم ما يبيع وذهب، بل من  
نعا من بهجة وذهب. ولطابت لنا فلم يتجمعها غيرنا إلا بإذننا طابا. تلكم  
م صور سينين أو طور سيناء، باب مصر ومدخلها الشرقي منذ العصر  
عدم معصور. هي بقعة من مصر وجزء منها، وهي كذلك جزء من بقعة  
تات منزل الوحي، ومهبط الرسالات، وتضمها مصر مراع العلم وقبة  
لا...

## وزروع

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك فخرج  
لما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفوميا وعدسيا وصبيا في  
يستدلون الذي هو أدنى بالذي هو حمر انظروا متصرا فان لكم  
سألتم (١) [البقرة: ٦١]

ولو قد نظرا في تلك الحاصلات لأدرك أن من رزق الله  
في أعقاب البحر، في فيض النيل، في شجر هجر المصري، أو في  
(١) عباس عمار: المدخل الشرقي إلى مصر.

في مصر يومئذ من البقل الفول والحمص، والبازلاء  
الكثيرة، وذلك فضلاً عن الخس الذي كان من أحب  
لآلهة أجمعين، وجعلوه رمزاً للرب الخسوية  
في مصر حدث ولا حرج، فهو فيها طعام  
لذي لم يكذب يتغير. إذ كانوا وما زالوا يأكلونه  
معروف حتى يومنا هذا. كالمدمس والبصرة.  
لأنما لعله يشبه الطعمية<sup>(١)</sup>. فمن نافلة القول  
لمصريين تلك القرون. أن نتحدث عن مدى  
وعن انتقال ذلك الحب مع ما يصحبه من

أو الخبار إليهم، وكانوا يقربونها على موائد  
قربان للأعزة من الأقرباء المتوفين (شكلا ٢٢، ٢٣)  
الآداب المصري روى بحار حطمت الأنواء سقيته،  
في حورية مقدسة وجد فيها من الفاكهة والأعشاب  
صاه مما ألف في مصر، وكان منها القثاء الذي عرف

طخة (شكل ٢٤) أو هي الثوم على تعدد في التفسير،  
المتوفرة في مصر، وقد وجدت في مقابر طيبة  
حزم الثوم الذي عرف في مصر باسم حذن<sup>(٢)</sup>. وكانوا

١. مصر القديمة الجزء الرابع (١٩٤٨) ص ٦٠٥.

الحبة اليومية في مصر القديمة على عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرنس



(شكل ٢٢) مائدة مصرية (١١١) قديمة

بطنتون عليه اسم البصل حج، وأما البصل فكان - كما هو اليوم - من  
أطعمة الفلاح اليومية وأدناها إلى نفسه كما كان من ألوان ثوبان. وكان  
العدس الذي عرفوه باسم عارشين من أحب الأطعمة إليهم. وما زال  
«العدس والبصل» عندنا من أشهى أطعمتنا وأقربها إلينا. وكتبوا بتخليل  
البردوس في الآخرة عامراً بالشعير والخنطة والعدس. يرتفع شأنه  
قدروا عشرة أذرع في أرض الجنة<sup>(١)</sup>. وحسبنا من دليل على ما حظيت به  
تلك الأرزاق من الحب والتفضيل أن بني إسرائيل بحكم إقامتهم في مصر  
وما اعتادوا من طعامها ووفرته، قد اختاروها دون سواها من رزق الله  
وقد قدمنا من سفر العدد (١١: ٤٤) من العهد القديم، ما صور حينئذ  
إليها، بل كادوا يضعونها مع الحرية والخلاص في الميزان.

ولم يكن ذلك كل ما كانت تنتج مصر. على عصر الفراعين، بعد  
كانوا انتجوا ما يكفيهم من الغذاء، فقد انتجوا كذلك سراويلهم من الكتان  
الكتان الذي كانوا يزرعون ثم ينسجون، وكانوا يتخذون منه ثياباً  
وأفوافا شفيفة كانت موضع إعجاب الناس أجمعين، أما ترى  
الإعجاب به فيما ورد عنه في سفر حزقيال (٢٧: ٧) «كتان مطرز من  
مصر هو شراعك».

وفضلاً عن ذلك فقد كفتهم أرضهم ما كان ليحصده والتكبر المصري  
والشرى أكبر معين، إذ نبت فيها الردي والبراع والسوص، ومنه حصد  
لنبطاس والقلم، واتخذهما عنهم الشعوب من حولهم. رد حصيد من  
مصر الفينيقيون حيث كان، ميناءهم حسن أو بيزنس، أهم مراكز التجارة

Fig. Book of the Dead, chapter 110, vignette (١)

(شكل ١٣) ونسمة كانوا فيها فاكهين



نصديقه إلى العالم القديم، ومن اسم بيلوس كان اسم  
 نيبه ثم اسم الكتاب المقدس Bible في كافة اللغات  
 ت اد عرف البردى في العالم القديم وما زال يعرف بمشتق  
 بابرعوه أى ما الفرعون !! Papyrus ومنه جاء اسم  
 لأقدمون ومازلنا نرده علما على ماهو فى حياتنا اليوم.

مصرى على كل حال بما جبل عليه من حسن وحب  
 -و حبيدا فى استزراع موطنه حيثما حل من أرضه  
 -م فقط مع جهده فى البحث فوجد فى الواحات الماء،

مصرى نفعل اليوم من تدمير الحقول فى ظل سيادة

مصدرها سواء كانت من الآبار أو الجارى من الأنهار. وقد  
 بشر قوله تعالى فى سورة الفاشية: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وفسر  
 بـ «العين» بالأنهار الجارية، ولا حاجة بنا عندئذ إلى الإسهاب فيما  
 من «العيون» ففيها أعظم العيون وأغزر العيون؛ فيها النيل  
 كما ذكر فى القرآن، وذلك أنه أقبل من قلب القارة  
 لدخل مصر فوق صخور الشلال الثانى، ثم صخور الشلال  
 ل عام ما جاشت، حتى لقد خيل إلى المصريين فى بعض أساطيرهم أنه

بنا ينفع من كهفين فى تلك البقاع فى جزيرة الفنتين أسموهما قري،  
 ثم براه من بعد ذلك يجرى سهلاً ليناً. حتى إذ بلغ رأس الدلت، دأبه  
 بسبب كالمروحة أو يتفرع كالشجرة سبعة أفرع لم ينز منها نهر لا  
 يدعى هما: دميوط ورشيد، وكان يقبل بقيصه كل عام فيعمد لأرض عن  
 دن وشمال، فإذا بلغ حدته وطما فى شدته، نكص على عقبه محنت  
 واه كثيراً من المنافع والغياص والغدران، فيكون فصل السنة و

ومع ذلك فقد كان لاختيار لفظ العيون فى القرآن مرمة وسعة.  
 وبحث لأن فى اللفظ من الاتساع والشمول ما يجمع على أسرار  
 حارية فى الأنهار والمياه التابعة فى الآبار. وقد حيت مصر من هذه  
 حسين. فكان اللفظ من جوامع الكلم القرانى الذى أوفى على  
 راعجاز، بما يسوق من لفظ جامع دقيق عن تقدير وحسن، فى  
 سحرى وسط صحراء شاسعة مرهقة عن يمين وشمال، حيث  
 مصرى منذ أقدم العصور يسلك فجاج المفوز، ويطوى رمائم العصى  
 بحثاً عما يقيم به حياته من المواد الغفل من المعادن والصخور، و  
 بيع والشراء مما وراءها من الأقاليم والبلدان. وكان إحمرهم لسحر  
 ، يخاز المقاصد بمقدار ما يجدون إليها فى طريقتهم من مصادر  
 فقد حرص المصريون وفراعينهم على توفير الماء على دروب شوافى  
 ناع التعدين فى الصحراء، وذلك بحفر الآبار وتشمس العيون.

وكان وادى الحمامات من أجل الطرق منزلة وفيصة فى اقتصاد مصر  
 ونحرتها؛ إذ كان سبيل القوافل إلى موانئ، لبحر الأحمر حيث تنطلق  
 السفن المصرية إلى مصادر البحور فى بوت، وذلك فضلاً عما يكتنف



(شكل ٢٤) تمح وفير (١١١)

الوادي من محاجر تؤمها البعثات لاقتطاع التوابيت للفراعين. ومما روى  
عن الملك سعنخ كارع متوحب الثاني، عاهل الأسرة الحادية عشرة أنه  
تلف نحو أحد كبار دولته، باستئناف الرحلات المصرية إلى بويت، فكان  
أن خرج في ثلاثة آلاف رجل لتطهير وادي الحمامات وبأبيه ثم  
يسعه على السفر من عصابات أولاً، ثم احتفر فيه من، لا ريب جعله  
كما قال بأسلوبه البلاغي - نهراً وحول الصحراء مروجاً، إذ احتفر اثنتي  
عشرة بئراً وسط الشجيرات، وذلك فضلاً عن ثلاثة آبار أخرى،  
ضلع كل منها عشرون ذراعاً أي عشرة أمتار في مواضع عينها من  
الوادي (١).

وفي نص آخر بوادي الحمامات نقشه سعنخ قائد قوات الصحراء  
عنه نب تاوي رع متوحب الثالث، آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة، أن  
خرج إلى الصحراء وهو يومئذ في الستين من عمره، في سبعين ولداً من  
سنة واحدة، فجعل الوديان حفرة، وحول رباها بركاً من ماء، وعده  
بالبنين (٢) وعن أمنمحات (الأول)، أيام كان وزيراً لذلك الملك، أنه  
خرج في عشرة آلاف رجل إلى وادي الحمامات، لاقتطاع تابوت للملك  
قد جعلت الروابي نهراً والأودية أعاليه جداول مياه (٣)، ومع ذلك  
بعد أخذتهم هواطل من أمطار غمرت الوادي حتى حدة جبل،  
كشف وسط الوادي عن بئر حافلة بالماء الصافي، طولها من الأذرع عشر

Couyat et Montet, Incriptions Hierog. et Hierat. du Ouadi Hammat No 114... (١)

81f; Breasted, Anc. Rec. 18 429-431.

Couyat et Montet, op. cit. No 1 p. 32; Breasted op. cit 1 § 454. (٢)

Couyat et Montet, op. cit. No 113 p. 80; Breasted op. cit 1 447. (٣)

عشر، ظلت مجهولة لم تلاحظها عين من قبل على مدى

لأول عامل الأسرة التاسعة عشرة، أنه خرج إلى  
مصر، ليتفقد الأرض حيث يقيم مستوطنة  
في معبد، ويحتفر بئرا تكون غوثا للمرهب، ويردا لغزاه  
... القبط. هنالك أمر عمال الحفر فاحتفروا في الجبل بئرا  
... كأننا كهفا قرتى في الفنتين، حيث يتفجر. كما  
... عاد الطريق سهلا<sup>(٢)</sup>.

سيرة الثاني أن حاكم النوبة العليا. وكان كذلك  
... شكا قلة الماء على طريق المناجم، وما يتعرض  
... غطشا في تلك البقاع ذات الذهب الوفير، وما يتهدد  
... فكان أن جمع الملك الأمراء فشاورهم في  
... هناك نبط الماء منها على عمق اثنتى عشرة ذراعا،  
... فحاولوا ذلك من قبل فأخطأوا الماء حتى عمق مائة

فضلا عن ذلك يعينون على الآبار والعيون الحرس من  
... يصبونونها ويذبون عنها العابثين والمعتدين، ويحفظون  
... صافيتها وصفاها، سواء كان ذلك في سيناء أو وادي الحمامات،  
... واحات الصحراء الغربية، وكانت الواحات محاطة للقوافل حيث

Cuyat et Montet, op. cit. No 1 p. 32; Breasted op. cit. I § 451 (١)

Kitchen, Rameasid Inscriptions I 65 B, Breasted, op. cit. III § 1701 (٢)

Kitchen, op. cit. II 353-360; Breasted, op. cit. 282-291 (٣)

تجتمع الينابيع والعيون، وكانت الواحات الخارجية كسرى وأهمها  
جميعا، وقد توفر فيها من الماء ما مكن بنيتها من إبيت، الأعداب والك...  
كما قدمنا منذ طلائع التاريخ المصري القديم.

وكان الملوك فضلا عن ذلك حريصين منذ أقدم العصور على  
مشروعات الرأى في أنحاء البلاد، حريصين على إبقاء مياه النيل  
... ومن أشهر وثائق تاريخ مصر العتيق مخطوطات  
... إيلاد بشق القنوات إذ يصور الملك العقرب الذي حكم مصر من  
... مؤسس الأسرة الأولى وموحد نقصرين، تمسك...  
... بهم بالضربة الأولى مفتتحا قناة. كذلك كان منصب...  
... «عج مر» من الوظائف والألقاب الكبرى في الدولة...  
... نهر من يعرف من مشروعات الرى ما كان أقامه امنمحاح الثالث،  
... عامل الأسرة الثانية عشرة من خزان الفيوم لتوفير الرى والزروع في  
... خفض الفيوم.

### وكنوز

وفسر النسخ الكنوز في تلك الآية بأنها الأموال المصروفة من...  
والفضة قال وسماها. أى القرآن. كنوز لأنهم لا يفتقون منها...  
... وجاء في المعجمات عن الكنوز أنها المال المدفون، وما أكثر ما ذكر  
في مصر القديمة من أموال ظاهرة من ذهب وفضة ومن س...  
سيكة منهما، وذلك فضلا عن المال المدفون، وللمال المدفون في مصر  
حديث ذو شجون.

على أننا لو أخذنا اللفظ بمعناه الراسع لشملت بذلك مناجم الثروة

... من مظاهرها في الأرض، وكانت هي مصادر الأموال الظاهرة إلا  
... وبعد ذلك من مصر وما زالت تدخر من ألوان الحجر  
... ما لا يكاد يقع تحت حصر، ومن كنوز الحجر نصف  
... الذي حبيت بوفرة منه وبسطة فيه ما عرف لها  
... قطار الشرق القديم.

... قد خرجوا منذ فجر التاريخ البعيد في طلب الذهب  
... حيث تقع مناجمه الوفيرة عند الفواخير فيما يلي  
... وعند أم الروس عند ساحل البحر  
... فيما كشف من عصر فجر التاريخ من خروقات من  
... وأخرى من رقائقه في المحاسنة، دليل على عراقة  
... وحيرة في صياغته وصناعته، كما كان في اسم مدينة  
... قرية البلاص قبالة قفط. دليل آخر على ما تدفق  
... نخل عليها اسم نبتى بمعنى الذهبية<sup>(٢)</sup>. وكان له  
... وشهرة على مدينتى الكاب والكوم الأحمر  
... قبل مطلع الصبح من تاريخ مصر (نخب

... ربة الشرقية كذلك استخرج المصريون الذهب من بقعة  
... وادى العلاقى. سميت يومئذ باسم اكبتا، ولذلك كله فقد حرص  
... على بسط النفوذ المصرى وإقرار الأمن في النوبة بأسرها، فقد

...

ibid (٢)

ibid. (٣)

روت أخبار ملوك الأسرة الحادية عشرة عما بذلوا في هذا السبيل، حيث  
عبر رؤساء التراجمة، لحسن التفاهم مع الناس هناك<sup>(١)</sup>. وتبع ملوك  
الأسرة الثانية عشرة حملاتهم التأديبية على تلك البقاع، وأقاموا بدءاً من  
الملك الثاني الحصون تأميناً لها من الاضطرابات والغارات، وكان خط  
الدفع الأخير هناك في السجة واليفانين، بل لقد كان سنوسرت الثالث  
عقب في حملته على الثائرين بحكم إغراء الذهب والحرص على تأمين  
موارده في تلك البقاع<sup>(٢)</sup>.

... لم يفتأ الفراعين يرسلون البعث ويوجهون الحملات والتفويضات  
... عن الذهب في مظاهره من أرض مصر، فإذا عثروا عليه وبشر  
... وافروا وعمدوا إلى إقامة المحاط. وتيسير الطرق إليها عما يحضرون  
... وفي طريقها من أبار، وما ينشئون عندها من معد يكون مركز  
... بكرة العمالي، وبما يرسمون لهذا كله من خرائط تحدد مواقعها، ونسب  
... ومسالكها، ولقد حفظت لنا على بردية بمتحف تورين الآن  
... تصور منطقة الفواخير بمناجمها وطرقها التي يؤدى إليها  
... وما يخرج منه بعد ذلك من طريق إلى البحر الأحمر. وهي  
... عما تبين من بشر لسيتى الأول و«جبال يخرج منها ذهب  
... وطريقين يؤديان إلى البحر الأحمر، ومعبد لأمون، مركز المعسكر  
... فهي تبين على مرحلة من المعسكر «جبال حجر بخن»، المحبوب  
... من أردواز وادى الحمامات (شكل ٢٥).

وكان سيتى الأول من أحرص فراعين مصر على تعدين الذهب،

(١) Ibidem 316

(٢) ibid. Bernsted, op. cit I §§ 651-660

71 17 21  
 17172

17172

(٢٥) مواقع المناجم في أقدم خرائط التاريخ

قدم بنا كيف خرج إلى الصحراء الشرقية حتى  
 مناجم الذهب، ومواطن الماء على الطريق، فساء  
 الماء الذي يندد المسافر بالهلاك، ويحول دون ما تردد  
 على استغلال تلك البقعة التي يتوقع الذهب منها، ثم  
 بحثا عن أصلح البقاع التي يحتفر فيها بئرا، فكان أن  
 من احتفار بئر في الجبل، وإقامة معبد ومحلة يستريح  
 وقد أسفر ذلك عن إقامة معبد الكنايس في وادي مياه أو  
 مناد، فيما يلي ادفو على بعد خمسة وخمسين كيلو مترا، في قلب  
 قية (١)

Kitchen, op. cit I 65 B., Breasted, op. cit III § 170 f. (١)

وتحدث إليه رمسيس الثاني عما بذل جريا على سياسة أبيه في هذا  
 السيل، قال: إنه بلغه وهو يحصى مصادر الذهب ويضع التدابير، لحفر  
 ما ر حيث يشح الماء أن أكتنا مع غناها بالذهب وبفقرته، نحالية من الماء،  
 الغواص إليها لا تعود إلا بنصف رجليها لما ينعمسون له من عسل  
 مبر، وأنه لم يكذب بلغة ذلك حتى استدعى أمرا - الحامية يشرفهم في  
 الأمر حيث قدم حاكم النوبة تقريره عما يعوق تعدين الذهب من ندرة  
 ... وما كان من جهود فاشلة بذلت من قبل على عهد أبيه، وقد أقر  
 رمسيس حاكم النوبة بما رأى من أمل في انبجاس الماء ببذل مزيد من  
 الجهد فحالفه التوفيق (١).

ومهما يكن من شيء، فلقد توفر الذهب في مصر وزادت بمصره  
 نها. إذ يدلنا ما ذكر في حوليات تحتمس الثالث، أن مناجم النوبة  
 منى وحدها قد كانت تغل على البلاد ما يقدر في متوسط سن  
 مية وأربعين كيلو جرام وقرابة ثلث الكيلو جرام في العام الواحد (٢)  
 منمكن الذهب للمصريين كثيرا من شئون الحياة. إذا طاعوا في  
 سحرة والاقتصاد شراء ما عز في بلادهم واضطروا إلى استيراد  
 حولهم من أم وأقطار. فكان أن تمتعوا بنفسه بأرف فيه وحفظ  
 عيش. أرأيت عشية خروج بني إسرائيل كيف احتلوا على سحير  
 سايوهم حليهن ومن ذهبن ما مكن السامري من أن يحرج لهم سحرا  
 حسدا له خوار.

Kitchen, op. cit II 35, 36; Breasted, op. cit 282-283 f.

(٢) مع إنتاج النوبة المسمى من لدمت في عهد تحتمس الثالث ٢٣٢٠ كيلو جرام سنة ٣٤٠  
 من حكمه ٢٥٨.٨ كيلو جرام سنة ٣٩٠، ٢٩٦ كيلو جرام سنة ٤١٠، ٢١٦ كيلو جرام  
 سنة ٤٢. انظر: Save-Söderbergh, Agypten und Nubien S.210-211.



لقد تمتع كثير مما وقع تحت حماية مصر من ولايات آسيا بمثل  
ورفايتها بفضل ما تنفق مصر فيها من أموال، وكان  
مثلاً حياً ناصعاً لذلك؛ يدل عليه ما عثر عليه في مقابر أمرائها  
ذهب وأوعية السبع ذوات الخواف الذهبية، وكانت من هدايا  
الملك حين تقلبته منصبه هناك، وكذلك أسلحة صنعت في  
مصر قى عليها نصوص مصرية<sup>(١)</sup>.

لخص بـ ن بالذهب أن يحرزوا من النفوذ والمنزلة  
لجيوش المحاربة تحرزه بالغارة والعدوان،  
دعه حيث لا تستطيع الجيوش الوصول فيما وراء مناطق  
مصر من البلاد، فكان أن تولى الذهب مكان  
حراز النفوذ، وأصبح المصريون يشترون به  
السلع من الخارج، وإن فشلت تلك السياسة أواخر  
الملك نكت، وذلك لما أبداه الأمراء من جيران مصر من  
مقاومة الغزو الحثي من ناحية، ولما كان من سياسة أخناتون  
مصر هناك من ناحية أخرى، بمعنى أن سياسة  
الملك نكت فشلت إن لم تكن وراءها قوة تسندها، وأن  
الملك نكت لا يتفصلان في السياسة أبداً، ومع ذلك فقد كانت  
السياسة منذ قتل نكت بالذهب، برغم تسرب الفساد وسوء الإدارة  
تحتون حتى ذاعت شهرة مصر بأنها أغنى دولة في الشرق

ولقد حفظت لنا من رسائل ملوك ميتاني وأشور وبابل على عهد

نحسب الثالث وابنه أخناتون أطراف مما كانوا يكتسبون، طيباً لذهب من  
مصر، بل استجداءه منها، من ذلك ما كتبه توشراتا ملك ميتاني إلى زوج  
ابنته أمنتحتب الثالث يقول:

«أخي أرجو أن ترسل ذهباً بأقدار عظيمة جداً وقدر لا يحصى، لعل  
أخي أن يرسل ذلك، ولعله يرسل من الذهب أكثر مما حصل عليه أخيه  
اليس الذهب في بلاد أخيه كالتراب في الأرض»<sup>(١)</sup>.

لما الفضة التي استخرجت مما كان يستخرج من الذهب من  
بحر النكواتر الأولى فقد عُدَّت في الدولة القديمة ذهباً من  
كم تدرته على الذهب الخالص، أو مزاج ذهب وسنبل  
في المصرية باسم جعم وعرف في العربية باسم معد، ويعرف في  
أكبر الظن - انحدرًا عن أصل واحد، وقد عرف في اللغات الأوروبية  
باسم الكتروم Electrum.

كذلك ضربوا في بطاح بلادهم وأوديتها من الصحراء الذهب  
الزينة يطلبون فضلاً عن الذهب فتونا من الأحجار نصف الكريمة،  
من الصخر الجميل - حيث استخرجوا من الزرجد والعنبر -  
جصشت والمر والزرجاج الصخري، وأحجار حسب ألوانها وصلابتها  
مقولهم منذ أقدم العصور، فاتخذوا منها سحر من حديد  
بات الفن، وكان يعجبهم منها بخاصة نوع من زجاج مصر  
خضرة، يكاد من صقله يفسد كالمرة، وذلك فصلاً عن الذهب  
حرائب الأسود والأحمر والديوريت المتين، وكان في حسان  
لما كان يمتاز به عما سواه من كثرة يخفيها في حناياه من بقاع خضرة

من أهم أسبابهم، وسبب إسماء بالرحلة إليه، وسلوكه إلى موطن  
الصحراء الشرقية، وقد عرف فيها جبل الزبرجد،  
جبل الفيروز، وجبل الفطيرى من مصادر الجرانيت  
الذى أو وادى الخودى عند أسوان حيث استخرجوا

تلك مستودعا غنيا بالنحاس، ومن الحجر نصف  
البحر من مصر منذ طلائع الأسرة الأولى على رعايته  
والفيروز في وادى مغارة وصرابيط الخادم وحيث  
تحتوي ربة الفيروز منذ عصر الدولة الوسطى التي  
من المنطقة بانتظام كبير، وما زالت تلك البقايا من  
عشرات من نقوش المصريين ممن كانوا في تلك

في نظر واحدة فيما تحفل به متاحف الأرض  
سيرة وفي كلمة يسيرة منها الكفاية وفوق الكفاية، فلقد  
شعر النحت في القبور، وكان المصريون يكثرونها للحياة  
في شيعر بها مع المتوفى، ذخيرة له ليوم البعث والنشور، وما زالت  
تحت حلى آمون تروعا، وتروع العالم كله بما فيها من أثار ومتاع،  
من حلى وذهب، ومع ذلك فلم يكن توت عنخ آمون هذا  
من عظم الملوك، ولا أشباه عظامهم، ولا كانت مصر على عهده تتمتع  
بما كانت تتمتع به على عهد أسلافه من أمثال حاتشبسوت، وتحتس

الثالث القائد المغوار، أو أمنتب الثالث، من القوة والثروة والاستقرار،  
في عهد أخلافه من أمثال سيني الأول ورمسيس الثاني لم تتمتع  
بشيء من هذا علي عهده، بل كان فتى حدثا لم يحكم سوى تسع  
سنوات، كانت مليئة بالاضطراب السياسى والاجتماعى، من بعد  
اضطراب دينى شبة اختاتون، فها كان الذى نراه توت حلى  
نسر على صغر قبره وبساطة حليته، فمدا عساك أن نجد تركت  
من النهب والسلب قبور من ذكرنا من الملوك، ومنها ما بلغ فى امتداد  
واتساعه تحت الأرض مبلغا عظيما، وذلك مع ما يدل عليه من آثار  
ووسيم زخرفه، أن كان خليقا أن نجد فيه بالقياس إلى ودائع  
آمون ما يبهز العيون كثرة وثراء.

ولقد عثر لغيره على أمثلة متفرقة رغم العدوان والنهب عبر عصور  
القديم، بما يشهد لها من غير شك، أنها ذات مال وكثرة (١). فمما  
هو من قبر جر عاهل الأسرة الأولى، ومنها ما هو تحت حرس  
فوق، بل لقد انتهى إلينا من آيات الصياغة من عصر الدولة  
التي جبالا عما نرى اليوم من حلى، وذلك فصلا عن حلى  
وسطى من تيجان وخناجر وفلائد وعقود، ومن حلى الأسرة  
من آثار بوعح حتب إلى آثار زوجات تحتس الثالث، ثم ودائع  
بسخعنو (بسونس فى تصحيف الإغريق)، عاهل الأسرة الحادية  
والعشرين، ومع ذلك فليس يخلو من مغررى عميق فى هذا العهد،  
تذكر عن المصريين تسميتهم لعرفة لدفن، حيث تحفظ حنة ملك فى  
تابوته: كانوا يسمونها «پرنوب» بمعنى دار الذهب.

(١) A. J. H. M. (London 1971)

من من خبر الأسرة التاسعة عشرة، وعهدى ومسيس الثاني  
من من (سكالا ٢٥-٢٧) روايت تهض مصدقا لقول موسى  
من من ورد عنه من دعاء ربه في سورة يونس:

عن من سنى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة

من من

### م كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين

من من فاما خلق ووهب العليم الوهاب. وحسبها من نعمة أن  
سلف الله بما وصف بها جنته التي أعدت للمتقين، ولنقرأ

من من في مقام أمين (٥١) في جنات وعون ﴿ [٥١، ٥٢]

من من أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ﴿ [يس: ٥٥]

من من وعون وقومه قوله تعالى في سورة الدخان:

من من بر كرام من جنات وعون (١٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة

كانوا فيها فاكهين ﴿ [الدخان: ٢٥ - ٢٧]

كذلك كانت مصر وما زالت كذلك.

وستظل إن شاء الله حتى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. ولو

سببنا ويحشا وعملنا لوجدنا فيها غزيرا من نعمائه وخرج علينا  
فيها كل يوم جديد ومزيد. لأنه حكم رباني وقضاء إلهي يبقى نقاء  
في الأحقاب والدهور حدود

... ما يجري به النيل وما يتفجر تحت أقدامنا في  
... على غير مسمى ولا منفعة. بالوادي الجديد. وفيها  
... الذهب من النفط والحديد، وما ندرى مقدار ما فيها  
... والذرة من ذخائر من بأس شديد.

... كما حلت الأرض لتدر علينا من رزقه بغير بذل الكادحين

... غير مدبرين متعرضين غير معرضين. يكون لنا فيها  
... يكون فيها فاكهين

... إداة الله أن يحفظها وأن تظل بآمن من كل سوء، إ-  
... إذن بعقاب فرعون وملته فلم يتزل عقابه بغير  
... من ناصرين، ولم يأخذ أهلها إلا بما يكون بلاء

... لكم نبيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال  
والانفس، السمرات وبشير الصابرين ﴿ [البقرة: ١٥٥]

وخص فرعون وقومه بما صنعوا.

ودبر ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴿ [الشعرا: ١٥]

ولنعتر ولا نأمن مكر الله. بين ما نزل بها، وما حاق بعاد وثمود وما وقع  
نساء وقوم تبع وأصحاب لوط.

ثم لنعتبر بقوله تعالى:

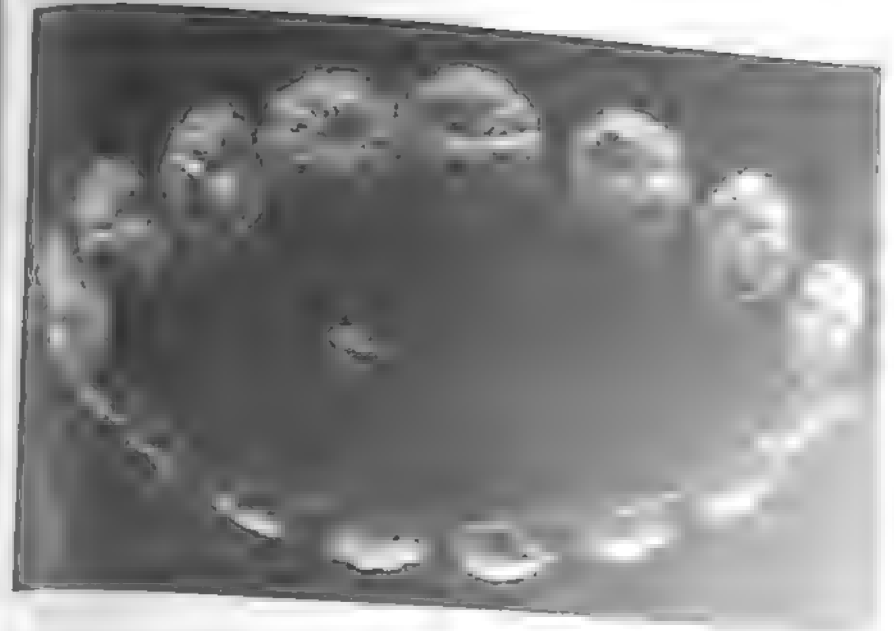
و ضرب الله مثلا قرية كانت أمة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من  
... مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف  
... كانوا يصنعون ﴿ [النحل: ١١٢]

-٨-

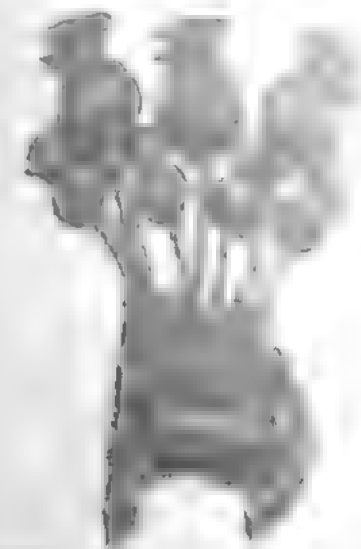
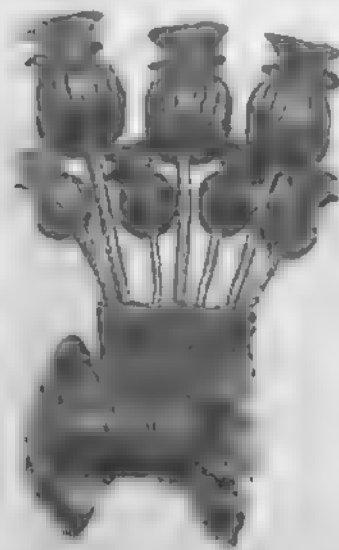
## حكما وعلما

أقام بنو إسرائيل في مصر أمداً قدر في الثوراة بخمسة وسبعين عاماً وأربع مائة عام، ظلوا فيها يعملون للمصريين ومع المصريين، وبنوا لهم مدن وقلاع، ثم خرجوا يحملون مع ما سلبوا من ثروتهم إلى أرضهم. من ثقافة مصر، وحضارتها وآدابها الكثير، وذهبت حكمة المصريين وورثتهم مصر في نظمهم وآدابهم وعقائدهم مذهب اليقظة والعدل ولا تفتقر إلى دليل، ولا يكاد ينكر ذلك، أو يتردد فيه إلا صهيونيون متعصبون والحقد عن حقائق العلم ونور اليقين، أو عبيد للصهيونية ويتملقها، أو ضعيف يخشاها فيجاملها وهو في حرج وتنازع في نفسه بين باطل يدعيه وحق في أعماقه يؤمن به ويخفيه.

ولقد كان استقرار يوسف في مصر - كما قلنا - مكانه مكنه الله منها، ولما وقع ذلك في أسر العبودية ونخاسة الرقيق، لأنه لم يكن على قدر الله ليعلمه من تأويل الأحاديث. وكذلك نشأ موسى في قصر فرعون فتهدب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال [أعمال الرسل ٧: ٢٢]



يوسف وأخوته في مصر



يوسف وأخوته في مصر



«صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين  
سكنين في المدينة وأعطاهما مهرا لابنته امرأة سليمان». [الملوك الأول  
١٦ هـ]

كان لمصر بحكم تلك العلاقات القديمة تأثيرها في حضارة الشرق القديم  
فقد شاء الله أن ينكشف الدليل الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من حنقه للعالمين، وأن يتبين مقدار ذلك التأثير العميق،  
الذي قد فقمم إلى جلاء طلاس الهيروغليفية والهيراطية والديموطية  
في القرن الماضي، وحين ظهر الناس على أناشيد أختاتون.  
في دراسة الدراسة والبحث على ما كان عشر عليه من قراطيس  
في حارس المتحف البريطاني فلم يعرف محتواه إلا منذ  
١٩٠٠ م. حيث سرف علماء الحضارة المصرية اسمها  
«أمن م أوبه، وأنى، وقرءوا حكمة هذا وذاك»<sup>(١)</sup>،  
«ما وجس يبيها وبين مزامير داود، وسفر الأمثال من شبه مدهش  
فهيما مصرياً وعبرياً. لا يتفقان معنى وروحاً فحسب، بل إنهما  
من المعنى والمبنى، ونكاد نقول في اللفظ جميعاً، وعاد العلماء  
دراسة الكتاب المقدس وإمعان النظر فيه ليخرجوا من الدراسة والنظر  
في رأى قاطع وقول صريح، فقرروا أن كاتب العهد القديم إنما كانت

a) Z. Zaba. Les Maximes des Ptahhotep (Prague 1956).

b) Gardiner, the Instructions adressed to Kagemni and Bretheren JEA 32pp 7  
& ZÄ LXXXVII (1941-1942) p. 13;

c) H.O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope, Kopenhagen (1952).

d) A. Volten. Studien Zum Weisheitsbuch des Amenemope, Leipzig 1955.  
The Ancient Egyptians. A Source book of their Writings, ed. by A. M.  
Blackman New York 1966).

تحت يده ترجمة عبرية كاملة للكتاب الذي وضعه أمن م أوبه المصري،  
والتي كان ينقل منها بغير تحفظ، بل لقد مضت بهم الدراسة تفصيل النص  
المصري إلى تصحيح ما كان مشكوك فيه من أخطاء النص العبري من سنة  
١٩٠٠ م. وإلى ترجيح معنى من معنيين لهما في العبرية القديمة.  
لفظان متجانسان<sup>(١)</sup>.

ولو قد تعمقنا آثار الفكر المصري في العهد القديم لما اتسعت لها  
إصحاف والفصول، والذي لا شك فيه اليوم أن الديانة العبرية  
في مرحلة تحتاج فيها إلى أساليب القول وأدوات التعبير، قد تلمست  
في حولها من آداب الأمم الأخرى ما يكفي طلابها ويسد حاجتها، حيث  
رويت بحكم موقعها الجغرافي وقدر التاريخ في ذلك العهد  
فضلاً عن السياسي، وما كان من التحام فلسطين بمصر منذ أقدم العصور  
حولها الإمبراطورية المصرية على عهد الدولة الحديثة.  
عبرانيون إلى الأخذ والاقتباس عن مصر والمصريين، وقد  
العهد القديم فصولاً عبرية منقولة عن فصول مصرية، أو عبارات وأخيلة  
مصرية متغلغلة في تضاعيف النصوص العبرية وآيات العهد القديم.  
وسنضرب الأمثال من هذا وذاك ونبدأ بمقارنة فصول من سفر  
أناشيد أختاتون ومن بعدها مقارنة سفر الأمثال بحكمة أمن م أوبه.

(١) انظر فخر الضمير تأليف جيمس هنري برستد وترجمة سليم حسن صفحة ٢٩٨ وما  
بعدها حتى صفحة ٤٠٧، وكذلك انظر:

W. M. G. W. at Literature in Claville The Legacy of Egypt (1917) 66-79

Roland J. Williams. Some Egyptionisms in the Old Testament in Stuics in (٢)  
Honor of John A. Wilson (Chicago 1969) p. 93 ff.

نشد اخناتون	مزامير داود (١٠٤)
وفي الصباح، إذا أشرق في الأفق انكشف الظلام	وفي الصباح، إذا أشرق في الأفق انكشف الظلام
وإذا الناس يقومون على أقدامهم في العالم كله يؤدون أعمالهم ما أكثر أعمالك	وإذا الناس يقومون على أقدامهم في العالم كله يؤدون أعمالهم ما أكثر أعمالك
إنها خفية عن أنظار الناس	إنها خفية عن أنظار الناس
حققت الأرض كما تشاء	حققت الأرض كما تشاء
والسفن تجري في النهر صاعدة هابطة على سواء	والسفن تجري في النهر صاعدة هابطة على سواء
وسمك يشب في النهر أمامك	وسمك يشب في النهر أمامك
ويترك يمينه إلى قلب الأحقاد العظيم (البحر)	ويترك يمينه إلى قلب الأحقاد العظيم (البحر)

[illegible]



سفر الامثال لسليمان	حكم أمن م أوبة ونصائحه
أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله أمام سيدك يفت (٢٢: ٢٩)	إن الكاتب الماهر في وظيفته يجد نفسه جديراً بأن يكون من رجال البلاط 16-17 XXXVII
أرأيت رجلاً يأكل مع متمسلط فتأمل حوائطك تأملاً	لا تأكل خبزاً أمام عظيم ولا تكشف فاك أمامه
مع سيدك لحشدك إن كنت شرها. سنة أسيبه لأنها حيز أكاذيب (٢٣: ٢٤)	وإذا أشبعتك لقمة حرام فلما هي لذة لعابك. انظر إلى الوعاء الذي أمامك وعليك أن تجعله يكفيك 13-18 XXIII
أرأيت نصير عتياً من عن فصنتك (٢٣ : ٥)	لا تتعب طلباً للمزيد إذا كفيت حاجتك
أرأيت رجلاً جاداً ونسب هو لأنه ما يصنع لنفسه أجنحة	فإذا جلب إليك بالسرفه لم يبت معك، وفي الفجر لا يكون في بيتك انظر مكانه وليس هناك 14-18 IX
أرأيت رجلاً جاداً ونسب هو لأنه ما يصنع لنفسه أجنحة	لأنه إنما يصنع لنفسه أجنحة كالأوز يطير نحو السماء 4-5 X

ومن العبارات والأساليب البلاغية المصرية، التي اشرحت من بينهم  
وعنيتهم، ما نجدتها كثيرة عند العبريين، من ذلك ما نجد في سفر  
الخرج (١٣: ٢) من وصف بكر البنين بأنه فاتح رحم أمه، «فقدس لي كل  
بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل» وهي عبارة من أقدم العبارات  
مصرية، التي وردت في نصوص الأهرام. وما نجد في مراثي إرميا  
(٢٠: ٩) من وصف فريد للملك صدقيا بأنه «نفس أنوفنا» وهي عبارة  
مصرية شائعة في اللغة والفن نجدتها مثلاً فيما ورد عن أخناتون، من أنه  
«نفس كل الأنوف التي يتنفس بها الناس»، ولا شك أن مثل تلك  
العبارات التي تنطق عما كان لفرعون في عقيدة شعبه من طبيعة إلهية إنما  
تصدر من مصدر حياتهم وسعادتهم، وقد كانت وجدت مسيلها من قبل.  
على عهد الإمبراطورية، إلى فلسطين. إذ كتب أيما لكي وإلى مصر على  
صور، إلى مليكه أخناتون، يقول ممتدحاً: «ماذا تكون حياة امرئ لا تأتيه  
الأناس من فم سيده الملك». وفي رسالة أخرى كتب بصور فرعون بأنه  
«رب الشمس» الذي يمنح الحياة بنفسه الخلو» كدل كان من «داح» إلى  
«حتى بها رمسيس الثاني بأنه «نفس الحياة للناس أجمعين»، وفي نسخة  
«مريكارغ» عن أبيه من عصر الفترة الأولى، ورد عن إله الشمس «رب  
البحر خالق الرياح حتى تحيا أنوفهم»، وفي ترنيمة لرب الشمس «رب  
السيم لأنوفهم» وذلك فضلاً عما نرى في النصوص المصرية من مظاهر  
الآلهة وهي تقرب رمز الحياة من أنف الملك (شكل ٢٩)، وكذلك جاء  
في سفر التكوين (٢: ٧) «وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض وفتح  
في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية» كما روى عن أيوب قوله. (سفر  
أيوب ٣: ٢٧) «... ونفخة الله في أنفي».

ومن مألوف العبارات المصرية الخالصة التي تدل على ما يتخذ الإنسان



(الشكل ٢٩) إلهة شروت ومهر الحناء من ألف شروناري

من أسلوب حياته ما جاء في مراثي إرميا من قوله (٦٣: ٣) «انظر إلى  
 جد سبهم ووقوفهم»، وفي مزامير داود (١٣٩: ١) «يرتفع حسبي  
 ، مراثيتي، أنت عرفت جلوسى وفيامى، فهمت كل فكرى من بعيد  
 ، هى عبارة واردة فى نصوص الأهرام (سطر ٢١٩٨) أقدم مصادر الأدب  
 مصرى الدينى، حيث ينادى الملك: «يا وبس عشتى لسانى...  
 ، قم واقعد على ألف من الخبز والجمعة»، وعن كاجمنى من ا-  
 ليدنية أن أولاده بعد أن تنقوا نساخه «قاموا وقعدوا عليها»، أن أ-  
 عليها ولزموها فاتبعوها وساروا على منهجها، وفى صباح - ح-  
 ، دولة القدينة كذلك قوله: «قم واقعد على مكائتك»، ثم -  
 سلوك ما يتفق ومكائتك، وعن وخميرع وزير تختمس الساب -  
 مت وقعدت على الأمامى والخلفى من أمراس السفنة»، ثم -  
 من شغرا من حياته سفانا.

ومما ورد فى العبارات المصرية فى أسفار الشئى وأشعيا ما حيد -  
 ن لم يشبهوا إلى مصدرها الأصيل، حتى كادوا يرغب صحتهم -  
 سسون لها التعديل<sup>(١)</sup> والتصحيح، إذ جاء فى سفر شعي (٥٥: ٥)  
 له: «حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص»، وقد كان مبع -  
 عوبة والخيرة تفرد معنى العبارة فى هذا الموضع من «المبند القائم  
 واختلافه عما ذكر فى المزامير مجازاً من أن يهوه يحجب نفسه (١٠: ١٠)  
 (٤٧: ٨٩) وذلك بمعنى امتناعه عن بذل العون، إذا ما دعى، حيث نجد  
 عبارة المزامير أدبى إلى الشكوى من أن الرب قد حجب وجهه عن  
 الشاكى، ولذلك فإن المعنى من عبارة أشعيا إنما ندركه من النظر فى

(١) J. William (In Wilson Studies)

لأدب المصري حيث تسود عقيدة الخفى الغامض، كان آمون عند  
 القدماء المصريين اسم «الخطئ» وقد ورد عنه فيما ورد من  
 نصوص الفاهرة أنه «اختفى اسمه عن بنيهِ في اسمه هذا آمون»<sup>(١)</sup>،  
 ردية من منتصف القرن الثالث عشر من قبل مولد المسيح، يُمتدح  
 من حيث هو قوة خفية تسود كل شيء: «آمون الوحيد الذى يخفى  
 عن الأرباب، ولا يعرف سرُّ طبيعته هو أبعد من الشمس وأعظم  
 من السفلى»<sup>(٢)</sup> وكذلك جاء عن رع فى تعاليم مريكارع: «لقد  
 غير نفسه العلبيم بالخلألق».

أخرى من سفر أشعيا (٢: ٥٤) واضح أنها مستمدة من  
 «أوسعى مكان خيمتك» إذ هى من العبارات المألوفة  
 فى مصدر المصرية منذ الدولة القديمة، كما جاء عن كاجمنى  
 حب مكان السعيد، كناية عن حرية السعيد فى الوصول حيث  
 يريد. يتاح حطب «رحب مكان المدعو»، ومن عصر الدولة  
 الحديثة عن ستوهة فى منفاه أنه قال «رحب مكانى» بمعنى حرّيته فى  
 التنقل. من عهد حاشيسوت من الأسرة الثامنة عشرة عن  
 «رحب مكانى» بمعنى «رحب المكان فى بيت الحياة»، أى  
 «رحب مكانى» أى «رحب مكانى» ويؤكد تحتمس الثالث فى نصونه  
 «رحب مكانى» أى «رحب مكانى» حتى أوسع أمكنة خالقي، وقريب من  
 «رحب مكانى» أى «رحب مكانى» بمعنى حرية الحركة والتقدم  
 «رحب مكانى» أى «رحب مكانى» فى متون الأهرام فى وصف الولد

ibid (١)

ibid (٢)

على سبيل المثال بأنه وسبعة خطاه<sup>(١)</sup>، وفى أبيدوس يتوجه ومسيس  
 لثانى بالخطاب إلى أبيه سبتى الأول فيقول: «خطاك وسبعة فى تعاليم  
 السفلى»<sup>(٢)</sup>، وذلك فضلا عما نجد فى بردية أنسطاسى من الدولة الحديثة  
 من عبارة «وسيع الخطئ فى المكان السرى»<sup>(٣)</sup>، ومن العصر البطلمي  
 قولهم: «كانت خطاي وسبعة من أجلك فى القصر»<sup>(٤)</sup>، وقد جاء  
 هذه العبارة بنصها سيلاً إلى آداب الكتاب المقدس، فيقول مزمويد  
 مرتين فى العهد القديم «توسع خطواتى» (٣٦: ٨)، وفى آخر نُسب فى  
 الرحب رجلى» (٨: ٣١) على حين ورد المعنى معكوساً فى سفر الأمثال  
 (١٢: ٤) «إذا سرت فلا تضيق خطواتك، وإذا سمعت فلا تعثر»، وفى  
 سفر أيوب (٧: ١٨) «تقصر خطوات قوته وتصرعه مشورته».

وبعد فما زال فى العهد القديم من مثل ذلك كثير، وذلك فضلا عما  
 فيه من عبارات أخذت عن الحياة الدينية فى مصر وعن تصاويرها.  
 من ذلك ما جاء فى سفر الأمثال «والرب وازن القلوب»<sup>(١)</sup>،  
 ولا يفهم وازن القلوب» (١٢: ٢٤)، وتلك عبارة لاشك فى مصدرها  
 عن الديانة المصرية، يوم انفردت فى الشرق القديم، من دول ما بين  
 من عقائد بقولها: إن الإله يزن قلب الإنسان، وقد كان ذلك بحرين  
 بدى أوسير فى الآخرة، حيث حفظت من مناظر القبور وتصاوير كتاب

Pyr. 886 c; cf. 2123 c, 917 c.

(٢) H. Gauthier, La Grande Inscription Dedicatoire d'Abydos (Le Caire 1912), (٣) 1.91: Kitchen, Ramesside Inscriptions II p. 333 1.95.

Pap. Anastasi III, 2.

Sethe, Urkunden II 3 1.12.

(١)

(٣)

(٤)

مثلة كثيرة، كان قلب الميت فيها يوزن لقاء ريشة يكتب بها لفظ  
 الموت، ثم عبارة أخرى وردت في سفر ملاخي  
 ٢: ٢١، «ولكم أيها المتقون»  
 والشفاء في أجنحتها.

لما جاء بنا إلى الإفاضة في الحديث فيها بالتشبيه إلى  
 سبيحة، وكانت من الرموز المصرية التي لا يكاد يخلو  
 مدين في مصر، فإذا كان لنا أن نضيف فإنما نتحدث عن  
 آية، وقد وردت في الترجمات الإنجليزية<sup>(١)</sup>.  
 آية<sup>(٢)</sup>، بمعنى الحق والعدل، والقانون، والمساواة،  
 وتضمنها فيها اسم الالهة المصرية القديمة، ماعت رمز  
 وديتها جميعا وقد كانت بنت رب الشمس في مصر وتصور  
 (شكل ٣٠) ونسب في الحديث في العهد القديم عند  
 عدالة من شفاء، وما لها من أجنحة تشرق بها، إنما هو لا  
 ما كان في الحياة المصرية والديانة المصرية، وفنون التصوير

في تلك الفترة من بني إسرائيل من تلك النصوص  
 بما عشر عليه في السامرة من تصاوير فلسطينية الصنع مصرية  
 ذلك في خرائب قصر الملوك من بني إسرائيل، حيث



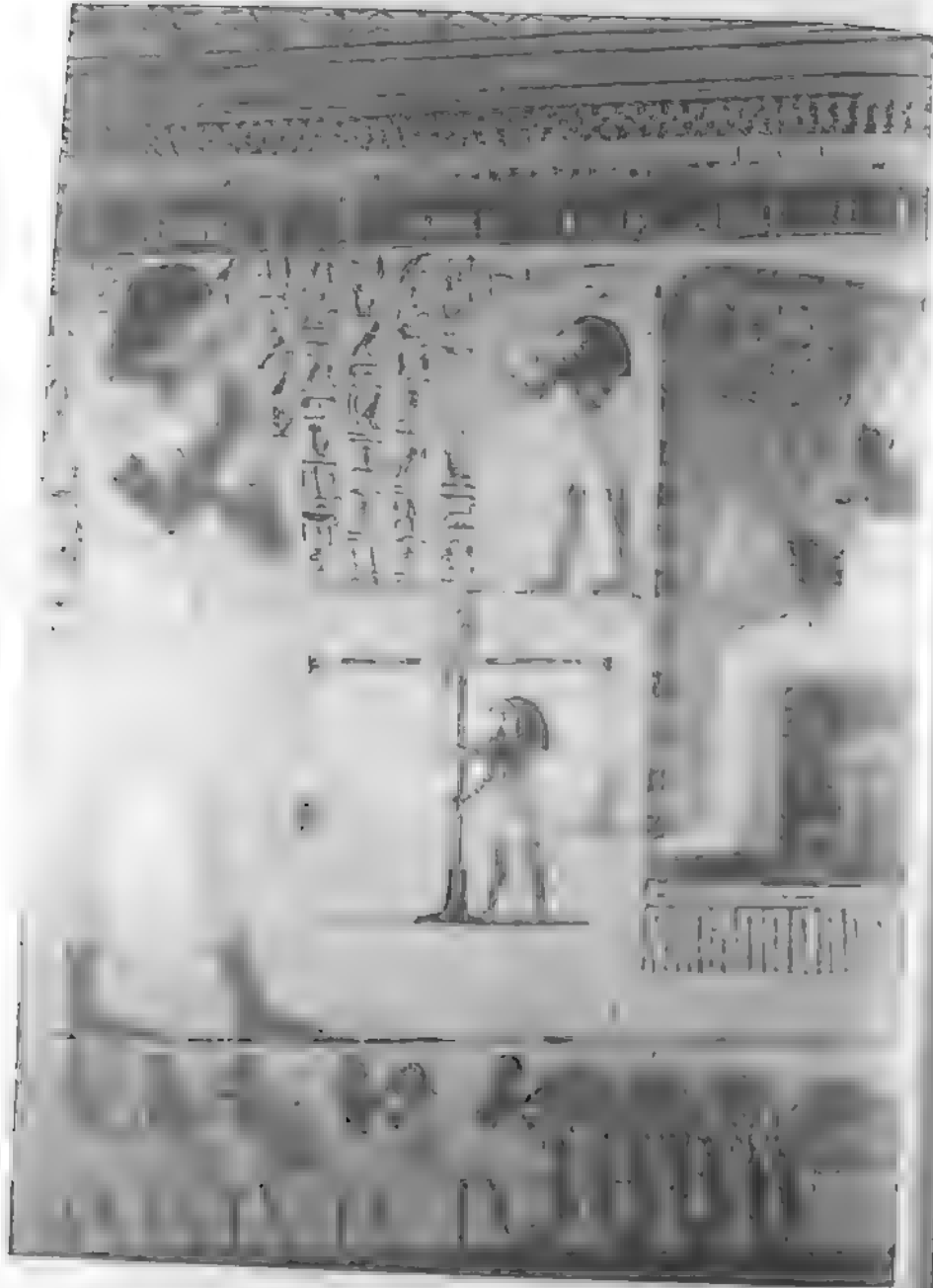
(شكل ٣٠) ماعت وبة العدل مجنحة

... من بعض ما كانت تطعم به قطع الأثاث من ألواح العاج  
... ما منظر لبعض ما عبدوا رباً للشمس، اتخذوه في  
... مصرى، إنساناً برأس صقر متوج بقرص الشمس،  
... الحق والعدل وربتهما ماعت المصرية، وفي  
... حرير حراد مسعفاً من زهرة من زهور  
... نبتة، ونبت حث، في صورة حائل  
... (١٣٢)

مع تلك العبادات والعقائد الوثنية منذ عهد باكر في  
... أن صاحب سفر الملوك الثانى بعد الذى  
... مروق وردة إلى الكفر والوثنية (إصحاح  
... حية من نحاس ظل بنو إسرائيل  
... حتى أزالها وسحقها حزقيا بن آحاز ملك  
... وكسر التماثيل، وقطع السوارى، وسحق  
... لموسى، لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام  
... (الملوك الثانى : ١٨-٤٠)

يقول : إن الحية إنما كانت من مصر، حيث اتخذت  
... ما قدس المصريون من إناث المعبودات، ورمزوا بها

... حل ما يستحق الذكر عادات مصرية خرج بها بنو إسرائيل من  
... فتحدث سعد مقدسة في ملة اليهود، إذ خرجوا بعبادة الختان،  
... الغسل من الخنا، ويظهر الوالدة بعد أن تضع حملها، ثم المحرقات،  
... أو تصعيد ذبائح القربان بالحريق.



(شكل ٣١) ميزان الأعمال في الآخرة

كان معروفا منذ أقدم العصور حيث كشف عما يدل عليه  
حداثة فجر التاريخ من قبل أربعة آلاف عام من قبل  
... جسم بلغم من حفظها أن أمكن فحصها  
... حان، وذلك فضلا عن صورة لجراحة الختان  
... في مصر غنح مع حور بسقارة، وكان من أطباء الأسرة  
... الخديشة بالكرنك، وظاهر من أخبار التوراة  
... لم يخن إلا بعد عودته من مصر وإنجابه

وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان  
... سنة حين ختن في لحم غرلته في ذلك اليوم  
(تكوين ١٧ : ٢٤-٢٦)

... بنو إسرائيل في مصر يختنون أجمعين لأن  
... كانوا مختونين» (يشوع ٥ : ٤).

... خبر الختان في التوراة، أنه كان يجرى بأداة من  
... قد بدعوا صنع أسلحتهم وسكاكينهم من  
... ثم لم يلبث السكين نفسه ولو كان من  
... وإن كان كتاب التوراة قد ظلوا يترجمون عن  
... معنى أصيل (يشوع ٥ : ٢-٥).

... الخديشة فندد عليه ما روينا من قصة الكاهن الذي  
... وهو يغتسل في بحيرة دارها<sup>(١)</sup>، وكان المصريون

(١) Lefebvre, op. cit. p. 76

بحرصون أشد الحرص على الاغتسال قبل دخول المعابد أو القبور،  
ويحذرون من دخولها أقصى غاية الحذر على غير تطهر<sup>(١)</sup>، وكذلك كان  
على المصرية التطهر إذا وضعت حملها بعد أربعة عشر يوما من التباعد  
كما تحدثت بذلك بردية وستكار عن تطهر ودجنت في أعقاب و...  
نوائمها الثلاثة<sup>(٢)</sup>، وكذلك فعل العبريون، لولا أنهم نزلوا بتلك الفترة  
إلى النصف إذا وضعت غلاما:

... حبلت امرأة وولدت ذكرا، تكون نجاسة سبعة أيام، كما في ...  
... تكون نجاسة، وفي اليوم الثامن يخن لحم غرله ...  
... ثلاثين يوما في دم تطهيرها، كل شيء مقدس لا تمس وإلى المقدس  
... حتى تكمل أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجاسة أسبوعين  
... طمئنها ... (لاويين ١٢ : ٢-٥).

وفي سفر الخروج توصية من موسى - من قبل نزول الشريعة - «وفار  
للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة» (خروج ١٩ : ١٥)  
وكذلك في سفر صمويل الأول نجد داود وهو يتساءل عن إمكان أكله  
من الخبز المقدس فيقول:

«ألم تنسجبن النساء منذ ثلاثة أيام... فكل رجائي صفر»  
(صمويل الأول ٢١ : ٤-٥)

أما المحرقة أو الصعيدة فكانت من أهم ما أخذ اليهود عن المصريين من  
شعائر، وكان المصريون منذ الدولة القديمة يصعدون القربان في شعائرهم

(١) Urk I 49, 122, 173.

(٢) Lefebvre, op. cit. p. 89.

الجزيرة<sup>(١)</sup> والتعبدية، فقد عهدنا تلك الشعيرة التي يسمونها «سين  
سجت» في قبر سنسب بالجيزة وفي قبر من بالأقصر أو شكرا للأرباب  
خرجوا مثلاً إلى سفر وقد قدم البحار العريق الذي حطمت لأنه  
سفينة، ثم ألقته الأمواج على شاطئ جزيرة منعزلة في البحر الأحمر  
ذلك، فأقام محرقة<sup>(٢)</sup>، وكانت شعائر المحرقة عند اليهود تقضى بتقليد  
ذبيحة تحرق في الصباح وأخرى في المساء<sup>(٣)</sup>، وكذلك كان المصريون من  
قبل يفعلون<sup>(٤)</sup>.

(١) H. Das Brandopfer im Totenkult in Miscellanea Gregoriana (1941) 11.

(٢) LeFebvre, op. cit. p. 34.

(٣) سفر الخروج ٢٩: ٢٨ ثم انظر: حسن فاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه  
(القاهرة ١٩٧١) ص ٨٦-٨٧.

(٤) Pyr. 716 a, b; 1876 a, b; Wild, Le Tombeau de Ti (M.I.F.A.O.) I pl. L; Mac-ramallah, Le Mastaba d' Idout p. 22 pl. XIX.



شكر (٣٢) قطع إسرائيلية من عاج عليها صور الأرباب المصرية





رءوسهم، فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله،  
يعنى قبض مصر.

وأخرج ابن عبد الحكم عن طريق ابن سالم الجيشاني وسفيان بن  
عبد الله عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أخبره، أنه سمع رسول الله  
ﷺ يقول: «من استكونون أجناداً وخير أجنادكم أهل المغرب منكم،  
الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر».

وأخرج ابن عبد الحكم عن مسلم بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:  
«من قتل قبطاً خيراً فإياكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال

أخرج ابن عبد الحكم عن موسى بن أبي أيوب الياقني عن رجل من  
أهل مكة أن رسول الله ﷺ مرض، فأغمى عليه، ثم أفاق، فقال:  
«من قتل قبطاً خيراً فإياكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال»  
فقال قبط مصر، فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم  
فقال حتى ديمكم، فقلوا كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول  
الله؟ فقال يكفونكم أعمال الدنيا وتفرغون للعبادة، فالراضي بما يؤتى  
منه لا يدخل به، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمستتره عنهم».

وأخرج ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة قال: حدثني عمر مولى عفرة،  
رسول الله ﷺ قال: «الله في أهل الذمة، أهل المدرة السود  
نسجهم، جعاد فإن لهم سباً وصهراً»، قال عمر مولى عفرة صهرهم إن  
رسول الله ﷺ تسرى منهم، وسبهم أن أم إسماعيل عليه السلام  
منهم، فأخبرني ابن لهيعة أن أم إسماعيل هاجر من أم العرب.

وقال إمام ابن عبد الحكم، حدثنا عمر بن صالح أخبرنا مرداني  
التصاص قال: صاهر القبط من الأنبياء ثلاثة، إبراهيم عليه الصلاة  
والسلام تسرى هاجر، ويوسف عليه الصلاة والسلام تزوج سبط  
عين شمس، ورسول الله ﷺ تسرى مارية.

وأخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس أهدى  
إلى النبي ﷺ عسلاً من عسل بنها فأعجب به النبي ﷺ فدعا في عسل  
بنها بالبركة، مرسل حسن الإسناد.

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت  
رسول الله ﷺ يقول: إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها حياً  
وسنت خير أجناد الأرض، فقال ولم يا رسول الله؟ قال لأنهم يأتونكم  
في رباط إلى يوم القيامة.

### القبط:

تحدث رسول الله ﷺ، كما تحدث مؤرخو عصره عن المصريين  
القبط والأقباط، ومن ذلك اللفظ كان اسمها الذي عرفت به عند  
الإغريق والرومان، ثم عند الأوروبيين من بعد ذلك أجمعين. ولم يكن  
لأسمهم هذا من دلالة على ما كانوا يتحلون من ملة أو يعتنقون من دين،  
فكل من فيها ومن كان فيها قبط، وأقباط، ولم يكن ذلك لفظاً  
نصحيحاً لاسم من أسماء مدينتهم منف التي كانت في مصر عصمة  
كبرى من عواصم الدنيا والدين، حيث شأ فيها له يودهم بتاح معبد  
عظيم عرف باسم حت كابتاح بمعنى دار روح بتاح. بلغ من الرفعة وديوع

لمصريين ومن ساكنهم من الجاليات الأجنبية الكثيرة، أن  
على المدينة كلها، ثم على البلد كله، فإذا جف ثم مصر كلها  
... .. ومه كان إسجيتوس وقط ثم إيحيث  
... .. وقباط من قبل الإسلام ومن بعد  
... .. وهم كذلك سواء من أقام على ملة المسيح أو دخل في دين  
... .. ولا فرق بين أن يقال مصري وقبطي إلا كالفرق بين القول  
... .. أو كالفريق بين النسبة إلى  
... .. أو بلاد النهرين Mesopotamia.

ومبني يكن من سند ما أوردنا من أحاديث رسول الله ﷺ في أهل  
... .. من كبار علماء المسلمين المفسرين، فهي تتناول  
... .. من أحداث التاريخ وأحوال  
... ..

ثاني: أنهم يكونون قوة وبلاغاً إلى عدوهم.

الثالث: أنهم خير الأجناد وأنهم يكونون على قتال عدوهم نعم

وهي من الحقائق الناصعات التي صدقتها وقائع الأحداث وأثبتها  
لتاريخ على مر القرون والعصور.

فهم - فيما روى عنه ﷺ للعرب أخوال وأصهار فمنهم هاجر، أو  
... .. ولا حاجة بنا إلى التفصيل

فيما أسلفناه وفصلناه، ومنهم مارية القبطية التي تسراها، وأنجب منها  
إبراهيم محمد رسول الله ﷺ.

ومع ذلك فلم يكن المصري قصي العرق من العربي في غابر الأعوام،  
ولا حاضر الأيام، فلقد شهدت العصور الأولى من فجر التاريخ شعوباً  
وطوناً عربية، أو سامية كما تسمى في المراجع، تنطلق من قلب الجزيرة  
العربية كلها كل منطلق إلى مواقع الخصب والاستقرار، فمنهم من استقر  
في أرض الفراتين فكانوا من أصول العراقيين أكديين وبابليين، ... ..  
أقام في أرض الشام فكانوا من أرومة السوريين واللبنانيين ... ..  
وفينيقيين. وآخرون أخذوا إلى أقصى الشرق من الجزيرة ... ..  
أقصى الجنوب منها عماتيين، وحضارمة، ويمانين. وآخرون ... ..  
فاجتازوا سيناء أو عبروا مضيق باب المندب إلى أرض مصر على ضفتي  
... .. أولئك وهؤلاء كانوا شعوباً وقبائل ... ..  
من أصل واحد ترد نسبته إلى سام بن نوح وينقسمون لغات ... ..  
معين واحد، وإن بعدت فيما بينها الشقة من بعد التفرق والاشعبات  
حيث كان التوطن والاستقرار.

ولم يكن لقبيلة يومئذ أن تؤثر نفسها - وكنه من أصل واحد ... ..  
عروبة دون غيرها من أهل بيت الأمصار أو هذه القبائل ... ..  
سلول العروبة، ولا معناها، قد ثبتنا بعد بني الرحود ... ..  
عرب حين من الدهر، كانوا يتكلمون فيه لغات ولغات تسمى ... ..  
بجمعها، إلا العرق والدم برغم عسر اشتغالهم بل عسر شرب ولينهم

(١) ديفيس في وصفه لشرقهم من ... ..  
(ترجمه واستكملة نؤاد حسنين على) ص ٢٧.

ولم تكن لغة السبثيين والحميريين في أقصى جنوب الجزيرة العربية بأقرب من المصرية إلى البطية والآرامية في أقصى شمالها<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت اللغة المصرية القديمة لغة ذات صبغة سامية لا تخفى في بنائها ونسبها من أخطائها، فهي تقوم على الفعل الثلاثي الذي يصرف بثبوت منه اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة. وتتشابه فيها بنسب من منصلة والمنصلة بنظائرها في العربية والعبرية والآكدية والآرامية، والجعزية الحبشية والسبئية، ويثنى فيها الاسم فضلاً عن جمعه بل جمعه بالواو، كل ذلك فضلاً عن شبه لا يكاد يقع تحت حصر في الفاظ اللغة وكلماتها، فمنها ما يبدو صريحاً لا لبس فيه، ومنها ما هو مشتق من وراء القلب والتصحيف، أو تبدل المتشابه من الحروف<sup>(٢)</sup>.

فكما تأذن ربك بفتح مصر تحت راية الإسلام إذا بها بمن تغلغل فيها من عرب وأقبل عليها من أنصار القرآن، تنصهر بصهرهم وتستحيل عربية صريحة، بقلبها ولسانها، وإذا بها تنقاد لقدرها المقدور فتكون الإمام

على أن زعامتها لم تكن فريسة غضبتها، ولا غنيمة افترصتها من بني الآخرين، بل كانت أمراً منطقياً تنداعى إليه وقائع الأحداث. كانت حقائق العلوم وأفلاك النجوم؛ لذلك كانت وتكون في راحة من الأرض الزعيم وصانع الزعماء، ثم تكون وأهلها كما روي عن رسول الله ﷺ: نعم الأعوان، ولئن كان صلاح الدين الأيوبي زعيماً وبطلاً في العرب والمسلمين فما كان لزعامته أن تستقيم ويورى

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية.

(٢) انظر الملحق في آخر هذا الكتاب.

ربادها بغير مصر، وما كان لمحمد عليّ أوائل القرن الماضي أن يبلغ ما بلغ بعمر مصر، ومن قبله أدرك المعز لدين الله من عرشه في المغرب أن لا غناء فيما أراد لنفسه ولدولته. عن مصر. ولقد كان قوله في خطبته عند بعبه جوهراً لفتحها قولاً عن بصر وبصيرة وعن تقدير وتقدير إذ قال: أولسوف يفتح جوهراً مصر، وبينى هناك مدينة تقهر الدنيا.

### وقد فتحها وأنشأ القاهرة

ومع ذلك فلم تكن تلك لزعامه ادعاء منها فرضته أو ادعته على خلاف المنطق والأحداث، وحسبها من ذلك أن يرشحها لذلك الأعداء، بقروا لها به فيما صدروا عنه من فعل لمصلحتهم هم لا لمصلحتهم هي. وعند أدرك الصليبيون، أن لا مستقر لهم في الشرق باستقرار مصر، ولا بصر لهم يحقق لهم المطامع وفي مصر عرق ينبض بالمقاومة والصراع، فسم ببألوا أن تتحول حملاتهم عما خرجت له من بيت المقدس إلى مصر. لأنهم أدركوا أن لا مناص لهم - قبل كل شيء - من غنيمتهم من مصر. والقضاء على الروح المحركة، والقوة الدافعة<sup>(١)</sup>. أو أنهم أدركوا في أهلها - ما روي عن رسول الله صلوات الله عليه - قوة وبلاغاً إلى عدوهم. فتصدت لهجومهم بقيادة جان دي بريين على عهد الملك لودلف الأيوبي وخليفته الملك الكامل؛ ثم استقبلت حملة السلام التي أفرسها الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، ثم عادت فتصدت لحملة لويس التاسع المشهورة، على عهدي الصالح أيوب وابنه توران شاه، فشدت

(١) Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages (London 1914) p.218 (١)

كما منيما مثل الذي أراد، فجئحت مع من جئح إلى السلم وأذاقت  
من أراد بها الهوان.

أقارو الأعداء بتلك الزعامة واستشعارهم ما في طاقتها من  
مما في عصور صعقتها، ومحنها واضطرارها إلى الاستكانة حيناً،  
بغيره. فما خضعت لسلطان إلا وضع لحكمها نظاماً  
بغيره. يحل منها وبين التحلل من قيوده والتحرر منه  
بغيره. فمما أدى جيرانها بالعون والتأييد ثانياً.

وكذلك فعل الترك من آل عثمان، ومع ذلك  
بغيره. مهما طال الأمد أو بعدت الشقة، أن يعرقل برية الخالق  
يعطل مسير الزمان. فلقد ظلت وستظل من العرب بمنزلة  
تقتل من الجسم لمن أرادهم بمكروه. من أصابها أصابهم، ومن  
حسب حماها عزل عن جسم الرأس وشل مراكز الأعصاب.

وبعدت دبرت وتدبير دول المطامع في العصر الحديث.

كانت أنامت بينها وبين أخواتها العربيات حائلاً من أحقاد  
مسيونية وأطماعها. ولكن هيئات هيئات. مهما طال الأمد أو بعدت  
شقة. أن يعرقل برية الخالق إنسان أو يعطل مسير الزمان.

ومع ذلك فهل يدرك الإخوة العرب اليوم أن الأوان للعمل قد آن؟  
سأله من قولة عظيم من عواهل العرب المحدثين هو «الرائد»  
الودود عبدالعزيز آل سعود قال:

«صالح العرب بصالح مصر»

إذا استقامت أمور مصر استقاموا

وإن أصابها. لا قدر الله. العوج ضلوا الطريق<sup>(١)</sup>

وفضلاً عن ذلك فلم يبعد بنا العهد عام ١٩٥٦ بمن قال من سياسة  
فرسان يومئذ: «إن معركة الجزائر إنما تقاتل في القاهرة». فست من حمرة  
أحقاق لا رية ولا مراة.

وحسبها وقد اختلطت بالعقول والأحاسيس، فاستبدت  
حكيم من عواهل الشرق، وأريب من سياسة الغرب، ويقول بغيره:  
«مصر شاعر، ترجم بها عن حسن كل عربي يستطيع الفهم».  
في الأسواق:

أنا إن قـدر الإله مما تـرى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى  
ولقد لقيت مصر ما لقيت بحكم ما احتملت من كفالة فُرِضت عيب  
بما جبلت عليه من خلقها وخليقتها، ولم تجد عنها شهامة والتماساً في  
مسيل أخواتها. مصرقاً، وإدراكاً منها مع ذلك أنها وأخواتها كمثل الجسد  
إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

وصدق رسول الله ﷺ بما روى عنه من قوله فيها:

«فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك خير أجناد الأرض»

«فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم»

«ويكونون لكم عدة وأعراناً في مسيل الله»

ولقد مكن الله لها ذلك، بما توفر لها من أموال وبنين، وبما حباها به

(١) عن محمد حنين هيكل في مقاله بصراحة بصحيفة الأهرام يوم الجمعة ٢٢  
ديسمبر ١٩٧٢.

ونزعناهم الناس من قاييل وهابيل . ولذلك فهم كما قال " في رباط إلى  
يوم القيامة " ، ولا غرو يكونون لذلك خير أجناد الأرض .

وهم مع ما جبلوا عليه من القوة والدأب قد امتازوا كذلك بقوة تهون  
معها قوة العضل ، وبأس الحديد .

تلك هي :

### قوة الإيمان

إيمان بربه هون عليه الموت حيث أنكر الموت ، فما رآه إلا مجازاً إلى  
حياة الخلود .

إيمان أقام في نفسه على اختلاف الملل والنحل على لقرون وعصور  
من نحلة "أوسير" وحوور بن ايسة إلى ملة عيسى بن مريم . أي من  
الإسلام فهو صائر بنص هذه أ ، تلك إلى حقول يارو ، أو الحياة الأبدية أو  
جنات عدن تجري من تحتها الأنهار .

ثم إيمان بوطنه الذي تخيل فردوس الآخرة على صورته ، أو إيمان  
بلاده "أم الدنيا" ، ولذلك فهو يلقى مصيره وأقداره مقبلاً غير مسرور .  
ولذلك فهو وآله من قبل في رباط ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله  
"ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم" ، فما نزل من محنة  
يتعرض لها العرب إلا كانت مصر صاحبة الكفل الأعظم فيما تختمل من  
تلك المحنة ، ثم صاحبة السهم الأكبر فيما تبذل لإبلاغهم النجاة  
والخلاص .

من حبات وعبون ، وزروع ومقام كريم ، فطوع لها المدد ، بل الأمداد من  
جند كثيف . وما زال في طوعها بالتنظيم والتسلح تجنيد خمسة آلاف  
للف من المقاتلة مدحجين . أولئك يتبعثون من أرض فرضت عليهم - مع  
جند ذئاب والمثارة والكدة والكفاح ، حيث نشأ المصري عاملاً بطنه  
بعضه . من مصر على مدى تاريخه القديم والحديث ، من الهرم العالي إلى  
البحر . ومن كفاح مع الهكسوس في هواة وشاروحان ، إلى  
جند الثالث في مجدو وقرقميش ، ومعارك ابنه امنحتب الثاني  
في دابية و لاويوت والنهرين ، ثم معارك رمسيس الثاني في  
البحر . من دابية وحلب ، ثم كفاح مع الصليبيين والمغول ، ثم الترك  
في دابية و لاويوت والصهيونيين . كفاح للرزق مع الأرض  
من دابية و لاويوت . وكفاح من أجل الأرض للدفاع عن الأرض .  
بمئات الأيام حينها بالبحر والسمود ، وبالهزيمة والانتصار ، ولك  
في هذا كله جلد دءوب قوى صبور ، فما تغشاه من محنة إلا تغلب عليها  
واحتازها ، وفرض نفسه عليها .

ونقد أقبل على مصر البطالة فحكموها ، وحرموا أهلها الجندية إلا  
خدماً معاونين ، فلما اضطر فيلوباتور إلى تجنيدهم ، حين اشتدت عليه  
ونازمت الأمور ، إذا بهم برغم طول عزلة عن الجندية يخوضون عام  
٢١٩ ق م . معركة هامة في رفح ، انتزعوا فيها من السليوكيين النصر  
س . . . . . ما في أعماقهم من قوة كامنة تنطلق ما أتيج لها التفجر  
والانطلاق .

لقد صدق الله تعالى : " فيما قدر لأهل هذا المصر من مصير ، كفاح  
لم ينقطع ، ولن ينقطع مادام في الأرض ، يضطرب فيها بغرائزهم

صغر دلى تحطمت عليها أمواج المغول وحجافل المغول  
ت، حين تدافعوا كالسيل العرم على العراق يدمرون  
حتى احمرت الأرض من دم العبد، واسود ماء دجلة من  
كانوا هم القوة التى أنقذت حضارة الإسلام من جند هولاء

خاضت ما شاء الله من معارك ضد حجافل الصليبيين، حيث  
بأن تخلقى المشرق ممن تستروا بالمسيح واعتصموا  
وشهدت لها صحائف الأيام بما بذلت في  
تد فى عكا وأرواد. لذلك فقد كتب  
قدمنا وتكرر أن يكونوا كما قال رسول  
وكم نقول نحن فى تأهب واستعداد. ولقد علمهم  
وما ينبغي أن ينسوا أنهم متصرفون ما أقاموا فى رباط متأهبين،  
سحبهم مستكين بالانحلاق وجهود النفس ساهرين، وأنهم  
معارضون إن أعرضوا وتركوا السلاح، أو أهملوا النضال والكفاح.  
نه إنها لهم وللغرب بدر أو أحد، أو هى الأحزاب أو حنين، لا  
ف. مهما بعدت الشقة أو قلب الزمان.

يمان ونظام بحفظان القوة ويأتیان بالنصر.

السج، معاء، وغرور وغدول، وتهريج ورياء، تجر الهزيمة  
رباط اليوم بغير العزم الذى لا غناء عنه فهو  
اليوم، صنو الحياة والأنفاس.

ولا رباط اليوم بغير رزقنا نكسبه، وطعامنا كله نتجبه، وسلاحنا مهما  
غلا تصنعه فلا نكف فى سبيله وعوداً قد لا تجاوز الشفاء.

لقد كانوا وما زالوا خير أجناد الأرض منذ عصور الفراعين حتى هذا  
الجيل من أبنائها المحدثين.

ولقد أثبتوا للبطالة فى موقعة رفح بعد طول حرمان من الجندية، أنهم  
جنود محاربون وأثبتوا تحت محمد على كيف يغلبون الترك، ويهرون  
لأوروبيين ويروعون.

ومع ذلك، فقد لا تبدو شجاعة الشجاع ولا صلابته فى معارك الظفر  
لا انتصار، بقدر ظهورها فى محن الهزيمة والانكسار. وليس فى  
سريخ، كيف قاتل القلة من أبنائنا فى بعض بقع سيناء عام ١٩٥٦.  
وكيف قاتلوا برغم حلول النكسة عام ١٩٦٧، وهامهم يتصرفون  
ويروعون عام ١٩٧٣.

هم خير أجناد الأرض مطبوعين. فلتعهدهم بشرط القدوة بالثرية  
وعليم صانعين، ولنعد إلى ما روى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فى أهل مصر، «فإنهم قوة وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله»، ولقد اختار  
هذا الوصف بأنهم هم القوة لأن القوة جوهر فى ذاتها. تمثل فى  
ويست صفة عارضة تنسب إليهم يوماً وتتفى عنهم فى غيره من الأيام.  
ولقد كان المصريون قوة تفجرت عنها، وانطلقت منها ما تسامعت به  
أجيال من بعد أجيال.

على أن التأمل لا يحتاج إلى النظر وإمعان الفكرة فى قوة القوى  
نقى أو أراد.

وإنما تمتحن القوة إذا اعتورتها المحن المدلهمة والمصائب الشداد. ولقد  
عرفت فى المصريين القوة بما ركب فى طبيعتهم ورسخ فى أعماقهم من  
قدرة على المقاومة والصمود.

هم قوة بما جبلوا عليه من المصابرة والعناد.  
فلا مدد لإرادتهم بغير إرادتهم، ولو وقع الإكراه من أهل التجبر

لم يستطع احناتون حملهم على التوحيد، من حيث رفضوه. كما لم  
تفان حملهم على الكفر، إذ كرهوه واستكروه.

مع الأول تعرضهم لعسف واستبداد

سبياد

نظفان تحينا للمصدام والصراع.

ية على غير طاعة ولا انصياع.

سنة الهكسوس فأقاموا فيهم نيفا وقرنا من الزمان متسلطين  
ن يتحينون الفرصة أيقاظا ساهرين.

خرجوا عليهم خروج العازم المنتقم الذي لا يرضى

الحماء، ووقف الشعب من وراء حماته وأجناده يبذل عن

عنة سحاء، ولا يبالي بغير غايته ومبتغاه.

خدعهم البطالة عن أنفسهم، ولا دينهم، فأقاموا على المقاومة

بهم بممنوا إلى دين أخرجه لهم وابتدعوه، وإن استند إلى

مضى ما آمنوا به واتبعوه، بل أقاموا على إنشاء المعابد ورعاية الهياكل

من لند شحاهيرودوت من المصري اشمترازه من الإغريق

Herodotus, Histories, Book II, 41 (Penguin p. 118) (١)

أن يقبله أو يصطنع أدواته أو يشرب من إنائه<sup>(١)</sup>، وفي ذلك مظهر من  
أشد مظاهر المقاطعة للطارئ والترفع على الدخيل. ومع ذلك فقد  
أخذت حضارة الغالب عن حضارة المغلوب واعترف فلاسفة الإغريق  
بحكمة المصريين، وغزا دين المصريين قلوب اليونان والرومان أجمعين

وأقبل الفاطميون يحملون مع الإسلام مذهباً في التشيع لم يرتضوه  
ولم يسيغوه، ثم زالت سلطتهم، وانحسرت دولتهم، فما تركوا في  
مصر من شيعي واحد.

وقد تبين صلابة المصريين وعنادهم، مما اتبع الفاطميون في سبل نشر  
المذهب قرنين كاملين، من دعوة منظمة تولاهما مع داعي الدعاة سيف  
المعز وذهبه، وتولته بطائته وأنصاره، وتغلغلت الدعوة في المجتمع  
مواكب وأعيادا ومآدب وحفلات، وأخباراً كثيرة عن كرامات  
ومعجزات. بل كان للدعوة مدخلها المقبول اللطيف إلى نفوس الناس  
وهي تدعو إلى إجلال آل بيت رسول الله ﷺ، وقد أغرم المصريون،  
وما زالوا بآل البيت وإجلال آل البيت. بل إن حب آل البيت لمقيم في  
النفوس راسخ في القلوب، وما زال من المصريين من يشرف ويفخر بنسبه  
إلى ابن بنت رسول الله ﷺ.

على دين واحد كان الحاكم والمحكوم.

وعلى رأي واحد في حب آل البيت، وإجلال آل البيت، كان الحاكم  
ولمحكوم. فأما أن يتعدى الحب والإجلال إلى ما ليس له به علم قتلك  
حدود الصدوف ومواقع الوقوف.

Herodotus, Histories, Book II, 41 (Penguin p. 118) (١)

لذلك فما تلبث تلك الأفواج التركية أن تدخل فيمتصهم كعادتهم  
المصريون، ويهضمهم المصريون. يمتصونهم بشرا وإخوة ويهضمونهم  
سبا وصهرا، بغير سيادة مقحمة أو استعلاء مزعوم. ويقيم المصري على  
عنازله بنفسه وتقدير ثقافته وحضارته، فلا يشير استعلاء التركي من إلا  
لسخرية المريرة والضحك العريض، فإذا زال السلطان التركي لم يترك  
في المجتمع المصري إلا ما يتركه الماء الصافي على الجلاميد الملساء. ولا  
تركية ولا عثمانلية.

قبل على مصر الترك من آل عثمان:

لث حملوا راية الإسلام على مذهب السنة فلا خلاف في المذهب

سقط فحشر فتادى، فقال أنا سلطان البرين وخاقان  
حامي حمى الحرمين، وأنا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

لث سى المصريين أفواجا يزعمون لأنفسهم تفوقا لا أدري.  
كيف كسبوه، وما كسبوه بالحق وما برهنوه. فكل  
مذهبهم تركي وعثمانلي، وأسلامبولي أو اسطمبولي. وغير  
في ميرنيهم «فلاح» أو من فلاح «خير سيس».

لث نجت قوة المصرية في المصريين كأروع ما تكون قوة الإحساس  
والإحساس بمكانته من حضارة الإنسان من قديم الزمان، ذلك  
قادر على أن يميز الطبل الأجوف ولو دوى دوى الرعود، والومض  
ف يذهب بالأبصار. أقبل التركي باسم الخلافة  
والإسلام. ولكن المصري بحسه المرفف وحكمته العريفة، قد فرق بين  
دعوة الإسلام السمحة وبين التسلط المرفوض في الحكم المرفوض.  
واتخذ سياسة من أدق ما اتخذ إنسان من سياسة وأبرعها مسلكا. كره  
تخلى في نفسه ومسلاته، وحالفه وقاومه، ولكنه حالفه على قوى  
البغى الأوروبي واستعمار الغاصبين.

لذلك فما تلبث تلك الأفواج التركية أن تدخل فيمتصهم كعادتهم  
المصريون، ويهضمهم المصريون. يمتصونهم بشرا وإخوة ويهضمونهم  
سبا وصهرا، بغير سيادة مقحمة أو استعلاء مزعوم. ويقيم المصري على  
عنازله بنفسه وتقدير ثقافته وحضارته، فلا يشير استعلاء التركي من إلا  
لسخرية المريرة والضحك العريض، فإذا زال السلطان التركي لم يترك  
في المجتمع المصري إلا ما يتركه الماء الصافي على الجلاميد الملساء. ولا  
تركية ولا عثمانلية.

وقد شاء نابليون أن يوطئ لأحلامه في مصر بما شاء أب يزعم ويدعي  
من المزاغم والدعائيات، فما كان جواب قومها إلا ثورة القاهرة الأولى.  
وثورتها الثانية، ثم مقتل كليبر خليفته فيها وضابطه الكبير.

وقد يبدو للمخدوع وصاحب النظر السطحي أن المصريين يحدسون  
عن أمرهم حيث يراهم كأنما أيدوا السلطان الجائر ونصروه، وتعشروا  
عن سلاح عحيب من أسلحة الخذلان والتضليل عرفوه واتبعوه. ذلكم  
هو سلاح السلبية والإهمال. وما عبر عنه شوقي رحمه الله في قوله:

لقد أنلتك إذنا غير واعية ورب مستمع والقلب في صمم

ولعل في الدارج من أمثلتهم ما يصور أسلوبهم وصريقتهم. يقولون:  
ابق مع الكذاب إلى حد باب الدار، وهم يعلمون أن لا مصير  
للكذاب إلا الخذلان والبوار، وهي السياسة التي عبر عنها دمية العرب  
معوية بن أبي سفيان في قوله لابنه: «كل من حاول أن يخدعك،

(١) وكذلك كان حظ هيئة التحرير والاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي فيما بين عامي ١٩٥٢



فتخادعت له حتى بدغت منه مأربك فقد خدعته». لذلك فلا حرج  
عنده في الأحذ بنا أشاع الفاطميون من المراكب والأعياد، ثم لا خوض  
بذلك من الدعاوات والغيبيات، ومن عجب أن يتخذوا يوم  
الجمعة يوم حرل عند الشيعة. عيداً يأكلون فيه الحلوى وأطياب

مع ذلك فقد ركب في طبعهم ما لا أدرى أيحسب للمصريين، أم  
غيرهم. ذنكم هو طول الصبر وامتداد الأناة، كأنما طبع  
حدهم الصويل في أنفسهم مقياسه البعيدة الضاربة في أعماق القرون

من الإنجليز مصر كما احتلوا غيرها من أمصار العرب سنين،  
روايتها معهم لشذاذ الآفاق، وطلاب الثراء والنهازين،  
سببهم اليهود والإنجليز والفرنسيين والإيطاليين، والأرمن  
السين والمالطيين، ومالت إليهم طائفة من الممصرين والمتفرجين  
واندفعوا إلى ما لهؤلاء من مدارس لم تستقبل أبناءهم لوجه الله  
ولا لوجه العلم والحضارة مخلصين، «وإنما الأعمال بالنيات».

وقامت في القاهرة والإسكندرية ومدن القناة نواد بدت كأنها أو تكاد  
تحرّم على المصريين، بل كان على المصري إن شاء أن يدخلها. وسمح له  
ببعض بيعة غير لغته، ويتكلف غير طباعه، أو تنوشه. على الأقل  
لعيون. ثم لا طعام ولا شراب إلا باسمه الأجنبي وإلا تعرض المسكين  
للهوان وعد من أسفل سافلين.

ثم غشّت مصر بالآلاف من جنود الحلفاء في الحرب العالمية الثانية بين  
عام ١٩٣٩ و١٩٤٥. ونطق الخدم والباعة والعمال والتجار

بالإنجليزية، لا يكاد يخلو زقاق في مصر منها، ومع ذلك فقد بقي كنه  
ربداً على السطح لا يغوص أبداً إلى الأعماق، لأن في أعماق المصري  
من حضارته وثقته بنفسه ما يفنيه.

ثم انخسر حكم الأجنبي وتقلص نفوذه. وإذا بمصر على ديدنها  
وعهداها تحمل لواء الثقافة العربية والنهضة العربية في أرض العرب من  
الحلج إلى المحيط، وإذا بها من قوة الروح تتعقب آثار النسك لأحسن  
ولا تنقئ عليها ولا تذر، وتعود اللغة العربية والشمس العربية مسية  
حاضيتين صافيتين فلم تصف اللغة من تأثير الأجنبي في قصر عربي...  
ما صفت في مصر، فلا يتخذ المصري لفظاً من ألفاظ الحضارة...  
ومده عنه من لغته ما يفنيه، ولا يكاد يجد في لغته عن لأحسن...  
مقبولاً حتى ينصرف إليه. فلقد فضل لفظ السيارة والعربة...  
أو تومويل أو الموطر، وفضلا الشلاجة على التريبيدير والتكليف...  
بكديشن، وأولى به لذلك ألا ينصرف عن لفظ عربي يعرفه في شيء...  
أعجمي دخيل. فلم يجر لسانه. كما يجوى في غير مجتمعة لفظ حائش...  
أو فلاس بديلاً عن الكوب على سبيل المثال فإن أعورده التقد حديث...  
سسمى الحديث فبأنما ينطق أو يأخذ عن الأجنبي أخذاً مريباً...  
يشء من بضاعة، ينتقى منها ما يرضى ويختار. ولو قد تعاوت أصحاب...  
وإداعه وكتب المدارس مع المجمع اللغوي لصفّت اللغة العربية...  
وخلص اللسان العربي، في أقل من عشر سنين، مما ينبو عنها من غريب  
الأنفاظ، ولرددنا هجنة خطيرة عادت تهاجم لغتنا ونفوسنا. بعد فحاة  
الانفتاح العاصف، وما تدفق علينا من المستورد من أموال وبيع، وما  
تسرب إلينا مع مغريات هذا الجيل من طرائف<sup>(١)</sup>.

(١) يؤسفني ما تشبهه أجهزة الإعلام اليوم في اللغة العربية من أوتنة وعدات

ومهما يكن من شيء فقد أصبحت لهجة مصر العربية قياساً ونموذجاً  
للعرب المحدثين في الإسلام كما صارت لهجة قريش قياساً ونموذجاً  
للعرب الجاهلية قبل الإسلام.

\*\*\*

... لمحة من مصر ومن أهل مصر، فهل أتاك حديث مصر؟  
... ركنهما جبهة الحاكم، في صلف التجبر والغرور. إذ لا  
... لإرادتهم بغير إرادتهم ولو سلك سبيل الحيلة وبدا في مسح

... لإرادتهم بغير إرادتهم ولو سعى إليهم. واستجابت القلة.  
... الحذاب أو البارق من القناطير المقنطرة من الورق والعقيان.  
... عجلة الزمان وهم على ما هم عليه نعم الأعوام كما كانوا في

هم اليوم إنما يبذلون عن طوعية وإقبال، ويؤثرون على أنفسهم ولو  
... خصاصة. إذ يبذلون من علمهم وخبرتهم لإخوتهم ما عندهم  
... حيث تفتح مصر أبوابها لمن يقبل عليها يطلب العلم أو  
... أو يطلب الملجأ الهادئ أو المستقر الأمين، أو ترسل أبناءها بالعلم  
والخبرة ملبيين مسرعين، مهندسين ومعلمين، وقراء للقرآن أو عمالاً  
وصانعين. لأنهم آمنوا منذ القدم بعون إخوتهم وأشقائهم مخلصين.

ولقد أقبلت على مصر الشعوب في عصور قوتها وعصور ضعفها  
على سواء. لأنها كانت دائماً صاحبة شيء تعطيه أو شيء يراد، فليكن  
... ما تعطيه. وعندما مع العزة والقوة. ما يراد، ولا محالة كي  
يراد أن يبرأ من شبهة الزيف ويتنزه عن مظنة التمويه.

## خاتمة

وبعد ...

فتلك هي مصر وهذا شأنها وحظها من كتاب الله ومن سنة رسوله  
، وخلق بها لذلك أن يظل اسمها بعمل أبنائها خفاقاً في العالمين  
جذاباً للأقربين والأبعدين، لأنه اسم شاء الله أن يكون له مكانه من كتبه  
ومتزلته من أنبيائه ومرسله.

وتخفق له قلوب الناس على اختلاف الملل والنحل في المشرقين  
والمغربين، كلما قرءوا ما نزل من كتبهم، أو سمعوا السيرة من سير  
أنبيائهم. بل إن المورمون في أمريكا ليردون عقيدتهم إلى ما أوحى إلى  
نبهم جوزيف سميث عن البردى المصري باللسان المصري.

وإن الشعوب لتبذل النفس والنفس وتنفق جليل الأموال في مس  
إذاعة أسماء بلادها، وبث ثقافتها في العقول والأفئدة والشفاه.  
فكيف بنا ولصمر من جذور العقيدة سهم ينقل إلى سواد القلوب،  
وحنايا الصدور.

ولنا من ذلك رصيد لا شك ينمو ويتعظم ، إن تعهدناه وخلصناه من  
الشوائب ورعيانه .

تلك هي مصر وهذا قدرها .

ترى هل يتردد اسمها بعمل بينها قويا في النفوس

مخاف في الأعماق . .

### ملحق (١)

### أزمان الضراعين

#### عصر بداية الأسرات

(الأسرتان الأولى والثانية)

#### الدولة القديمة

الأسرة الثالثة

الأسرة الرابعة

الأسرة الخامسة

الأسرة السادسة

#### عصر الفترة الأولى

الأسرات ٧-١٠

#### الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة

الأسرة الثانية عشرة

٣٢٠٠-٢٧٧٨ ق.م

٢٧٧٨-٢٧٢٣ ق.م

٢٧٢٣-٢٥٦٣ ق.م

٢٥٦٣-٢٤٢٣ ق.م

٢٤٢٣-٢٢

٢٢٤٢-٢٠٦٠ ق.م

٢٠٦٠-٢٠٠٠ ق.م

٢٠٠٠-١٧٨٥ ق.م

عصر الفترة الثانية

الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

التيكسوس

الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

الأسرة التاسعة عشرة

١٧٨٥-١٦٨٠ ق.م

١٧٣٠-١٥٨٠ ق.م

١٥٨٠-١٣٢٠ ق.م

١٣٢٠-١٢٠٠ ق.م

١٢٩٨-١٢٣٢ ق.م

١٢٣٢-١٢٢٢ ق.م

١٢٢٢-١٢١٦ ق.م

ملحق (٢)

الضمائر المصرية والسامية

عربي	مصري	عبري	آرامي	أكدي	سني	حشي
أنا	أنا	أنا	أنا	أنا	أنا	أنا
أنت	أنت	أنت	أنت	أنت	أنت	أنت
هو	هو	هو	هو	هو	هو	هو
هي	هي	هي	هي	هي	هي	هي
نحن	نحن	نحن	نحن	نحن	نحن	نحن
أنتم	أنتم	أنتم	أنتم	أنتم	أنتم	أنتم
هم	هم	هم	هم	هم	هم	هم
هن	هن	هن	هن	هن	هن	هن

ثم انظر:

Fritzsche, Wörterbuch der Ägyptischen Sprache, VI, Teil III, C Verzeichnis der in den Haupttexten angeführten Wörter aus Semitischem und hamitischen Sprachen

Enders, Egypto-Semitic Studies (Leipzig 1930)

Gabree, Grundlagen der Ägyptischen Semitischen Wortverzeichnis (Herausgegeben von Heinrich Balcz) (Wien 1936)

## أهم المراجع العربية

القرآن الكريم

تفاسير القرآن الكريم

(أ) تفسير النسفي

(ب) تفسير البيضاوي

(ج) تفسير أبي السعود

(د) تفسير القرطبي

الكتاب المقدس

- أحمد بدوي وهرمن كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية (القاهرة ١٩٢٩)

- برستيد : فجر الضمير ترجمة سليم حسن .

- حسن فظا : الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه .

## المراجع الأجنبية

The Holy Bible  
The Jerusalem Bible (London 1967)  
Die Bibel  
La Sainte Bible

## الدوريات

Annales du Service des Antiquités de l'Egypte = ASA  
Journal of Egyptian Archaeology = JEA  
Revue d'Egyptologie.

## الكتب والبحوث

Aldred, C. The Jewels of the Pharaohs (London 1971).  
Baikie, The Amarna Age (London 1928).  
Barguet, La Stèle de la Famine à Séhel (le Caire 1953);  
Le Livre des Morts des Anciens Egyptien (Paris 1967).  
Barsanti- Gauthier, Stèles Trouvées à Oudi Es-Seboua (Nubie)  
ASA XI (1911) p.84 ff.

- دزيوتون وفاندييه : مصر - ترجمة عباس بيومي  
- دتلف نلسن وفرير هودل ورودو كاناكس وأدولف جرومان : التاريخ  
لعربي القديم - ترجمة - واستكملة فؤاد حسنين على (القاهرة ١٩٥٨).  
- مستينو موسكاتي : الحفائر السامية القديمة - ترجمة د. السيد يعقوب  
مكر

- حسن : مصر القديمة  
المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة)

د. عبد الله

د. صبح : التربية والتعليم في مصر القديمة.  
خيد ليومييه في مصر القديمة في عهد الرعامسة - ترجمة : عزير

- Christophe, L.**, La Carrière du Prince Merenptah et les trois Re-  
gence Ramesside ASA LI (1951) p.335 ff.
- Couyat - Montet**, Les Inscriptions Hiéroglyphiques et Hiératiques  
du Oudi Hammamat (le Caire 1912).
- Ember, A.**, Egypto - Semitic Studies (Leipzig 1930).
- Erichsen, W.** Papyrus Harris I (Bruxelles 1933).
- Erman**, Die Märchen des Papyrus Westcar (1890)  
Gespräch eines Lebensmüden mit Seiner Seele (Berlin 1896).  
The Ancient Egyptians. A sourcebook of their Writings (Trans-  
lated by Aylward M. Blackman (New York 1966).
- Gardiner**, The Admonitions of an Egyptian Sage (Leipzig 1909).  
Egyptian Grammar (Oxford 1973).  
Late Egyptian Miscellanies (Bruxelles 1937)  
Hieratic papyri in the British Museum Third Series, Chester  
Beatty gift (London 1935).  
The Instructions addressed to Kagemni and his Brethren JEA 32.
- Gardiner - Sethe**, Egyptian Letters to the Dead (London 1928)
- Gardiner - Peet - Cerny**, The Inscriptions of Sinai I- II (1952 -  
1955)
- Gardiner**, Egypt of the pharaohs (Oxford 1961).
- Gauthier**, La Grande Inscription Dedicatoire d'Abydos (le Caire  
1912)

- Blackman**, Middle Egyptian Stories (Bruxelles).
- Bonnet, H.**, Reallexikon der Ägyptischen Religionsgeschichte  
(Berlin 1971).
- Breasted**, Ancient Records of Egypt 5 Vols. (New York 1902)  
- Development of Religion and Thought in Ancient Egypt (London  
1912)  
- The Dawn of Conscience.  
- The Ras Shamra Statue of Sesortis - Onkh (Sv  
320, Paris 1935).
- Brugsch**, Die Biblischen Sieben Jahre der Hungersnot  
(1891).
- Budge**, The Book of the Dead (London 1905)
- Calice**, Grundlagen der Ägyptisch - Semitischen Sprachwissenschaft  
(Wien 1936).
- Caminos**, Late Egyptian Miscellanies (London 1939)
- Capart - Gardiner - Van de Valle**, New Light on the  
Tomb Robberies JEA XXII pp. 168 - 173 pl. X - XVI
- Cerny**, Papyrus Salt 124 (British Museum 1905)  
(1929)p.243 ff pls. xlii - xlvi.  
- Greek Etymology of the Name of Moses. ASA VI (1941)  
p.349 ff.  
- A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period  
(le Caire 1973).

- Macramalla, Le Mastaba d'Idout (le Caire 1935).
- Mariett, Abydos.
- Meinertzen, Nicoll's Birds of Egypt
- Möller, Hieratische Lesesücke II (Leipzig 1927)
- Montet, Le Drame d'Avaris (Paris 1941)
- \_ Tanis (Bruxelles 1947)
- \_ L'Egypte et la Bible (Neuchatel 1959)
- Naville, Pithom (London 1903)
- Noblecourt, Tutankamen (1963)
- Orley, A short History of the Hebrews (Cambridge 1932)
- Pet, F., The Great Tomb Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty (Oxford 1930)
- Petrie, A History of Egypt
- \_ Nebesheh and Defenneh
- Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (Princeton 1969)
- The Times Atlas of the Bible (London 1987).
- Poesner, G., Literature et Politique dans l'Egypte de la XII Dynastie (Paris 1956)
- \_ Le Conte de Neferkare et du General Sesene dans Revue d'Egyptologie II (1957) pp. 119 ff.

- \_ Livre des Rois (Le Caire 1907 - 1917) .
- Glanville, The Legacy of Egypt (Oxford 1947)
- \_ Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum Vol. II The Instructions of Onkhshashanky (London 1955)
- Hassan, A., Stöcke und Stäbe in Pharaonischen Ägypten bis zum Ende des Neuen Reiches (München - Berlin 1976)
- Hayes, A papyrus of the Late Middle Kingdom in the I Museum (Brooklyn 1955)
- \_ The Sceptre of Egypt (New York 1968)
- Helck, W., Urkunden der 18' Dynastie (Berlin 1955)
- Junker, H., Das Brandopfer im Totenkult (in Miscellanea (1941) pp. 109 - 119
- Kees, H., Ancient Egypt, A Cultural Topography (London 1932)
- Kitchen, Ramesside Inscriptions (Oxford 1975)
- Knutzon, . Die Tell el Amarna Tafeln.
- Lane - Poole, A History of Egypt in the Middle Ages (London 1914)
- Lange, H. O., Das Weisheitsbuch des Amenemope (Koblenz 1925).
- Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens de l'Époque pharaonique (Paris 1949).



Youssef. A.A., Merenptah's Fourth Year Text at Amada ASA  
LVIII (1964) p. 273 ff

Zivie A. P., La Tombe d'Un Officier de la XVIII Dyrastié a Saq-  
qara (Revue d'Egyptologie Tome 31(1979) pp.135 - 151

Tombes Rupestres de Falaise de Bubasteion à Saqqara(ASA  
LXIII, 1982).

Ranke, Die Ägyptischen Personenamen 2 Vols. (Glukstadt 1935  
1952)

Säve - Söderbergh, T.Agypten und Nubien (Lund 1941)

Sethe, Urkunden des alten Reiches (1980)

— Urkunden der 18 Dynastie

Hieroglyphische Urkunden der Griechisch- Römischen Z.

Stock, H., Studien zur Geschichte und Archaeologie der 1  
Dynastie Ägyptens (1942)

— Die Erste Zwischenzeit Ägyptens (1949)

Vandier, La Famine dans l'Egypte Ancienne (le Caire 19

Valbelle, D., Les Ouvriers de la Tomb, Deir Medine  
Ramesside (le Caire 1985)

Volten, A., Studien Zum Weisheitsbuch des Anu (K  
1937)

— Zwei altägyptische Politische Schriften (Kopenhagen 1945)

Whiston, The Life and Works of Flavius Josephus (Philadelphia  
1957)

Wild, Le Tombeau de Ti (le Caire 1953)

Williams (Ronald, F.) Some Egyptianisms in the Old Testament  
Studies in Honor of John A. Wilson (Chicago 1969) p. 93 ff.

## ثبت المحتوى

- ١ - مقصد الأنبياء ..... ٧  
مصر في القرآن ٨ - إبراهيم، هاجر، إسماعيل ٩ -  
يوسف ١١ - يسوع، مريم محمد ١١ .
- ٢ - إبراهيم ..... ١٣  
مجيئه إلى مصر - مصر وجيرانها ١٣ - المجاعات ١٣ -  
تخوم مصر وحراستها ١٤ - الأسرة الثانية عشرة، قافلة  
إييشاي، تاريخ مجيء إبراهيم ٢٠ - خوفه على سارة  
من ملك مصر، مسوغ خوفه، وهل به من حاجة إلى  
الخوف ٢٤ - هل كذب إبراهيم ٢٧ - اللغة المصرية تفسر  
شبهة الكذب ٢٩ - عدل المصريين وتقديس الحرمات  
٣٠ - فكر مصري شهده إبراهيم ٣٧ .
- ٣ - يوسف ..... ٣٩  
متى جاء إلى مصر ٣٩ - عزيز مصر واسمه وزوجته  
زليخا ومدلول اسميهما ٤١ - يوسف واثمار إخوته

٤٢، يوسف في مصر ٤٣ - الاتهام ودخوله السجن  
٤٥ - مجتمع الهكسوس ودلائل فساد ٤٧ - أدب  
المصريين القديم مرآة لخلقهم القويم ٤٩ - تفسير الأحلام  
في مصر ٥٧ - حلم مصر وتفسيره ٥٨ - مصر  
والمجاعات ٦٢ - يوسف على خزائن الأرض ٧٢ - بنو  
إسرائيل يتشارون من مصر ولقاؤهم يوسف ٧٣ -  
يوسف يكشف لهم عن شخصه ودعوة أبيه وإخوته  
إلى مصر ٨٠

٨٤ - موسى

٨٤ - إسرائيل وسكانهم في مصر، وثماؤهم وعددهم  
٨٤ - ملحمة من التاريخ ٨٧ - فرعون وبنو  
إسرائيل ١٠٢ - مولد موسى والقائه في السم ١٠٥ ،  
سم موسى ١٠٩ ، اسم هارون وأسماء يهودية مصرية  
١١٧ - المراجع في مصر، الإسرائيليون في المجتمع  
المصري ١١٢ - تربية موسى ١١٦ - غيبته عن العاصمة  
ودخولها على حين غفلة من أهلها ١٢٢ - مقتل المصري  
١٢٤ - القرار ١٢٨ - مدين ومقامه فيها، العودة والبعث  
١٢٩ - نعتا موسى ١٣٨ - لقاء فرعون ١٤٢ - الخروج  
١٥٢ - ما بعد العبور ١٦٠ - موطن بني إسرائيل في  
مصر وفرعون من القرآن ١٧١ - فرعون ١٧٤ - فأوقد  
لي يا هامان على الطين ١٧٩ - فرعون الخروج ١٨٣ .

١٩٨ ٥ - موسى والخضر

٣٠٤ ٦ - عيسى

٣٠٦ ٧ - الأرض

جنت ٢٠٩ - وزروع ٢١٥ - وعيون ٢٢٠ - وكنوز ٢٢٥  
- ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٣٤ .

٢٣٩ ٨ - حكماء وعلماء

الثقافة المصرية وثقافة الأنبياء ٢٤١ ، في مزامير داود  
وأناشيد أختاتون ٢٤٤ - أمثال سليمان وحكم أمن م  
أوبه ٢٤٥ - العبارات المصرية في العهد القديم ٢٤٧ -  
عادات وشعائر مصرية أخذها اليهود ٢٥٤ .

٢٦٠ في سنة رسول الله ﷺ

أحاديث النبي ﷺ في مصر ٢٦١ - القبط ٢٦٣ -  
المصريون من أصول سامية كالعرب ٢٦٥ - مصر قوة  
للعرب أجمعين ٢٦٦ - قوة الإيمان ٢٧١ - صلابة  
الإصرار ٢٧٥ - ختام ٢٨١ .

٢٨٣ ملحق أزمان الفراعين

٢٨٥ الضمائر المصرية والسامية

٢٨٧ أهم المراجع العربية

٢٨٩ المراجع الأجنبية

- ١٠ - لوح بن يدين ..... ١١٤
- ١١ - فتاة تسبح من وراء بطة ..... ١١٥
- ١٢ - جثمان رمسيس الثانى ..... ١٥٩
- ١٣ - جثمان مرنبتاح ..... ١٦١
- ١٤ - جثمان سيتى الثانى ..... ١٦٢
- ١٥ - أطلال معبد صرابط الخادم ..... ١٦٥
- ١٦ - من صروح رمسيس الثانى ومسلاته - معبد الأقصر ..... ١٧٧
- ١٧ - من أساطين رمسيس الثانى - بالكرنك ..... ١٨٠
- ١٨ - بهو الأساطين بالكرنك من منشآت رمسيس الثانى ..... ١٨١
- ١٩ - نشيد النصر (لوح إسرائيل) ..... ١٩٢
- ٢٠ - جنة فى بيت شريف مصرى ..... ٢١٠
- ٢١ - كروم مصر ..... ٢١٣
- ٢٢ - مائدة مصرية قديمة ..... ٢١٧
- ٢٣ - أنعمة كانوا فيها فاكهين ..... ٢١٨
- ٢٤ - قمح وفيير ..... ٢٢٢
- ٢٥ - مواقع المناجم فى أقدم خرائط التاريخ ..... ٢٢٨
- ٢٦ - سواران من الذهب من حلى رمسيس الثانى ..... ٢٣٥
- ٢٧ - قلادة من حلى تاوسرة زوجة سيتى الثانى ..... ٢٣٨

## ثبت الخرائط

- ١ - خريطة الخروج ..... ١٥٧
- ٢ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٣ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٤ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٥ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٦ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٧ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٨ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤
- ٩ - خريطة الخروج واليه ..... ١٦٤

## ثبت الأشكال

- ١ - المجاعة ..... ١٥
- ٢ - قافلة آيشاي فى مصر ..... ٢١
- ٣ - المجاعة بجزيرة سهيل ..... ٦٧
- ٤ - الزراعة فى مصر ..... ٧٠
- ٥ - جعلان منقوشان باسم يعقوب ..... ٧٩
- ٦ - أختاتون ..... ٩٢
- ٧ - جثمان سيتى الأول ..... ٩٥
- ٨ - رمسيس الثانى ..... ٩٦
- ٩ - رمسيس الثانى طفلا فى حماية حورون ..... ١١١

- ٢٨ - قرط من حلى تاوسرة يحمل اسم سیتی الثاني ..... ٢٣٨
- ٢٩ - ايسة تقرب رمز الحياة من أنف نفرتارى ..... ٢٤٨
- ٣٠ - ماعت ربة العدل مجنحة ..... ٢٥٣
- ٣١ - منيرال الأعمال فى الآخرة ..... ٢٥٥
- ٣٢ - قطع إسرائيلية من عاج عليها صور الأرباب المصرية ..... ٢٥٨

رقم الايداع ٢٠٠١/١٣٢١٢  
 الترقيم الدولى LS.B.N. 977-01-7348-9